



كلية الآداب



جامعة الفيوم
Fayoum University

مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم



مجلة كلية الآداب. جامعة الفيوم

دورية علمية نصف سنوية محكمة

رقم الإيداع 2014/18953

التسجيل الدولي ISSN 2357-0709

العدد السابع عشر

يناير 2018م - المجلد الثاني

مجلس إدارة المجلة

أ.د/ عبد الحميد حسين حمودة (عميد الكلية) رئيساً لمجلس الإدارة

أ.د/ مجدي أحمد توفيق (وكيل الكلية لشئون الدراسات العليا) رئيساً للتحضير

أ.د/ محمد الخزامى عزيز (الأستاذ بقسم الجغرافيا) عضواً

أ.د/ إبراهيم محمد صقر (الأستاذ بقسم الفلسفة) عضواً

أ.د/ حامد أمين شعبان (الأستاذ بقسم اللغة العربية) عضواً

أ.د/ عادل عبد العزيز (الأستاذ بقسم التاريخ) عضواً

أ.د/ إيمان محمد صبري (الأستاذ بقسم علم النفس) عضواً

هيئة التحرير

أ.د/ عبد الحميد حسين حمودة رئيساً لمجلس الإدارة

أ.د/ مجدي أحمد توفيق رئيساً للتحضير

د/ سيد أحمد محمد الوكيل مديراً للتحضير

د/ محمد عيد سعيد محرراً للنص

العربي

د/ على عبد التواب محرراً للنص

الإنجليزي

أ/ أحمد شمبولية سكرتيراً

للتحرير

الهيئة الاستشارية

الاسم	الرتبة الأكاديمية
أد/ أمينة محمد بيومي	أستاذ بقسم علم الاجتماع كلية الآداب جامعة الفيوم
أد. إبراهيم محمد صقر	أستاذ بقسم الفلسفة كلية الآداب جامعة الفيوم
أد/ أحمد محمد عبد الخالق	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة الإسكندرية
أد/ أحمد محمد بقوش	أستاذ بقسم اللغة الفارسية كلية الآداب جامعة الفيوم
أد/ سامية محمد جابر	أستاذ بقسم علم الاجتماع كلية الآداب جامعة الإسكندرية
أد/ سيد جاب الله السيد	أستاذ بقسم علم الاجتماع كلية الآداب جامعة طنطا
أد/ شعبان جاب الله رضوان	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة القاهرة
أد/ توفيق محمد عبد المنعم	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة البحرين
أد/ بدر سليمان الأنصاري	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة الكويت
أد/ عزة أحمد صيام	أستاذ بقسم علم الاجتماع كلية الآداب جامعة بنها
أد/ معتز سيد عبد الله.	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة القاهرة
أد/ عبد الحميد حمودة	أستاذ بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة الفيوم
أد. يماني احمد رضوان	أستاذ بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة الفيوم
أد/ مجدي أحمد توفيق	أستاذ بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الفيوم
أد/ عادل كمال خضر	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة بنها
أد/ هناء أحمد شويخ	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة الفيوم
أد/ عبد الرحمن الشرنوبى	أستاذ بقسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة الفيوم
أد. محمد الخزامى عزيز	أستاذ بقسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة الفيوم
أد. صبري عبد الله شندي	أستاذ بقسم الفلسفة كلية الآداب جامعة الفيوم
أد. محمد محمد عناني	أستاذ بقسم اللغة الإنجليزية كلية الآداب جامعة القاهرة
أد. مصطفى رياض	أستاذ بقسم اللغة الإنجليزية كلية الآداب جامعة عين شمس
أد. محمد دياب	أستاذ بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الفيوم
أد/ محمد حسن غانم	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة حلوان

قواعد النشر:

- 1- مجلة كلية الآداب بجامعة الفيوم دورية علمية محكمة تعني بنشر الأبحاث والدراسات الأكاديمية التي تتميز بالأصالة والجدية وتساهم في التقدم المعرفي للعلوم الإنسانية وتقبل النشر فيها الأبحاث المكتوبة باللغة العربية واللغات الأخرى شريطة ألا يكون البحث منشورًا من قبل.
- 2- تقدم البحوث التي يراد نشرها بالمجلة مكتوبة على برنامج ميكروسوفت ورد بخط Simplified Arabic نوع الصفحة B5 والهوامش 3سم في الأربعة جوانب بينط 14 للمتن والهوامش بنط 12 والعناوين الجانبية بنط 16. والمسافة بين الأسطر 1.15سم.
- 3- في حالة رغبة الباحث نشر الصور أو الخرائط أو الأشكال البيانية ملونة يلتزم دفع تكاليفها.
- 4- يقدم الباحث إقرارًا كتابيًا مهورًا بتوقيعه بأن البحث المقدم لم يسبق نشره في أي مجلة علمية أو غيرها.
- 5- يرفق الباحث مع البحث سيرة علمية مختصرة مطبوعة باللغتين العربية والإنجليزية تشمل أهم مؤلفاته وأعماله.
- 6- الأبحاث التي ترد للمجلة ليست لها أغراض دينية أو سياسية وإنما أبحاث علمية في مجال العلوم الإنسانية بمختلف فروعها. وكل ما يرد من أبحاث تعبر عن وجهة نظر الباحث وتحت مسؤوليته.
- 7- يشترط عمل ملخص للبحث باللغة العربية والإنجليزية.
- 8- يراعي الباحث عند كتابة هوامش البحث ومصادره ومراجعته أن ترتب أرقام التوثيق بطريقةٍ مُتسلسلة حتى نهاية الفصل، ويجب أن تعتمد الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة.
- 9- تقدم ثلاث نسخ من البحث إلى الأستاذ الدكتور رئيس التحرير مع سي دي CD بالبريد المسجل أو تسلّم بيد الباحث.
- 10- أصول البحوث التي ترد إلى الدورية لا ترد ولا تسترجع سواء قبلت للنشر أو لم تُقبل.
- 11- يحصل صاحب البحث على 10 مستلّات من بحثه بالإضافة إلى نسخة من العدد بعد طبعه.

تُرسل البحوث بريدياً على العنوان التالي:

جمهورية مصر العربية، الفيوم، كلية الآداب – جامعة الفيوم، رمز بريدي: 63514

فاكس: 0846379325

ت: 0846379326

البريد الإلكتروني:

mat03@fayoum.edu.eg

sae11@fayoum.edu.eg

بناء الجملة الاسمية المثبتة في شعر ابن سناء الملك

اعداد الباحثة/

إيمان محمد سعيد زيان

يناير ٢٠١٨

بناء الجملة الاسمية المثبتة في شعر ابن سناء الملك

اعداد الباحثة/ إيمان مُجَّد سعيد زيان

المقدمة:

اللهم انفعني بما علمتني وعلمي ما ينفعني وزدني علما.

وبعد،،،

فإنه من المعلوم أن علم (النحو) يُعنى بالنظر إلى أواخر الكلم، وما يعترها من إعراب وبناء، كما يعني بأمور أخرى على جانب كبير من الأهمية، كالذكر، والحذف، والتقديم، والتأخير... إلخ.

ومما لا شك فيه اتصال علم النحو بجانب المعنى؛ لذلك لا بد من دراسة النحو على أساس المعنى، لأن لكل تركيب معنى خاصاً به، ولا يمكن أن يؤدي تركيبان أو تعبيران مختلفان معنى واحداً، إلا إذا كان ذلك لغة، نحو قولك: "ما محمد حاضراً"، "وما محمد حاضرٌ" فالأولى لغة حجازية، والثانية تميمية، ولا يترتب على هذا اختلاف في المعنى، ومعنى هذا أن كل عدول من تعبير إلى تعبير يصحبه عدول من معنى إلى معنى.

إن هذا البحث محاولة للوقوف على بعض الظواهر التركيبية التي تتصل بالجملة الاسمية لدى ابن سناء الملك وتحليلها، والتمييز بين أنماطها المختلفة وشرح كل نمط أو تركيب وبيان أثره الدلالي.

ومن المعروف أن الجملة العربية تتكون من ركنين أساسيين، هما المسند، والمسند إليه، ولكن هناك بعض التعبيرات تكون على غير هذا النمط، فقد يعمد الشاعر مثلاً إلى الاقتصار على البنية الأساسية للجملة من المسند

والمسند إليه، وقد يعدل عن ذلك بأن يحذف أحد طرفي الإسناد، بل وقد يعمد إلى مد الجملة وإطالتها من خلال عناصر الإطالة المختلفة كالشرط، والصلة، وتعدد المعطوفات... إلخ.

وهذا بالفعل ما وظفه ابن سناء الملك (٥٥٠ - ٦٠٨هـ) في شعره؛ وذلك مراعاة لما يقتضيه المقام، فهو يهدف من وراء كل تركيب إلى غرض معين، كما أنه يهدف من وراء استخدامه للجملة الاسمية إلى دلالة الدوام والثبوت.

وأود أن أوضح أنني سوف اقتصر في هذا البحث على دراسة نمط واحد من أنماط الجملة الاسمية لدى الشاعر ابن سناء ألا هو الجملة الاسمية المثبتة، وهي تشتمل على ثلاثة أنماط:

الجملة المقتصرة على البنية الأساسية.

الجملة الموجزة.

الجملة الطويلة.

وذلك للوقوف على لغة الشاعر وتراكيبه ومعرفة دلالة كل تركيب.

الجملة الاسمية المثبتة:

"والإثبات: ضد النفي والسلب وهو حالة تلحق الجمل والمعاني التامة وكل ما يلحقه يسمى مثبتاً أي: غير منفي أو أنه الحكم بثبوت شيء آخر^(١)".

والإثبات يوصف به الكلام فيقال كلام مثبت، وكما يتحقق الإثبات في المعاني ابتداء فإنه يتحقق فيها نتيجة، لأن النفي إذا حصل عليه نفي آخر نقضه وأثبت مفهومه وجعله موجبا لأن نفي النفي إثبات^(٢).

والجملة الاسمية المثبتة تنقسم - هنا- إلى الجملة المقتصرة على البنية الأساسية والجملة الموجزة، والجملة الطويلة.

والحديث الآن عن الجملة المقتصرة على البنية الأساسية

"إن الجملة في أقصر صورها هي: أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، سواء تتركب هذا القدر من كلمة أو أكثر... فحين نحلل الكلام في كل لغة نرى أنه يمكن أن ينقسم إلى كتل يفيد كل منها معنى قد يكفي به السامع ويطمئن إليه، وتشتمل كل كتلة منها على ما يسمى بالمسند والمسند إليه وحدهما، وتلك هي الجملة القصيرة التي اكتفى فيها بركنيتها الأساسيين^(٣)".

وقد أطلق الأستاذ عباس حسن على هذا النوع من الجمل اسم الجملة

^(١) (معجم المصطلحات النحوية والصرفية: د. محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ص٣٦.

^(٢) (انظر السابق نفسه، ص٣٦.

^(٣) (من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط٦، ١٩٧٨، ص٢٧٦، ٢٧٧.

الأصلية وعرفها بـ " أنها التي تقتصر على ركني الإسناد^(١)."

كما وردت عند الباحث إسلام محمد عبد السلام بأنها: "الجملة البسيطة"
وهي الجملة القائمة على ركني الإسناد وحدهما دون عناصر إضافية تكون قيда
على الإسناد^(٢)."

هكذا نجد أن الجملة لها مبنائها الأساسي الذي وضعت من أجله، وإذا
ما زيد في بنيتها، أو نقص منها تغير معناها ومدلولها، ومن المعروف أن كل
زيادة في المبنى تستلزم زيادة في المعنى.

لذلك يُعد هذا النوع من الجمل هو صلب البناء اللغوي، وتقسم على

الشكل التالي:

• ما كان المبتدأ أو الخبر معرفة

من المعروف أن الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة، والأصل في
الخبر أن يكون نكرة، ولكن قد يأتي كل منهما معرفة. يقول سيبويه: "أصل
الابتداء للمعرفة^(٣) وإذا اجتمع نكرة ومعرفة فأحسنه أن يبتدئ بالأعرف، وهو
أصل الكلام^(٤)."

وقال ابن السراج: " فمتى كان الخبر عن المعرفة معرفة فإنما الفائدة

^١ (النحو الوافي: عباس حسن، دار المعارف، ط ١٠، ج ١٦/١.

^٢ (بناء الجملة الاسمية في ديوان أبي تمام. رسالة ماجستير. إعداد إسلام محمد عبد السلام،
إشراف د. محمد علي حسنين صبره، د. إبراهيم جميل محمد، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م، ص ٢٩.

^٣ (الكتاب: لأبي بشر بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي
بالقاهرة، ج ١ / ٣٢٩.

^٤ (السابق نفسه، ص ٣٢٨.

في مجموعهما^(١)."

وقد ورد هذا النوع لدى ابن سناء الملك، ومن الجدير بالذكر أن الشاعر لم يقتصر على طريقة واحدة من طرق التعريف، ولكنه وظف كل أنواع المعارف ليحقق أغراضا بلاغية تؤكد المعنى الذي يهدف إليه .

وقال ابن هشام يجب الحكم بابتدائية المقدم من الاسمية في ثلاث مسائل^(٢) إحداهما: أن يكونا معرفتين، تساوت رتبتهما نحو (الله ربنا) أو اختلفت نحو "زيد الفاضل".

الثانية: أن يكونا نكرتين صالحتين للابتداء بهما، نحو: أفضل منك أفضل مني.

الثالثة: أن يكونا مختلفتين تعريفا وتكيرا والأول هو المعرفة "كزيد قائم" وأما إن كان هو النكرة فإن لم يكن له ما يسوغ الابتداء به فهو خبر اتفاقا نحو "ذهب" خاتمك".

وقال أيضا "أن يكونا معرفتين، فإن كان المخاطب يعلم أحدهما دون الآخر فالمعلوم الاسم والمجهول الخبر"^(٣).

وقال ابن يعيش "وقد يقع المبتدأ والخبر معرفتين معًا كقولك زيد المنطلق ... ولا يجوز تقديم الخبر ههنا بل أيهما قدمت فهو المبتدأ"^(٤).

^١ (الأصول في النحو: لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلى، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج١/٦٦.

^٢ (مغني اللبيب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، ج٢، ص٤٥١.

^٣ (السابق نفسه، ص٤٥٢.

^٤ (شرح المفصل، ج١، ص١٩٠.

أما عن دلالة هذا التركيب فقد ذكر د. السامرائي أن "تقديم إحدى المعرفتين على الأخرى يتبعه اختلاف في المعنى فقولك: (زيد المنطلق) يختلف عن معنى (المنطلق زيد)^(١).

وأهم ما يفيد هذا التركيب (مبتدأ معرفة + خبر معرفة) كما ذكره د. السامرائي^(٢).

١- الحصر ٢- القصر الحقيقي ٣- القصر مبالغة

٤- قصر جنس المعنى على دعوى أنه لا يوجد إلا منه وذلك حين يكون مقيدا حال أو وقت كقولك: هو النصير إذا عز النصير.

٥- أن تورده على وجه اتضح أمره وعرف لا على وجه القصر وإنما على وجه أن هذا شائع معروف بين الناس.

٦- أن تورده على وجه ثبت عن المخاطب وعلمه.

ومما ورد بناء على هذا الشكل في شعر ابن سناء الملك ما يلي:

أنا الحائر الساري وأنت شهابه أو الحائم الصادي ومنك شرابه^(٣)
أنا القوي بهمي والرشيد أبي هو الرئيس على الدنيا بهمته^(٤)
وأنا الطليق رجعت فيك مقيدًا حبًا ومدحي فيك غير مقيد^(٥)

^(١) (معاني النحو: فاضل صالح السامرائي، ط٢، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، دار الفكر، ج١، ص١٥٦.

^(٢) (السابق نفسه، ص١٥٧، وما بعدها.

^(٣) (الديوان: ص١٩ (والبيت من الطويل والقافية من المتدارك).

^(٤) (الديوان: ٤٩ (والبيت من البسيط والقافية من المتركب).

^(٥) (الديوان: ٨٠ (والبيت من الكامل والقافية من المتدارك).

أراد الشاعر أن يخبر عن نفسه فأتى بالمسند إليه - أنا - ضميراً شخصاً يدل على التفرد والعظمة، كما أنه يدل على التوكيد والاختصاص؛ حيث ينفرد الشاعر بأنه هو - لا أحد غيره- (الحائر - القوي - الطليق) دون سائر البشر، ثم جاء بالمسند (الحائر - القوي - الطليق) مفرداً مشتقاً معرفاً بأل التي أفادت تعيين واحد من أفراد الجنس.

واستخدام الشاعر هنا الجملة الاسمية التي تدل على الثبوت والدوام لأنه أراد أن يثبت هذه المعاني.

فالشاعر في البيت الأول أراد أن يثبت معنى الحيرة الدائمة، والذي يؤكد على إصراره على إفادة هذا المعنى تكرار صيغة اسم الفاعل المفرد الذي يعمل عمل المضارع، فهو كالحائر الذي يسير ليلاً، وهو كالطائر الذي يبحث عن الماء عطشاً.

وقد عمد الشاعر - ابن سناء - إلى وصف المسند إليه بكلمة (الساري) وهي تعني الذي يسير ليلاً وذلك لكي يخصص المسند إليه حيث يرفع الاحتمال عن أن يكون هذا السير في أي وقت.

كما عمد الشاعر إلى توظيف العطف حيث عطف الجملة الثانية "أنت شهابه" على الجملة الأولى (أنا الحائر الساري) بالواو وقد أفاد هذا العطف الاجتماع في الوجود حيث اجتمع ضلال الشاعر وحيرته مع هداية الممدوح وكأن هذا الممدوح هو الذي ينير له الطريق ويهديه إليه.

وكقوله:

قولك: زيد هو الجواد، وعمر هو الشجاع: تريد أنه الكامل إلا أنك تخرج الكلام في صورة توهم أن الجود أو الشجاعة لم توجد إلا فيه^(١).

وجاء في (نهاية الإيجاز): "إذا قلنا: زيدٌ منطلق أفاد ثبوت الانطلاق لزيد ... وإذا قلت: "زيد المنطلق" أو "زيد هو لمنطلق" فاللام في الخبر تقييد انحصار المخبر به في المخبر عنه، مع قطع النظر عن كونه مساوياً له أو أخص منه"^(٢).

وكقوله:

هم الأعادي وما نالوا بزعمهم ما أملوا هل تتال الشمس في الأفق^(٣)

وكقوله:

الحسن خلق الله جلَّ جلاله والعشق كسبي^(٤)

تجد في هذا البيت أن الشاعر انتقل إلى طريقه أخرى من طرق التعريف وهي التعريف بـ (أل)، حيث أتى بالمسند إليه مصدراً معرّفاً بأل (الحسن) وأتى بالمسند معرّفاً بالإضافة (خلق الله)، وكذلك (العشق كسبي) فهذه بالإضافة (إضافة خلق إلى الله، وإضافة كسب إلى ياء المتكلم أفادت التعريف لأنها من إضافة النكرة للمعرفة هكذا أصبح المسند (خلق الله، كسبي) معرّفاً

^(١) دلائل الإعجاز، ٨٢.

^(٢) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تعليق نصر الله حاجي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص٨٢.

^(٣) الديوان: ص٢٠٤. والشاعر في هذا البيت أتى بالمسند إليه ضميراً شخصياً (هم) وهو يحمل نوع من التحقير ودنو المنزلة، في حين أن الضمير في الأبيات السابقة أفاد التعظيم، وأتى بالمسند (الأعادي) معرفة وكأن هؤلاء الأعادي معروفون لدى الجميع.

^(٤) الديوان: ص١٣ (والبيت من مجزوء الرجز والقافية من المتواتر).

بالإضافة أما إضافة المسند (خلق الله، كسبي) إلى المسند إليه (الحسن، العشق) فقد أفادت التخصيص.

وقد يأتي المسند إليه معرفاً بالإشارة،
كقوله:

هذا مرادي من إلهي دما يكذب في الله مرأد المريد^(١)
جاء المبتدأ (هذا) معرفاً باسم الإشارة وجاء الخبر (مرادي) معرفاً
بالإضافة إلى ياء المتكلم.

عمد الشاعر إلى الإتيان بالمسند إليه اسم إشارة لبيان حالة في القرب
وكأن هذا المراد أصبح قريباً منه، وذلك راجع إلى استعماله (هذا) وهي وسيلة
لإحضار الأمر في ذهن السامع.

كذلك الشاعر أتى بالمسند إليه اسماً موصولاً كقوله:

إنّ الذي في عطفه بانه وفي حواشي طرفه حانه^(٢)
ذو قامة هيفاء فينانه ومقلّة كحلاء فتانة^(٣)
أتى الشاعر بالمسند إليه معرفاً بالاسم الموصول، (الذي) وذلك بغرض
التعظيم^(٤) كما عمد إلى تأكيد الجملة الاسمية بـ (إنّ) وذلك لكي يؤكد ويثبت
المعنى الذي يريده.

^١ (الديوان: ٦٥) (والبيت من السريع والقافية من المتواتر).

^٢ (الديوان: ٤٥٨) (والبيتان من الرجز والقافية من المتواتر).

^٣ (الديوان: ٤٥٨) (والبيتان من الرجز والقافية من المتواتر).

^٤ (انظر معاني النحو: ج ١، ص ١١٠، أغراض التعريف بالاسم الموصول ومنها التعظيم، التحقير والاختصار، والعموم... إلخ.

إذا تعلق بالمبتدأ ظرف أو جار ومجرور، كقول ابن سناء:

الصبرُ بعدَكَ لا يكونُ والخطبُ فيكَ فلا يهونُ^(١)
 أتى الشاعر بالمسند إليه معرفة بأل (الصبر)، وأتى بالمسند جملة فعلية
 منفية (لا يكون) وذلك لأن الشاعر أراد أن ينفي وجود الصبر بعد صديقه، فقد
 خصص وجود الصبر لديه بوجود هذا الصديق، فإذا غاب عنه انعدام لديه
 الصبر، وقد استدل على ذلك بتقديم متعلق المبتدأ (بعدك) الظرف على الخبر
 (لا يكون).

... أن يكون المبتدأ مضافاً والخبر جملة فعلية، كقوله:

كلُّ القلاع ترومُ السُّحبَ في صَعْدِ
 إلاَّ العواصمَ تبغي السُّحبَ في
 صَبَبِ^(٢)

أتى الشاعر بالمسند إليه (كل) معرفة بالإضافة (القلاع وهي مضاف
 إليه معرفة) لأن المقام مقام اختصار، فالشاعر لا يريد ذكر أسماء هذه القلاع؛
 لذلك جمعها من خلال الإضافة، وقد أتى بالمسند (تروم السُّحب ...) جملة
 فعلية فعلها مضارع لكي يفيد معنى التجدد والاستمرار والغرض هنا من تقديم
 المسند إليه على الخبر الفعلي هو التوكيد والتقرير.

يقول د. محمد أبو موسى "إن التعريف بالإضافة يكون لأنه ليس للمتكلم
 طريق إلى إحضاره في ذهن السامع أخصر منه، أي: يقصد إليه رغبة في

^١ (الديوان، ٥٢٧) (والبيت من مجزوء الكامل والقافية من المتواتر).

^٢ (الديوان، ص ٢) (البسيط).

الإيجاز... وقد تكون الإضافة معنية عن تفسير يتعذر^(١).

ويقول أيضًا: "تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي صالح لأن يفيد أمرين: الأول: تقوية الحكم، والأمر الثاني هو الاختصاص^(٢)".
ومنه أيضًا قوله:

فكل يوم مر بل ساعةٍ يحق لي أبكي عليها سنين^(٣)
اعتمد الشاعر هنا على طريقة أخرى من طرق الإضافة حيث أتى
بالمسند إليه (كل) معرفا بالإضافة (يوم وهي مضاف إليه نكرة) وذلك لأن
الشاعر أراد الاختصار، فهو لا يستطيع ذكر كل هذه الأيام لذلك أتى بكلمة (كل)
التي تفيد الاستعراق، كما أتى بالمضاف إليه (يوم) نكرة لأنه لا يريد يوما
محددا، ثم عمد إلى (بل) التي تفيد الإضراب وكأنه يضرب عن ذكر (كل يوم)
بل يمتد حزنه إلى كل ساعة.

وكذلك اعتمد الشاعر على الأفعال المضارعة (يحق . أبكي) التي تفيد
تجدد حزنه واستمراره.

وهنا قدم الشاعر المسند إليه على الخبر الفعلي بغرض التقدير
والتوكيد.

ومنه أيضًا:

شفاؤك يأتي فيشفي النفوسا ويُطلق وجه الزمان العبوسا^(٤)

(١) ٥٣٢ والقافية من المترابك.

(٢) خصائص التراكيب: ٢١١.

(٣) الديون، ٣٢٥ (السريع).

(٤) الديوان، ٥٩٢ (المتقارب والقافية من المتواتر).

وقد جاءت الإضافة هنا مكونة من، (مبتدأ نكرة + مضاف إليه معرفة)
كاف الخطاب) + خبر جملة فعلية فعلها مضارع).

يريد الشاعر هنا مخاطبا معيناً، وذلك من خلال إضافة (شفاء) إلى
ضمير الخطاب، " والأصل في ضمير الخطاب أن يكون لمعين"^(١).

فهو يخص شخصاً بعينه، وقد جعل الشاعر شفاء هذا الشخص .
الممدوح . مترتباً عليه شفاء غيره من النفوس مستخدماً في ذلك الربط بالفاء التي
تفيد السببية؛ حيث جعل شفاء ممدوحه سبباً في شفاء غيره من النفوس كما أن
هذه الفاء تفيد الترتيب والتعقيب أي أن بمجرد شفاء الممدوح يأتي شفاء الآخرين
مباشرة دون مهلة، وهذا على سبيل المبالغة من الشاعر .

كما استخدم الشاعر الأفعال المضارعة التي تفيد التجدد والحدوث
والهدف من الإضافة هنا هو تعظيم شأن المضاف إليه (ضمير الخطاب)
العائد على الممدوح.

أن يكون المبتدأ معرفاً بأل والخبر أفعال التفضيل ، كقوله:

والفعلُ منه أَوْحَدُ في حسنه ما أَوْحَدُ الأَفْعَالُ غَيْرُ الأَوْحَدِ^(٢)

جاء المسند إليه (الفعل) معرفاً بأل إشارة إلى معهود؛ حيث أن هذا
الفعل معهود لدى الشاعر من قِبَل الممدوح، وجاء المسند (أوحد) على صيغة
أفعل التفضيل المشيرة إلى التفوق والعظمة فكلمة أوحد من الوحدة والتفرد.

^(١) خصائص التراكيب، ١٩٢ .

^(٢) الديوان، ٧٩ (الرجز والقافية من المتدارك).

جاء في خصائص التراكيب: "أما أغراض التعريف باللام فقد قالوا: إنها تكون للإشارة إلى المعهود بينك وبين مخاطبك"^(١).

أن يكون المبتدأ معرفاً بال والخبر جملة فعلية كقوله:

والشيبُ شاب وقد يكو ن وأودعوه جُحْرَ ضَبِّ^(٢)
 عمد الشاعر إلى تقديم المسند إليه (الشيبُ) بغرض تخصيصه
 بالحديث ثم أخبر عنه بالمسند . الخبر الفعلي (شاب)، وذلك بغرض التناول
 والدليل على ذلك أن عقب جملة المسند إليه ببناء قد يفعل (قد يكون) الذي يفيد
 في هذا المقام التثني.

يقول عبد القاهر الجرجاني: "إِذَا عَمِدْتَ إِلَى الَّذِي أُرِدْتَ أَنْ تَحْتِثَ عَلَيْهِ
 بِفِعْلٍ، فَقَدِمْتَ ذِكْرَهُ ثُمَّ بَيَّنْتَ الْفِعْلَ عَلَيْهِ فَقُلْتَ: زَيْدٌ قَدْ فَعَلَ، أَنَا فَعَلْتُ، اقْتَضَى
 ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ إِلَى الْفَاعِلِ"^(٣).

وكقوله:

والدَّهْرُ يَعْلَمُ أَنْ فَيَصِلَ حَظُّهُ
 بخطا براعته وَفَضْلِ خِطَابِهَا^(٤)
 قدم الشاعر هنا المسند إليه (الدهر) للتخصيص، ثم قيد الإخبار بالزمن
 المضارع (يعلم) الذي يفيد التجدد والحدوث، في حين أنه قيد الإخبار في البيت
 السابق بالزمن الماضي الذي يدل على اتصاف المبتدأ بالخبر في الزمن

^(١) خصائص التراكيب، ٢١٠.

^(٢) الديوان، ١٥ (مجزوء الكامل والقافية من المتواتر).

^(٣) دلائل الإعجاز، ٩٩.

^(٤) الديوان، ٢٤ (والبيت من الكامل والقافية من المتدارك).

الماضي. أما هنا فالإخبار بالفعل المضارع الذي يدل على استمرارية اتصاف المبتدأ بالخبر.

وهكذا نجد أن الجملة الإسمية قد تقيدت في الإخبار بالزمن الماضي أحيانا أو المضارع أحيانا أخرى. كما أنها تقيدت أيضا بالفعل المبني للمجهول الذي يفيد في بعض السياقات التعظيم، ويفيد في البعض الآخر التحقير من جملة ما يفيد، كقوله:

والمسكُ يُنسبُ لِلطَّبَّاءِ وَهَذِهِ مِنْهُمْ وَلَكِنْ مِنْكَ هَذِي تُرْبُهَا^(١)
نجد هنا الجملة الإسمية قد تقيدت . في الإخبار . بالفعل المبني للمجهول، وهو في هذا المقام يفيد التعظيم.

وكقوله:

والقوسُ يُحْنَى وَالْمَهْدُ دُ يُنْتَقَى وَالسَهْمُ يُبْرَى^(٢)
والكلبُ يُكْسَى عِنْدَهُمْ بِالْوَشْيِ وَالضَّرْغَامُ يَعْرَى^(٣)

نجد هنا الجملة الإسمية قد تقيدت في الإخبار بالفعل المبني للمجهول وهو في هذا المقام يفيد التحقير من شأن هذا الزمان الذي جعل السيف منحنيا، وجعل الكلب يعلو في المنزلة على الضرغام؛ لذلك قدم الشاعر المسند إليه (القوس - الكلب) على الخبر الفعلي (يُحْنَى - يُكْسَى) بغرض تقوية الحكم،

^(١) (الديوان، ٣٤ (الكامل والقافية من المتدارك).

^(٢) (الديوان، ٥٤٣ (مجزوء الكامل والقافية من المتواتر).

^(٣) (الديوان، ٥٤٤ (مجزوء الكامل والقافية من المتواتر).

فالشاعر مقتنع بدم هؤلاء، فهو يريد أن يثبت ويقرر ويؤكد هذا المعنى في القلوب، كما هو مقرر في نفسه.

أحيانا يعتمد الشاعر إلى الإتيان بالمبتدأ معرفا بطريقة من طرق التعريف. والخبر جملة اسمية مستعينا في ذلك بضمير الفصل وذلك لأغراض بلاغية منها^(١):

تخصيص المسند إليه بالمسند، أي قصر المسند على المسند إليه. قد يكون تعقيب المسند إليه بضمير الفصل لمجرد التأكيد إذا كان التخصيص حاصلًا بدون، بأن يكون في الكلام ما يفيد قصر المسند إليه نحو قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ" (الذاريات آية ٥٨).

ومما ورد من هذا النمط في شعر ابن سناء الملك قوله:

هذا هو الظلم الذي يُقضي به للعشاق^(٢)

نجد هنا الشاعر عقب المسند إليه (هذا) بضمير الفصل (هو) لكي يؤكد المعنى الذي يريده حيث إن القصر الحاصل بتعريف الطرفين (المسند (هذا))، والمسند إليه (الظلم) وضمير الفصل جاء للتأكيد.

ب . الجملة الموجزة:

هذا المصطلح أطلقه د. محمد حماسة قاصدا به تلك الأجزاء المتبقية من الحذف الواجب يقول: "إذا كان الحذف واجبا، أي لا يمكن أن يظهر مطلقا فلا داعي لتكليف الاعتداد به وحسابه جزءا من أجزاء التركيب المنطوق، ما دام

^(١) انظر من بلاغة النظم العربي دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. عبد العزيز عبد المعطي عرفه، ج ١، ص ٧٤، عالم الكتب، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

^(٢) الديوان، ٤٢٣ (والبيت من مجزوء الكامل).

التركيب المنطوق مؤديا لمعنى يحسن السكوت عليه، وأما ما يفهم من تقدير المحذوف فليس عنصرا في الجملة"^(١).

وقد تحدثت عن هذه الفكرة د. تمام حسان اطلاقا من قواعد المنطق قائلا: "ليس القول بوجود الحذف مستقيما مع التفكير السليم.... لعدم جواز ذكر المحذوف"^(٢).

وقد تحدثت أيضا عن هذه الفكرة الباحثة إيمان شعبان قائلة: "لست أعني بالإيجاز هنا إيجاز الحذف، وإنما أعني بالإيجاز أن يذكر في الجملة عنصر واحد من عناصر الإسناد، أو بحذف كلاهما، ويكزن المعنى مفهوما يحسن السكوت عليه.

فالمقصود من الجمل الموجزة تلك الجمل التي لم يتوافر لها ركن الإسناد أو أحدهما، وأفادت معنة مستقلا يحسن السكوت عليه، اعتمادا على الموقف اللغوي الذي يكون فيه الكلام والسياق.

فالجمل الموجزة هي الجمل التي قال النحاه بحذف أحد ركني الإسناد فيها أو كلاهما حذفًا واجبًا أو غالبًا"^(٣).

معنى هذا الكلام أن الباحثة وسعت مفهوم الجمل الموجزة، ولم تجعله مقتصرًا على الجمل التي يحذف أحد ركنيها فقط، وإنما جعلت الحذف يشمل الركنين معًا.

^(١) العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٨٨.

^(٢) الخلاصة النحوية، د. تمام حسان، عالم الكتب، ط ٢، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ١٠٨.

^(٣) الجمل الموجزة في النحو العربي، د. إيمان شعبان جودة، رسالة ماجستير، إشراف د. أحمد محمد عبد العزيز كشك، د. أحمد محمد عبد الراضي، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ١٢.

كما تحدث أيضا الباحث إسلام محمد عبد السلام عنها تحت اسم الجملة الناقصة وعرفها بأنها: هي الجملة التي حذف منها أحد ركني الإسناد^(١). وأوضح في البداية أنني سأكتفي بإيراد قسمين هما: الجملة الاسمية الموجزة. والجملة الفعلية الموجزة^(٢).

والحديث الآن عن الجملة الاسمية الموجزة

والجملة الاسمية الموجزة: "هي كل اسم أفاد معنى مستقلا يكسن السكوت عليه عند ذكره"^(٣).
المخصوص بالمدح أو الذم:

أولا: حذف المبتدأ وجوبا: بمعنى أن يكون الخبر مخصوص "نعم" أو "بئس"، أي أن الخبر هو المخصوص بالمدح أو الذم نحو نَعَمْ الرجلُ زيدٌ. ومما ورد على مثال ذلك في ديوان ابن سناء الملك قوله:

بئس القرين العيش لَمَّا مَتَّ يا نِعَمَ القرين^(٤)

الشاهد في قوله (العيش) وهي تعبير من الجمل الموجزة؛ لأن المخصوص بالذم قد أدى المعنى وأفاد اعتمادًا على السياق الذي ذُكر فيه وهو ذكره عقب جملة الذم وما لها من دلالة على كونه . العيش بعد موته . مذموما

^١ (بناء الجملة الاسمية في ديوان أبي تمام، ص ٢٩.

^٢ (ذكر د. محمد حماسة قسماً ثالثاً وهو الجملة الجوابية الموجزة، انظر العلامة الإعرابية، ص ٨٨.

^٣ (السابق نفسه، ص ٩٠.

^٤ (الديوان، ٥٢٧) (والبيت من مجزوء الكامل والقافية من المتواتر).

فَقُهِمَ المعنى اكتفاءً بدلالة السياق وهى كبرى القرائن على العنصر الإسنادي الآخر.

والشاعر قد استخدم الجملة الموجزة هنا لأنه يرثي صديقاً له ومقام الرثاء يحتاج إلى الإيجاز.

وتقدير الكلام: بئس القرينُ هو العيشُ...."

وكأنه يتمنى الموت بعدما فقد قرينه، حيث لا قيمة للحياة بعد فقده.

٢- المصدر النائب عن فعله:

بمعنى أن يكون الخبر مصدرًا يؤدي معنى فعله، ويغني عن ذكر ذلك الفعل.

يقول ابن هشام: "أو بمصدر جئ به بدلا من اللفظ بفعله نحو (سَمِعُ وطاعة) وقوله: (فقال: حنانٌ ما أتى بك ههنا...) التقدير: أمرى حنانٌ، وأمرى سمعٌ وطاعة"^(١) فيأتي المصدر مرفوعاً دون ظهور رافعه، وفي هذه الحالة يُقَدَّرُونَ مبتدأً محذوفاً والمذكور الخبر، أو يقدرُونَ الخبر والمذكور المبتدأ^(٢).

ومن هذا القبيل قول ابن سناء الملك:

إن افتقدت فذكرٌ غيرُ مُفَنَّدٍ أو انهذمت فشكر غيرُ منهزم^(٣)

^(١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: للإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، ٢٠٠٤م، ص ١٩٣، ١٩٤.

^(٢) علاقة الظواهر النحوية بالمعنى في القرآن الكريم، د. محمد أحمد خضير، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٤٥.

^(٣) الديوان، ٥١٨ (والبيت من البسيط والقافية من المترالكب).

الشاهد في (فذكر) أي فأمرني نكر أو حالي نكر أو ذكرى نكر فالمسند إليه محذوف وجوبا هنا، والشاعر هنا قد اعتمد على طريقة أخرى من طرق الإيجاز، وهي المصدر النائب عن فعله، وقد عمد الشاعر إلى هذا المصدر المرفوع لقصد الدلالة على الثبوت والدوام دون أن يخصص هذا الذكر بزمن معين أي أنه ذكر دائم ثابت لا ذكر موقوت ولو قال الشاعر المصدر بالنصب ما تم له هذا المعنى "تقول صبيرا يا فلان على هذه المسألة إذا كانت موقوتة"^(١). موقوتة"^(١).

جاء في الكتاب: "وكذا إذا قال رأيت فيما يرى النائم كذا وكذا، فتقول خيرا لنا وشرًا لعدونا فإذا نصب فعلى الفعل، وأما الرفع فعلى أنه جعل ذلك أمرًا ثابتًا ولم يُرد أن يحمله على الفعل"^(٢).

يقول الشاعر أيضا:

سلامٌ عليه لا على الدهر بعده تراني أَرْضَى بعد مولاي عبده^(٣)
 الشاهد في قوله (سلامٌ)؛ حيث بدأ الشاعر بالمصدر المرفوع الذي يدل على أنه حيًا ممدوحه بالجملة الإسمية الدالة على الثبوت، فهو لم يقصد الإتيان بالفعل لأنه لو أراد ذلك لآتى بالمصدر منصوبًا، ولكن عدل عن النصب إلى الرفع، وكأن ابتداءً شيئًا قد ثبت عنده واستقر، كما أنه نفى أن تكون هذه التحية

^(١) (معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ج١، ص ١٨١).

^(٢) (الكتاب، ١/ ١٣٧).

^(٣) (الديوان، ١١٠) (والبيت من الطويل والقافية من المتدارك).

للدهر المتقلب بعده، ثم يستتكر على نفسه قائلاً: أنه لا يرضى أن يمدح العبد بعد أن كان يمدح مولاه.

قال ابن يعيش: "ألا ترى أنك إذا قلت: سلام عليك وويلٌ له بالرفع كان معناه كمعناه منصوباً، وإذا كان منصوباً كان منزلاً منزلة الفعل فقولك: (سلاماً عليك) و (ويلاً لك) بمنزلة: سلم الله عليك، وكذبك الله فلما كان المعنى فيه ينزع إلى معنى الفعل لم يغير عن حاله لأن مرتبة الفعل أن يكون مقدماً"^(١).

وقال أيضاً: "ومن ذلك قولهم: سلام عليك وويل له... فهذه الأسماء كلها إنما جاز الابتداء بها، لأنها ليست أخباراً في المعنى، وإنما هي دعاء أو مسألة فهي في معنى الفعل كما لو كانت منصوبة، والتقدير: ليسلم الله عليك وويلزمه الويل... والفرق بين الرفع والنصب أنك إذا رفعت كأنك ابتدأت شيئاً قد ثبت عندك واستقر، وإذا نصبت كأنك تعمل في حال حديثك في إثباتها"^(٢).

وجاء في شرح الرضي على الكافية: "سلامٌ في قولك (سلامٌ عليك) بمعنى المصدر: سلمك الله، أي جعلك سالماً، فالأصل: سلمك الله سالماً، ثم حذف الفعل لكثرة الاستعمال فبقى المصدر منصوباً، وكان النصب يدل على الفعل، والفعل على الحدوث. فلما قصدوا دوام نزول سلام الله عليه واستمراره أوالوا النصب الدال على الحدوث فرفعوا (سلام)"^(٣).

^(١) شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، (ت ٦٤٣هـ)، مكتبة المتنبلي، القاهرة، ج ١، ص ١٨٠.

^(٢) شرح المفصل، ١/ ١٦٨.

^(٣) شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، بالإمام جلال الدين أبي عمر عثمان بن عمرو المعروف بابن الحاجب (٥٧٠هـ - ٦٤٦هـ) شرح، رضى الدين محمد بن الحسن الاسرابازي النحوي (٦٨٦هـ) شرح وتحقيق، د. عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، ج ١، ص ٣١٩.

وقال الصبان تعليقا على هذا القول: "هذا يقتضي أنه لو لم يعدل إلى الرفع لانتقت الدلالة على الدوام"^(١).

خلاصة القول أن الشاعر عدل عن النصب إلى الرفع لإفادة معنى الثبات والدوام؛ حيث أنه أراد أن يكون الذكر، والسلام دائمين ثابتين وهذا يعد من الظواهر التركيبية لديه، حيث إن الشاعر يعتمد أحيانا على المصدر المرفوع بقصد الدلالة على الثبات والدوام المستفاد من الجملة الاسمية وأحيانا أخرى يعتمد على المصدر المنصوب بقصد الاستفادة من دلالة الجملة الفعلية، وكل هذا مراعاة لأحوال المقام وهذا ما سيتضح من خلال الدراسة.

٣- الجار والمجرور المبين لفاعل أو مفعول المصدر قبله البديل عن الفعل:

مثال المبين للفاعل: بؤسًا لك أي شدة، وسحقًا لك أي بعدا.

مثال المبين للمفعول: عقدا لك أي جزًا، وشكرًا، وحمدًا لك.

يقول الرضي: "الجار والمجرور بعد هذه المصادر في محل الرفع على أنه خبر المبتدأ الواجب حذفه، ليلي الفاعل أو المفعول المصدر الذي صار بعد حذف الفعل كأنه قائم مقام الفعل، كما كان ولي الفعل والمعنى هو لك أي هذا الدعاء لك"^(٢).

ومما ورد من ذلك في شعر ابن سناء الملك قوله:

سقيا لدارك وهي دارة بدرنا وله غروب عندها وشروق^(٣)

^(١) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، ج ١، ص ٢٢١.

^(٢) انظر شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، ج ١، ص ٣٠٢.

^(٣) الديوان، ٢٠٧ (والبيت من الكامل والقافية من المتواتر).

وقوله:

عرضت لحية ابن عمرو كما طا لث فحاقا لها وسحقا وبعدا^(١)
 الشاهد هنا هو الجار والمجرور (لدارك . لها) الواقع بعد المصدر (سقيا
 . حلقا)، وهو بعد من الجمل الموجزة؛ حيث حُذِفَ المبتدأ وجوبا، والتقدير (هو
 لدارك . هو لها).

ثانيا: حذف الخبر وما في حكمه:

الاسم المرفوع بعد لولا الامتناعية كقول ابن سناء:

انت الذي لولا مدا نحه لما سميت شاعر^(٢)

وقوله:

وعاد إلى صدر الأقاليم قلبه فعاش ولولا القلب لم يخلق الصدر^(٣)

وقوله:

إلى بلاد أجابت قبلما دعيت للخاطبين ولولا الخوف لم تجب^(٤)

يعد الاسم المرفوع بعد لولا (مدائحه . القلب . الخوف) من الجمل
 الموجزة؛ وذلك لأن الخبر محذوف، وقد حُذِفَ الخبر لدلالة لولا عليه؛ إذ هي
 دالة على امتناع الجواب لوجود المبتدأ^(٥).

^(١) (الديوان، ٤٧٥) (والبيت من الخفيف والقافية من المتواتر).

^(٢) (الديوان، ١٣١) (والبيت من مجزوء الكامل والقافية من المتواتر).

^(٣) (الديوان، ١٥٠) (والبيت من الطويل والقافية من المتواتر).

^(٤) (الديوان، ٣) (والبيت من البسيط والقافية من المتركب).

^(٥) (انظر المغني، ج ١ / ٢٧٢).

يقول ابن جني: "المحذوف للدلالة عليه بمنزلة الملفوظ به"^(١).

وقد اعتبر د. محمد حماسة هذا الاسم المرفوع بعد لولا من الجمل الموجزة^(٢).

أن يكون المبتدأ صريحاً في القسم كقول ابن سناء:

لعمري لهم جُنْدٌ وَبُنْدٌ تُظَلُّهُمْ وهذا مهزوم وهذا مُكَنَّسٌ^(٣)

يعتبر هذا المبتدأ (لعمري) من الجمل الموجزة؛ حيث حُذِفَ الخبر لدلالة المذكور عليه والتقدير (قسمي . يمين).

المصدر المضاف الواقع بعده حال لا يصلح للإخبار، وكذلك ما يكون

هذا المصدر مضافاً إليه، وقد مثل له النحاة بقولهم "صزبي زيدا قائماً".

ومن ذلك في شعر ابن سناء الملك:

سكوتك عن رد الجواب تعمُّداً لعي لسان أم الفرط دلال^(٤)

يجوز اعتبار "سكوتك" مبتدأ وهو مصدر مضاف إلى فاعله، و"تعمُّداً"

حال لا يصح جعلها خبراً عن سكوتك لأن الخبر وصف في المعنى والسكوت لا

يصف بالتعمد فلا يقال سكوتك تعمداً؛ لذلك يمكن اعتبار سكوتك من الجمل

الموجزة لأن المصدر (سكوتك) لا يحتاج إلى خبر لأنه في معنى سكت.

^(١) الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق، محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة، ط٣، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ج ١ / ٢٨٩.

^(٢) انظر العلامة الإعرابية، ص ٩١.

^(٣) الديوان، ١٧٥ (والبيت من الطويل والقافية من المتدارك).

^(٤) الديوان، ٥١٦. (والبيت من الطويل والقافية من المتواتر).

وهناك مبتدآت تحدث عنها نحائنا القدماء ولا خبر لها في اللفظ ولا في التقدير معترفين بإفادتها معنى كاملاً مستقلاً بنفسه منها:

قول بعض العرب: (حسبك ينم الناس)

كقول ابن سناء:

يا سا فكا دمعي وناهبه حسبي وحسبك قد أخذت فذر^(١)

وقوله:

أقول لهذا الدهر ته واستطل به فحسبك فخرًا أن تكون له عبدا^(٢)

الشاعر هنا عمد إلى الاسم المرفوع (حسبك) ومعناه يكفيك أي ما فعلت وتقديره كافيك، لأن حسبك اسم، وكان الشاعر شاهد ما فعل فاستغنى به عن الخبر لذلك تعد من الجمل الموجزة.

نزأل . تراك

ومن ذلك قول ابن سناء:

حذارِ سيوف الهند من أعين الترك فما شُهرتِ إلا لتؤنن بالفتك^(٣)

فقوله : (حذارِ) من الجمل الموجزة؛ حيث جاءت مبتدأ وفاعله مضمرة ولا خبر لها لاستقامة المعنى حيث كان معناه: اخذر.

الاسم المنصوب بعد لا النافية للجنس (لا بأس . لا ضير . لا فوت):

ومن ذلك قول ابن سناء:

^١ (الديوان، ٣٨٦ (والبيت من الكامل والقافية من المتركب).

^٢ (الديوان، ٨٨ (والبيت من الطويل والقافية من المتواتر).

^٣ (الديوان، (والبيت من الطويل والقافية من المتواتر)

لُثِّمَتْ فوق نقيبها فهنيئاً ولا غرو . فالهنا في النَّقْبِ^(١)
وقوله:

ويا زمانا جائراً في الحكم لا غرو أنت حاكمي وخصمي^(٢)
الشاعر هنا عمد إلى حذف خبر (لا) لأنه أراد الإيجاز وخاصة أن
المعنى مفهوم وتام.

ج- الجملة الطويلة:

لم أجد تعريفاً محدداً - على حدِّ علمي - لهذا المصطلح (الجملة
الطويلة)، وقد تحدث عنها ابن أبي الأصعب في كتابه تحرير التحبير تحت اسم
باب البسط، وكذلك تحت عنها د. محمد أبو موسى إلا أنه لم يضع لها تعريفاً
محدداً، ولكنني استخلصت تعريفاً لها من خلال حديثه عنها.

يقول ابن أبي الأصعب تحت باب البسط:

"وهو أن يأتي المتكلم إلى المعنى الواحد الذي يمكنه الدلالة عليه باللفظ
القليل، فيدل عليه باللفظ الكثير ليضمّن اللفظ معاني آخر يزيد بها الكلام حسناً،
لولا بسط ذلك الكلام بكثرة الألفاظ لم تحصل تلك الزيادة"^(٣).

ويقول أيضاً: "البسط نقل المعنى من الإيجاز إلى الإطناب بسبب بسط
العبارة، وإن لم يستقص كل ما يكون من لوازمه"^(٤).

^١ (الديوان)، (والبيت من الخفيف والقافية من المتواتر)

^٢ (الديوان، ٥٢١) (والبيت من الرجز والقافية من المتواتر).

^٣ (تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الأصعب، تقديم، د.
حفني محمد شرف، القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، ص ٥٥٤، وقد أتى بشواهد في هذا الأمر
وشرحها.

^٤ (السابق نفسه، ص ٥٤٩، وهذا هو الفرق الاستقصاء والبسط).

يقول د. محمد أبو موسى:

"الجملة الطويلة هي مجموعة من الوحدات أو العلاقات المتعددة، وهذه الوحدات داخلة في بنية واحدة تماما مثل لبنات البناء، وهذه الوحدات وأن كثرت وتعددت ألا أنها ذات تشابك واحد، يدخل بعضها في بعض، ويمد بعضها بعضا، وينعطف بعضها على بعض فتكون في النهاية جملة واحدة أي أنها ما وضع فيها الكلام وضعا واحدا"^(١).

وقال أيضا: "البلاغة مراعاة المقامات والأحوال، فالذكر في موطنه بليغ مطابق، والحذف في موطنه بليغ مطابق، وقد قالوا أن يحيى بن خالد بن برمك أمر اثنين أن يكتبوا كتابا في معنى واحد فأطال أحدهما واختصر الآخر، فقال للمختصر وقد نظر في كتابه: ما أرى موضع مزيد، وقال للمطيل: ما أرى موضع نقصان، وقال الخليل: يُختصر الكتابُ ليحفظ ويبسط ليُفهم، وقيل لأبي العلاء: هل كانت العرب تطيل؟ قال: نعم كانت تطيل ليسمع منها، وتوجز ليحفظ عنها... فإن الذكر لا ينافي الإيجاز... فالذكر يحقق قيمة معنوية في الأسلوب وفوات هذه القيمة عيب في الكلام وإخلال بالمطابقة"^(٢).

وأما المركبة: فهي التي تُدخل في عناصرها جملة أخرى تقوم بوظيفة ما في بنائها، وهي ما سماه النحويون الجملة الكبرى"^(٣).

^١ (دلالات التراكيب دراسة بلاغية، د. محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م، دار التضامن، ص٢٨٨ وما بعدها.

^٢ (دلالات التراكيب دراسة بلاغية، د. محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٧، ص١٨٠.

^٣ (العلامة الإعرابية، ص٨.

ومن ذلك قول ابن سناء الملك:

أنت الذي لو شئت حيَّ رت الكواكب بعض نهبي^(١)

وقوله:

أنت الذي لو شئت كا ن الدهر من خدمي وصحبي^(٢)

نجد أن الشاعر هنا أتى بعنصر إطالة الجملة معتمدا على الاسم الموصول وصلته، ومن المعروف أن الاسم الموصول لا يتم بنفسه ويفتقر إلى كلان بعده.

جاء في شرح المفصل: "معنى الموصول أن لا يتم بنفسه، ويفتقر إلى كلام بعده، نصله به ليتم اسما فإذا تم بعده كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة"^(٣).

وقال أيضا: "والموصول ما لا بد له في تمامه اسما من جملة تردفه من الجمل التي تقع صفات ومن ضمير فيها يرجع إليه وتسمى هذه الجملة صلة ويسميتها سيبويه الحشو... وجملة الأمر أن الصلة بأربعة أشياء الفاعل والمبتدأ والخبر، والشرط وجوابه والظرف، ولا بد في كل جملة من هذه الجمل من عائد يعود منها إلى الموصول وهو ضمير ذلك الموصول ليربط الجملة بالموصول"^(٤).

^١ (الديوان، ١٥ (والبيت من مجزوء الكامل والقافية من المتواتر).

^٢ (الديوان، ١٥ (والبيت من مجزوء الكامل والقافية من المتواتر).

^٣ (شرح المفصل، موفق الدين علي بن يعيش النحوي، تحقيق، أحمد السيد أحمد، مراجعة، إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، مج ٢، ج ٣، ص ١١٣.

^٤ (انظر شرح المفصل، مج ٢، ج ٣، ص ١١٦.

وقد جاء المبتدأ(أنت) معرفة بضمير الخطاب . الذي يدل على اختصاص الخبر بحكم المبتدأ . لكي يصفه بجملة الصلة مستخدماً الاسم الموصول(الذي) معرفة بالموصولية، وهي . الذي . من الأسماء المختصة^(١) وقد أفادت أن هذا الأمر معروف الناس، كما أنه قصر مدلول الصلة على ممدوحه؛ وقد عمد الشاعر إلى توظيف(الذي)؛ لأنه لا يصح وقوع(مَنْ ، ما) في هذا الموضع، حفاظاً على وزن البيت. هكذا جاءت الجملة هنا من نمط الجملة لمعرفة الطرفين؛ حيث جاء المسند إليه معرفة (ضمير)، وجاء المسند معرفة أيضاً(الاسم الموصول).

ويعد هذا النمط من الجمل خاصة تركيبية من خصائص الجملة الطويلة لديه؛ حيث إنه يأتي بعنصر الإطالة معتمداً على الاسم الموصول وصلته، وهذا الأمر تكرر كثيراً لدى الشاعر .

أما عن غرض التعريف بالاسم الموصول هنا فهو التعظيم^(٢).

ومنه قول ابن سناء الملك:

أنت	الذي	قهر	المما	لك	كلها بأسا	وحزماً ^(٣)
أنت	الذي	ساد	الملو	ك	وساسها	رأياً وحكماً
أنت	الذي	نال	السما	ء	وحازها	قدراً وعظماً

^(١) (حيث إن الأسماء الموصولة على قسمين: المختص وهو ما استعمل لشيء واحد لا يتجاوز إلى غيره وهو الذي، والتي وما تفرع عنهما. والمشترك وهو ما كان لعدة معان بلفظ واحد كمن وما وأي.

^(٢) (انظر معاني النحو، ج ١، ص ١١٠، حيث تحدث باستفاضة عن أغراض التعريف بالاسم الموصول وكان من جملتها هذا الغرض التعظيم.

^(٣) (الديوان، ٣٠١) (مجزوء الكامل والقافية من المتواتر).

أراد الشاعر أن يخبر عن المسند إليه المعرفة (أنت) بجملة مُعرِّفة بالاسم الموصول، ولما كان لا يمكن إدخال (أل) على الجملة جيء بـ(الذي) لتقوم مقال (أل)، كما أن الشاعر أتى بأكثر من عنصر توكيد ليثبت ما يريد فمثلا (كلها) الشاعر لم يأت بها لكي يرفع الشك عن أنه قهر الممالك، ولكن أتى بها لكي يؤكد أن هذا القهر وقع في شموله على كل الممالك، كما أنه أكد أيضا بالمصادر المنصوبة (بأسا . حزما . رأيا . قدرًا).

هكذا جعل الشاعر هذا الأمر مختصا بممدوحه، ولو أنه حذف الموصول لذهب هذا المعنى فالموصول هنا أفاد تعظيم ما أكنه الشاعر لممدوحه من الود والحب.

من خلال ما سبق يتضح أن ابن سناء الملك اعتمد على ظاهرة المشابهة في توظيفه للاسم الموصول (الذي).

يقول النحاة: "إن (الذي) وأخواته مما فيه أل، إنما وضع توصلا إلى وصف المعارف بالجمل" وذلك أنه لا يمكن أن تصف معرفة بالجملة، وإنما تصف بالجملة النكرة فتقول: (رأيت رجلا يضرب أخاه) فإذا أردت أن تصف المعرفة بالجملة جيئت بـ(الذي) لتقوم مقام (أل) فكما أن (أل) تدخل على المفرد وتؤثر فيه التعريف تدخل (الذي) على الجملة فهي أداة يتوصل بها إلى التعريف بالجملة... وكما أن (أل) تكون عهدية وجنسية، تكون (الذي) كذلك^(١).

يقول ابن سناء الملك أيضا:

^(١) انظر معاني النحو، ج ١، ص ١١٤.

أنت مَنْ لا تُحصى مناقبه العُدُّ ويلقى بالفرد منه العديد^(١)
 أنت مَنْ لو تجاوز الدهرُ حدًّا لأقيمت عليه منك الحدود
 أنت مَنْ أقسم الزمان كما شئت بألا يريد ما لا تريد
 أتى الشاعر بعنصر إطالة في الجملة معتمدا على الاسم الموصول
 وصلته مرة أخرى، ولكنه استخدم (مَنْ) وهي من الأسماء الموصولة
 المشتركة وهي تختص بأولى العلم سواء كانت موصولة أم استفهامية، أم شرطية
 أم غير ذلك" (٢).

والشاعر أراد من خلالها أن ينزل غير العاقل منزلة العاقل، فقد نزل
 (الدهر ، والزمان) منزلة الإنسان العاقل الذي يقسم، والذي يتجاوز عن السيئات.
 وقد جاءت الجمل هنا معرفة الطرفين؛ حيث بدأ الشاعر بضمير
 الخطاب (أنت: المسند إليه) الذي يدل على اختصاص الخبر بحكم المبتدأ، وجاء
 المسند (مَنْ) معرفا بالموصولية، وقد عمد الشاعر هنا إلى الاسم الموصول (مَنْ)
 لأنه أراد أن ينزل غير العاقل منزلة العاقل ولا يتأتى هذا القصد باستعمال الذي
 لذلك عدل عن استخدام (الذي) واستعمل (من) لأن (الذي) إذا استعملت في العاقل
 وغيره، كان استعمالها حقيقيا (٣).

والموصول هنا أفاد تعظيم أمر الممدوح.

^١ (الديوان، ٨٤) (والبيت من الخفيف والقافية من المتواتر)..

^٢ (معاني النحو، ج ١، ص ١١٩).

^٣ (انظر السابق نفسه، ج ١، ص ١٢٦، ١٢٧).

هكذا وجدنا الشاعر أطال الجملة المكونة من المسند والمسند إليه من خلال الصلة، فهو أحيانا يعتمد إلى جملة الصلة ب(الذي)، وأحيانا يعتمد إلى جملة الصلة ب(مَنْ) وهو يعلم تماما أن هناك فروق في استعمال كل واحدة منهما، فالمواضع التي تستخدم فيها(الذي) تختلف عن المواضع التي تستخدم فيها(مَنْ) وكذلك الأغراض^(١)

وكقوله:

هو من قد أجاد في المجد والسؤ ددِ طبعا فهو المجيد المجيد^(٢)

أتى الشاعر هنا بالمسند إليه ضمير الغائب المفرد(هو) معرفة، وهو من أهم روابط الجملة بغرض الاختصاص والإقرار، ثم أخبر عنه بجملة الصلة المبدوءة ب(مَنْ) وهي تختص بأولى العلم لإرادة معنى الاختصاص أيضا، وقد اعتمد في ذلك على عناصر التوكيد(قد + الفعل، تكرار اللفظ) لكي يؤكد المعنى الذي يريده؛ وهو مدح مولاه وتعظيم شأنه.

هكذا نوع الشاعر في استخدامه الأسماء الموصولة فاستعمل المختص منها(الذي) تارة، واستعمل المشترك(من) تارة أخرى، وفي كل هذا طالت الجملة من خلال الصلة.

وكقوله:

والأرض قد نشر الربيع لربيعها بندى سحائبها رداءً أخضرا^(٣)

^(١) انظر معاني النحو، ج١، ص١٢٦، حيث تحدث باستفاضة عن الفرق بين استخدام من ، وما - والذي.

^(٢) الديوان، ٨٤ (والبيت من الخفيف والقافية من المتواتر)..

^(٣) الديوان، ٣٨٩(والبيت من الكامل والقافية من المتدارك).

اعتمد الشاعر هنا على عنصر إطالة آخر وهو مد الخبر، وقد أتى بالمبتدأ (الأرض) معرفاً بـ(أل) لكي يجعل المستمع منتظراً الحكم الذي سيخبر عنه، فقد أراد الشاعر أن يخص أرضاً معينة بالكلام وليس مطلق الأرض، وأتى بالخبر جملة فعلية فعلها ماضٍ، ولكنه لم يقصد بالفعل الماضي مجرد وقوع الحدث في الزمن الماضي، وإنما أراد أن يؤكد وقوع هذا الحدث في زمن الماضي القريب من زمن التكلم والدليل على ذلك بنية (قد فعل . قد نشر) هكذا كانت الإطالة وليدة المعاني التي تراءت للشاعر فأراد أن يُبَيِّنَها.

وكقوله:

والله	شرفه	وفض	له	وأعطاه	وزاده
وقضى	بتشديد	العلا	فراه	أهلا	للإشارة ^(١)

اعتمد الشاعر هنا على طريقة أخرى من طرق الإطالة وهي العطف، حيث جهل لفظ الجلالة (الله) مبتدأ معرفاً بالعلمية، وجعل كل هذه الجمل (شرفه . وفضله،... إلخ) أخباراً له؛ حيث ذكر الشرف الذي لولاه ما كان الفضل، ثم ذكر الفضل الذي لولاه ما كان العطاء، ثم ذكر العطاء الذي لولاه ما كانت الزيادة وهكذا طالبت الجملة من خلال المعاني المتولدة بعضها من بعض.

ومن الجدير بالذكر أن هناك رغبة كامنة في نفس الشاعر يريد أن يبثها من خلال الأبيات داعياً المتلقي (المخاطب) إلى العمل بها وهي الحض على السير على منوال ممدوحه في القرب من الله، والتبتل إليه، والجهاد في

^(١) (الديوان، ١٠٨) (والبيت من مجزوء الكامل والقافية من المتواتر).

سبيله، وهذه الأمور تقضي حتماً إلى الرفعة وعلو المكانة، وهذا ما دلت عليه الأبيات السابقة لهذا البيت.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- ابن أبي الأصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم حفني محمد شرف، القاهرة، ١٤١٦ هـ. ١٩٩٥.
- ٢- أنيس، إبراهيم، من أسرار العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٦، ١٩٧٨ م.
- ٣- الجامي، نور الدين عبد الرحمن، الفوائد الضيائية في شرح كافية ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: د/ أسامة طه الرفاعي، ١٤٠٣ هـ. ١٩٨٣ م.
- ٤- الجرجاني، عبد القاهر عبد الرحمن، دلائل الإعجاز في علم المعاني، مكتبة صبيح، ط٦، ١٩٩٩ م.
- ٥- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة، ١٤٠٦ هـ. ١٩٨٦ م.
- ٦-
- ٧- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تعليق: نصر الله حاجي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٤ م.
- ٨- السامرائي، فاضل صالح معاني النحو، دار الفكر، ط٢، ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٣ م.
- ٩- السراج، أبو بكر محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠ هـ. ١٩٨٧ م.

- ١٠- اللبدي، محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٠٩ هـ . ١٩٨٨ م.
- ١١- ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمرو، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ، شرح: رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبازي، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب.
- ١٢- حسان، تمام، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، ط٢، ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٥ م.
- ١٣- حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، ط١٠.
- ١٤- خضير، محمد أحمد، علاقة الظواهر النحوية بالمعنى في القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠١ م.
- ١٥- سيبويه، أبو بشر عمر بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٦ هـ . ١٩٨٦ م.
- ١٦- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، بيروت، ١٩٨٥ م، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٨ م.
- ١٧- عبد اللطيف، محمد حماسة، بناء الجملة العربية، دار غريب، ٢٠٠١ م.
- ١٨- عرفه، عبد العزيز عبد المعطي، من بلاغة النظم العربي دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٥ هـ . ١٩٨٤ م.

- ١٩- ابن عقيل، بها الدين عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع.
- ٢٠- عيد، محمد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء في ضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ١٩٨٩م.
- ٢١- محمد، إسلام محمد عبد السلام، بناء الجملة الاسمية في ديوان أبي تمام، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم جامعة الفيوم.
- ٢٢- مرسي، إيمان شعبان جودة، الجمل الموجزة في النحو العربي، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم جامعة القاهرة فرع الفيوم.
- ٢٣- أبو موسى، محمد محمد، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبه، ط٧، دلالات التراكيب دراسة بلاغية، مكتبة وهبه، ط٢، ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٧م، دار التضامن.
- ٢٤- ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، ٢٠٠٤م، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني.
- ٢٥- ابن يعيش، موفق الدين بن علي بن يعيش النحوي، شرح المفصل، مكتبة المتنبّي، القاهرة.
- ٢٦- ابن يوسف، أبو حيان محمد، تذكرة النحاة، تحقيق: د/ عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٦ هـ . ١٩٨٦م.

رأية الحمداني (دراسة أسلوبية)

للباحث

زهير عبد الله مدخلي
المملكة العربية السعودية

يناير ٢٠١٨

المقدمة

يعتبر العصر العباسي عصرا ذهبيا من حيث ازدهار الثقافة العربية شعرا ونثرا ، كما شهد هذا العصر تحول الذوق وظهور المؤلفات القيمة ، ما جعل الدارسين يهتمون به ويولونه بالغ العناية . وبالرغم من كثرة الدراسات التي اتخذت هذا الأدب موضوعا للدراسة ، فهذا لا يعنى أنه علينا أن نتوقف عن البحث عند هذا الأمر ، فالأدب في حركة دائمة لنتوع مجالات التأويل ، وتغير الرؤى مع مرور الزمن ، ومع التطور الذى تعرفه المناهج بظهور الدراسات والنظريات المختلفة ، الأمر الذى ساهم في تنوع المفاهيم وتطوير سبل التفكير ، وهذا ما جعل الإبداع القديم موضوعا متجددا لكل باحث يملك روحا ابداعية لا حدود لها ، وتقدم هذه الثقافة التراثية الواسعة للباحث مادة خصبه لما تحمله من معان وصور ودلالات ، وهذا ما يجعلها تساهم في تطوير الرؤيا الشعرية بصفة عامة .

وإذا كان الشعر صورة لحياة الشاعر ، ومرآة عاكسه لأحاسيسه ومشاعره فإننا نجد في قصائد أبي فراس الحمداني أهم المواقف التى تعرض لها في حياته، والتي عبر عنها بحس إنساني ملئ بالمشاعر والأحاسيس ، مبني على يقظة وجدانيه وتفتحته إلى ما حوله ، وقد كان لشعره وقع في نفوسنا ما جعلني اختار احدى قصائده كموضوع للدراسة ، وتأتي " رائية " الحمداني ، وهومن شعراء العصر العباسي الذين تأثروا بعوامل كثيرة فرضتها بيئتهم ، منها الحروب ضد الروم التي يشترك فيها إلى جانب ابن عمه سيف الدولة ، وقد أسر في إحداها وجرح وسجن عدة سنوات ، وقد نظم في سجنه أروع قصائده التي عبرت عن حنينه إلى الوطن وعتابه وشكوى الزمان ، وعرفت هذه القصائد بـ " الروميات " نسبة إلى مكان أسره ، وقد عبرت عن المزوجة بين المضمون النفسي ، والشكل الفني للقصيدة .

ولهذا اخترت الأسلوبية منهاجاً لدراسة القصيدة ، وبدأت التعريف بالشاعر ،
وعرض لمناسبة النص الشعري ، ومضمون القصيدة ، ثم تناولت القصيدة من خلال

-:

• جماليات الصوت ويشمل :-

• الوزن والقافية .

• التصريع .

• الجناس .

• الإيقاع والبناء الصوتي .

• التكرار .

• جماليات التراكيب ويشمل :-

• التقديم والتأخير .

• الحذف .

• الاستفهام .

• الالتفات .

• جماليات الدلالة من خلال :

• الصورة .

• أولاً : التشبيه .

• ثانياً : الاستعارة .

• ثالثاً : الكناية .

• البناء الدرامي .

ترجمة عن حياته :

يعتبر أبوفراس الحمداني أبرز الشعراء العباسيين الذين اتسمت قصائدهم بالرقي والجمال وامتزج فيها ذلك الرقي بالحزن والأسى ويتضح ذلك قى رومياته .
يسمي أبوفراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني عربي النسب يعود إلى قبيلة تغلب ، وكني بأبي فراس لأن العرب كانت تتوسم فيه الشجاعة ، والبطولة ، وقد قيل " الفراس هو الأسد "
أسر أبوفراس فاختلف الروايات حول السنة التي أسر فيها وعند المرات ، فابن خلكان يروي بأنه أسر مرتين : الأولى كانت سنة ٣٤٨هـ ، والثانية كانت سنة ٣٥١هـ . ويرى ابن خالويه أنه أسر مرة واحدة سنة ٣٥١هـ . وتقدر مدة الأسر زهاء أربع سنوات. عانى الشاعر كثيراً وطلب الفداء أكثر من مرة غير أن الأمر طال حتى سنة ٣٥٤هـ بتحديد ابن العديم ، ولم تدم حياته بعد الأسر طويلاً وقد قتل من طرف أبي المعالي وحاجبيه بسبب استلائه على حمص وكان ذلك يوم الأربعاء الثامن من ربيع الأول سنة ٣٥٧هـ . *

* ينظر : ديوان أبوفراس الحمداني ، رواية أبو عبد الله بن الحسين بن خالوية ، دار الطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٥ وينظر : لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (فرس) دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧ ، ج ٥ ، ص ١٠٩ . وأبوفراس الحمداني " الشاعر الأمير " ، محمد رضا مروة ، دار الكتب العامية بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٠ ، ص ٣٠ . وينظر : يتيمة الدهر ، الثعالبي ، مطبعة الضاوي بمصر ،

١٩٥٢ ، ص : ٥٢ . وينظر : وفيات الأعيان ، ابن حلكان ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، ج ١ ، ط ٧ ، ١٩٣٧ ، ص ٣٤٩ . الديوان ص ٦ .

مناسبة القصيدة : أسر أبوفراس عند الروم فيما كان يتصيد برفقة سبعين من رجاله حيث حدثت معركة بين الطرفين صمد فيها الأمير حتى أثنى بالجراح وأسر ولما تعذرت مفاداته أخذ يترجم مآسيه في حلل شعرية رائعة ومنها رائيته المشهورة التي واجه بها واقعة المر ، وما اكتنفه من أحداث أليمة في بعده عن أهله وتخلي سيف الدولة عنه وتتاسى أصدقائه له واصفاً شجاعته ومنه الروم عليه لأنهم لم ينزعوا ثيابه عنه الملطخه بدمائهم مؤمناً بقضاء الله ومفتخراً بنفسه ويقومه الذين لا توسط بينهم فإما الصدر أو القبر .

مضمون القصيدة :

استهل الحمداني رائيته بمطلع غزلي وهوفي ذلك ينهج نهج القصيدة العربية ولكن عزله هذا مستوحى من الموقف الذي كان يعاني منه في أسره فقد رأى نفسه بعيداً مكبلاً مريضاً متشوقاً ولكنه صابر متجلد عصي الدمع محافظاً على صفة الرجولة والإمارة والفروسية تاركاً دموعه وشكوى صبابته إلى الليل حيث لا يراه أحد فيبسط يد الهوى ويذرف الدموع (٣ - ٤) ثم يناجي طيف محبوبته البعيدة عنه ويلومها عن تغييرها وأغدرها مشيراً إلى غيرته عليها (الخامس والسادس) مبدياً تأسفاً على ما يفعله الوشاة واستماعهم لهم (البيت التاسع) مؤكداً حبه الشديد لها الذي جعله يتبدى لأجلها بل ويحارب قومه في سبيل هواها (العاشر والحادي عشر) ولكنها تقابل لوغاء بالعدر وتأرن كما يأرن المهر ثم يحاورها ويتساءل عن سبب

تجاهلها وكف تنتكر له وهو الفتى المعروف لدى الكل ويقر أن الأحزان وضعت طريقاً إلى قلبه نتيجة هذا التجاهل (١٢ - ١٩) .

١- ينظر : روميات أبي فراس الحمداني ، دراسة جمالية ، فضيلة عيسي ، جامعة بلقايد ، ٢٠٠٤ ، ص ١٧٦ وما بعدها .

ويمزج أبو فراس هذه الشكوى بالصبر والفخر (٢٠ - ٢٦) محسناً التخلص ومنقلاً إلى وصف مكانته عندها وعند قومه الذي لا يمكن لأحد أن يتنكر لفارس البدو والحضر الذي لا يهاب الموت ولا يخشى الوغي " يضمأ " حتى ترتوي البيض والقنا ، ويسغب حتى يشع الذئب والنسر (٢٧ - ٣٥) فخر يرتبط كثيراً بالحكمة والمثالية في الحب فما حاجة الشارع إلى الغنى والمال ، إنما يريد الحافظ على عرضه وهو وفر الوفير ، كما قال (٣٦-٣٧). يبدو أن الشاعر أحب كثيراً حبيبته وأنه كان صادقاً وفعالاً لها ولكن هل يعقل أن يقابل وفاء الأمير بغدر امرأة أحبها؟ لا شك أنه يقصد شيئاً آخر فالتعن في هذه المقدمة الغزلية بأن المحبوبة التي تغزل بها الشاعر فغدرت به وأدلته ليست امرأة وإنما هي رمز إلى الحرية التي امتلكت عليه ليله ونهاره وقلبت موازينه فأضحى أسيراً بعد أن كان أميراً هي وحدها التي استطاعت أن تستغزه وتتهكم عليه وتشمته فيه فربط مصيره بها وعاد إلى حكم الزمان وحكمها غير هذا لا إطلاقاً أن الأمير قد تهزمه امرأة أو تتجاهله وقد كان زين الشباب أبو فراس . (١)

وتتضح هذه القضية جلياً عندما راح يتحدث عن أروم له منيماً بالقضاء

والقدر واثقاً جداً من تصرفاته التي تجعله ثابتاً صامداً مختاراً الأسر على حساب الفرار أو الردى إنه لا يريد أن يلحق لنفسه أولقومه المذلة والعار رغم ضعف نفسه وصعوبة الموقف الذي هوفيه ونعلل هذا بقوة إيمان الشاعر للحياة والموت مضمناً شعره بقصة عمرو بن العاص مع الإمام علي " كما ردها يومها بسوءته عمرو (٣٨-٤٥). ويزيد الشاعر فخراً معاملة الروم التي منته عليه ترك الثياب ويرد بأنها ثياب يعتز بارتدائها فيكفي أنها تحمل دماءهم وهي غيره وتذكره في الوقت ذاته أضف إلى أن جرحه واسره كانا نتيجة استبسال ومقاومة حادة (٤٦-٤٧) وترتفع نبرة الفخر ليشبه نفسه بحال البدر الذي يفقد في الليلة الظلماء ومن خلاله يكاتب قومه ولاسيما سيف الدولة الذي تقاعس في افتداء من لا يستطيع الاستغناء عنه ولا يعوضه، أحد آخر ولكن هذا التنازع البولي لا يعجز إلا عند الموت فالشاعر لا ينفك يتحدث عن هذا المصدر المحتوم الذي هو مآل الجميع حتى وإن طال الزمن وانفتح العمر (٤٨-٥١). وهكذا تتحد فكري الحرية الموت لتتجلى شخصية الأمير الفارس الشاعر الأمير المؤمن بقضاء الله المحتمل لهوان النفس وجور الزمن وخفاء الخلان ويختم الشارع قصيدته بالعودة مرة أخرى إلى الفخر ولكنه فخر قومي ، فبعد أن عابهم هاهويفخر بهم . ويرفع من مرتبتهم فهم أعز بني الدنيا وأعلى ذوي العلاء ولعل منبع هذا الفخر هو النزعة القومية والنخوة العربية (٥٢-٥٤).

ينظر : روميات أبي فراس الحمداني ، ص ١٧٦ وما بعدها .

ولعل هذه القصيدة من أجود ما قاله الحمداني لما اشتملت من محاورة نفسه كشفت عن مواقف متعددة شهدها الشاعر وشهدناها نحن معه بفضل تقنياته التعبيرية المتسوقة وحسن تخلصه الذي يبدو وكأن القصيدة فخرية ذات غرض واحد وثمة

جمال يمكن داخل هذا التوجه النفسي والتحكم الفني .

أولاً : جماليات الصوت والحركة ويشمل :

ويختص بأبرز السمات الصوتية والحركية في القصيدة من خلال الوزن والقافية ،
والتصريح ، والجناس ، والايقاع والبناء الصوتي ، التكرار .

١- الوزن والقافية :

نظم شاعرنا قصيدته على بحر الطويل - حيث انه كثير الاستعمال في الشعر العربي - محققاً بذلك نوعاً من الانسجام بين البحر العروضي وتجربته الشعورية .
وتمثل التفعيلتان " فعولن مفاعيلن" المتكررة في البيت أساساً موسيقياً غالباً على النص الشعري عند أبي فراس ولعل قيمة القصيدة الجمالية تعزي إلى الصورة الموسيقية حيث تربط التفعيلة بالحالة النفسية التي أهلت الشاعر للإبداع ودفعته لأن يصب دقاته الشعرية في نص واحد أضف إلى أن احترام الشاعر للبحر الواحد أضفى على القصيدة انسجاماً وتناسقاً وتأليفاً. وربما أصاب التفعيلات بعض الزخافات أو اللعل وهو أمر طبيعي إذ لا يمكن أن يرد البحر سليماً ونمثل لذلك بالبيت الأول.

أراك عصي دمع شيمتك صصبر أما للهونين عليك ولا أمرو

0/0/0///0// 0/0/0///0/0// /0/0 ///0/ 0/ / 0// /0//

فعول مفاعيلن فعول مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعول مفاعيلن

كما احسن الشاعر في اختيار قافيته فجاءت ملائمة مع الحالة النفسية والشعورية ؛ كونها تتحكم في صورة انفعال الشاعر المرتبطة بالفخر والصبر والأنفة

والكبرياء على ما يعانيه من المرارة والمشقة والمأساة التي كان يعاني منها. (١)

١- ينظر : روميات أبي فراس الحمداني ، ص ١٨٥ وما بعدها .

٢- التصريح:

التصريح هو اتفاق شطري البيت الواحد وقد ورد هذا في البيت الأول: في قوله:
أراك عصي الدمع شيمتك الصبر .. أما للهوى نهى عليك ولا أمر
فقد ورد التصريح هنا بين كلمتي (الصبر، أمر)، مما أكسب النص موسيقى داخلية،
رائعة جلية.

٣- الجناس:

والجناس هو تقارب الكلمات في الحروف نوعاً، وعدداً ومنه ما هو تام، ومنه ما هو ناقص، وقد ورد الجناس في قوله: وما حاجتي بالمال أبغى وفوره ... إذا لم أفر
عرضي فلا وفر الوفر وهنا يتضح في البيت الجناس بين الكلمات: (وفوره، أفر،
وفر، الوفر).

٤- الإيقاع والبناء الصوتي :

الإيقاع عنصر هام من عناصر المكون الشعري فهو الذي ينظم موسيقى القصيدة ونصه الشعري يصارع ليؤثر في المتلقي ويحرك أوتاره بفضل وسائل الصوتية واللغوية التي تتصل بالتركيب أو السياق فيصبح للمكون الصوتي فاعلية وأثر

جمالي في البناء الشعري مشكلاً خلفية متباينة للموضوع إذ يتوقف جمال الأسلوب على صفة الصوت وأهميته وعلى الوقعة الدلالية وما فيها من تفاعل . (١)

١- روميّات الحمداني ، ص ١٧٨ وما بعدها .

ولعل أبو فراس استعمل كل الأصوات العربية ولكنه ركز على ما يتلاءم وشخصيته وموقفه الأساسوي إذا اكتسبت بعضها صبغة وجدانية فضلاً عن الصفات التي تتميز بها وها جدول يضم عدد الأصوات الأكثر استعمالاً في القصيدة .

الأصوات المهموسة		الأصوات المهجورة	
عددتها	الأصوات	عددتها	الأصوات
٣٢	التاء	تعم القصيدة	الألف
٠٢	الثاء	٠٩	الجيم
٢٧	الحاء	١١	الدال
٠٢	الحاء	٠٨	الذال
١٦	السين	٧٦	الراء
٠٨	الشين	٠٦	الزاي
٠٥	الصاد	٦٠	الضاء
٢٠	الفاء	٠٦	الظاء
٢٦	الكاف	٢٦	القاف
٢٨	الهاء	٢٨	العين
٢٠	الميم	٠٨	الغين

٢٠	الواو	١٦	اللام
٣٠	الهمزة	٤٩	النون
		٢٠	الياء

ويتبين من خلال هذا الجدول أن الشاعر لم يهتم كثيراً بحرفي الباء والطاء بل ركز على الأصوات المجهورة بنسبة تفوق كثيراً نسبة الأصوات المهموسة وربما هذا يعود إلى طبيعة الموضوع وغرضه الذي تمثل في الفخر بصفة عامة .

والشاعر في هذا المقام يعتني بالحروف الشديدة والرخوة الملائمة لحالته النفسية ويستعمل الحروف المطبقة والمستعملة كالصاد والضاد والطاء والغين والقاف والحاء في (عصى ، البيض ن ظمياء ، غادة ، الخلوف ، والقضاء) التي يرتفع فيها اللسان ويستعلي إلى الحنك الأعلى ، وهذه الصفة الصوتية لها علاقة بصفة ذاتية في الشاعر إذ تحمل معاني القوة ، والثبات والمرارة والمشقة . وكذلك الحروف العميقة المخرج كالهمزة والهاء والكاف في أراك ، الهزل ، وغيرها التي يجب فيها الشاعر صعوبة وثقلاً في مخرجها حيث تتطلب جهداً وقوة .

لاشك أن أبا فراس يملك من القدرة والاستطاعة على مقارعه خطوب الدهر ما يدل على قوة صبره وتحمله وشجاعته . ولعل لهذه الحروف والكلمات دلالات نفسية أكثر منها صوتية ترتبط بشخصية الشاعر ومكوناته الذاتية وفي مقابل الاستعلاء النفسي والإطباق الصوتي يستخدم الشاعر الحروف المنفتحة والمستقلة التي ينزل فيها اللسان إلى قاع الفم فتسكن ذات الشاعر وتهدأ وترتاح بعد قساوة وشدة كالعين والذال والفاء الجيم والثاء التي كررها الشاعر في مواضع عدة كقوله : يذاع ، معاً ، الوفاء ، أعجزه ، نحبك ، ميثاء ، ترنو... التي توحى بالاطمئنان والسكينة حيث يمنع لنفسه فرصة الاسترجاع والتأمل في الماضي وهكذا هي النفس الإنسانية ترتفع وتنخفض

كالموج لتستطيع المواصلة والاستمرارية .

ولم يغفل الشاعر عن أصوات الصغير كالسين والزاي والصاد التي يتصل عنها اللسان بالأسنان العليا فينطلق الصوت ملفتاً ومنبهاً ومثيراً ولعلها وسيلة الشاعر في صرخته خاصة بعد ما تناساه سيف الدولة وتكرر له قومه وكلمة الزمان ، النسر ، الصبر ، وأمثالها ، لها مالها من تأثير وجرس وإيقاع في نفس المتلقين وفي الوقت نفسه لا تخرج عن المنحى الوجداني .

ويستعمل الشاعر كذلك صوت التقشي: الشين الذي يتسع فيه الفم ويسترخي ويتقشى وتتجلى هذه الصفات في لفظة "الواشين" حيث يرافقها المد فيمتد نفس الشاعر المصحوب بالمرارة والمأساة وقساوة العذاب. ويكثر من توظيف اللام المنحرفة التي لا بد منها في الكلام العربي إذ نجدها تتكرر في عدة ألفاظ كقوله : معلتي ، الليل ، ألت ، والتي يقصد الشاعر من توظيفها تأكيد الموقف الوجداني .

١- روميات أبي فراس الحمداني ، دراسة جمالية ، فضيله عيسى ، رسالة ماجستير ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر ، ٢٠٠٣ . ص ١٨٠ وما بعدها .

وكل هذه الأصوات تحتاج إلى أثر موسيقي يرتبط بالأثر النفسي المتمثل في حرفي الغنة " الميم والنون " والقصيدة غنية من حيث هذين الصوتين المناسبين للتشكيل الجمالي والبناء الأسلوبية . وتميزت قصيدة أبي فراس بظاهرة الأصوات الطويلة " حروف المد واللين " فحينما نقرأ قوله في هواك ، وأني لجرار لكل كتيبة ، ولكنني

أمضي لما لا يعينني تهون علينا في المعالي نفوسنا ... نجد أن الصوت الطويل يمثل نسبة عالية وهو ما تستدعيه تجربة الشاعر ، لأن الأصوات الطويلة هي وحدها التي تقوي على الاستجابة لطبيعة التجربة النفسية ، فيعبر كل حرف من حروف المد عن أنه من أناته الحادة فيتوافق طول الزمن مع طول الصوت وتمتد الأمواج النفسية لتتشكل نغماً موسيقياً هادئاً . (١)

٥- التكرار :

انتشر حرف الراء حيث انتشر في أغلب الرائية بالإضافة إلى أنه حرف الروي فقد اضفي حيوية على الموسيقى بفضل ضرباته المتكررة للسان والمرتبطة بهزات القلب وتردد النفس ويظهر حرف الراء في كثير من الألفاظ كوقور ، ريعان ، تآرن ، ازرى ، الدهر ، مهر . ولم يقتصر الشاعر على تكرار الراء فحسب بل كرر الألفاظ مثل قوله : (شاءت و شاء لها الهوى ، تآرن كما أرن المهر ، وفي القافية " العذر ، الهجر ، النصر ، الحمد ...) .

وربما يعود ذلك التكرار إلى بدهاة الشاعر وجبلته حيث نراه يلبي نداءه الداخلي ويستجيب لمعاناته النفسية التي كانت تملي عليه كلماته دون مراجعة أو تكلف ثم للتكرار وظيفة تشمل في التأثير الصوتي والتأكد والإلحاح وهذا هو مقصد البعد الجمالي المأساوي . (٢)

وأيضا نلاحظ تكراره للفعل (نكر) في قوله :

تسألني من أنت وهي عليمه .. وهل بفتي مثلي على حاله نكر
فلا تتكريني يا ابنت العم إنه .. ليعرف من أنكرته البدو والحضر
ولا تتكريني إنني غير منكر .. إذا زلت الأقدام واستنزل النصر

١- ينظر : روميات أبي فراس الحمداني ، دراسة جمالية ، فضيله عيسى ،

رسالة ماجستير ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر ، ٢٠٠٣ .

ص ١٨٠ وما بعدها .

٢- السابق : ١٨١ .

ثانيا : جماليات التراكيب :

إن الدراسة التركيبية للنص الشعري لها أهمية في الكشف عن معاني النص

وأغواره ، ويتخذ الدارس الأسلوب في تحليله التركيبي جملة من المسائل تنطلق من

النص نفسه، فالمدخل الأسلوب لفهم أي قصيدة هولغتها (١). وسأتناول جماليات

التراكيب وفق الآتي :

أولا - التقديم والتأخير :

يمثل عنصر التقديم والتأخير عاملا مهما في إثراء اللغة الشعرية ،

وإغناء التحولات الإسنادية التركيبية في النص الشعري ، مما يجعله أكثر حيوية ،

ويبعث في نفس القارئ الحرص على مداومة النظر في التركيب ؛ بغية الوصول إلى

الدلالات الكامنة وراء هذا الاختلاف أو الانتهاك والشذوذ بلغة كوهلبن (٢). والتقديم

والتأخير عبارة عن حدوث بعض التغييرات في بنية الجملة الترتيبية كأن يتقدم

المفعول به على الفاعل ونحو ذلك . ويعد هذا المبحث من مباحث التركيب، ويكثر

التقديم والتأخير في القصيدة حيث وصل عدد أمثله أربعة وعشرون مثالا وهي

كالآتي (٣):

كقوله : (شيمتك الصبر) وأصله الصبر شيمتك (وهذا من باب تقديم الخبر على

المبتدأ)، " أما للهوى نهى عليك ولا أمر " وأصل الكلام أما نهى عليك ولا أمر .

(وعندي لوعة) وأصله : لوعة عندي ، " ولكن مثلي لا يذاع له سر " وأصله: ولكن مثلي لا يذاع سر له. (وأذلت دمعاً من خلائقه الكبير) وأصله: وأذلت دمعاً الكبير من خلائقه.

وكذلك قوله (وأحسن من بعض الوفاء لك العذر) وأصله: العذر لك أحسن من بعض الوفاء.

(بنفسى من الغادين فى الحى غادة) وأصله: غادة فى الحى بنفسى من الغادين؛ على اعتبار أنها مفعول به لفعل محذوفاً تقديره: أعنى أو أقصد.

وأيضاً قوله : (وإنهم لولا حبك الماء والخمر) وأصله: إنهم الماء والخمر.. وقد قدم الجملة الاعتراضية هنا على خبر إن وما عُطف عليه ليُظهر مكانة المحبوبة فى نفسه.

(وفيت وفى بعض الوفاء مذلة) وأصله: وفيت ومذلة فى بعض الوفاء؛ وقوله: "شيمتها الغدر" وأصله: الغدر شيمتها.

ومن ذلك قوله : (وعندك بي خُبْرٌ) وأصله: وخبر بي عندك.

١- ينظر : مدخل إلى علم الأسلوب ، شكري عياد ، القاهرة ، ١٩٨٢ م .

٢- بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن ، ترجمة محمد المولي ، ومحمد العمري ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٦ ، ص : ١٥ . و ينظر : من دلالات الانزياح التركيبي وجمالياته في قصيدة " الصقر " لأدونيس ، عبد الباسط محمد الزيود ، مجلة جامعة دمشق - المجلد ٢٣ - العدد الأول ٢٠٠٧ . ص ١٦٤ وما بعدها .

٣- ينظر: رائية أبي فراس الحمداني ، قراءة أسلوبية تحليلية ، محمد صلاح زيد،
صحيفة الوطن الجزائرية، ١١-٨-٢٠١٣

وكقوله : "لقد أزرى بك الدهر" وأصله: لقد أزرى الدهر بك؛ "فقلت: معاذ الله - بلى أنت لا الدهر" وهنا تقديم الجملة الاعتراضية على جملة مقول القول، والأصل: "فقلت: بلى أنت لا الدهر"، وتقديم الجملة الاعتراضية - معاذ الله - هنا من قبيل المسارعة بنفي التهمة عن الدهر وإثباتها لفاعلها.

وكذلك : "وما كان للأحزان لولاك مسلك" وأصله: وما كان مسلك الأحزان لولاك؛ وقوله: "لكن الهوى للبللى جسر" وأصله: لكن الهوى جسر للبللى.

وقوله : "وتهلك بين الهزل والجد مهجةً" وأصله: وتهلك مهجة بين الهزل والجد. "فأيقنت أن لا عز بعدى لعاشقٍ" وأصله: فأيقنت أن لا عز لعاشقٍ بعدى؛ وقول: "وأن يدري مما علقت به صفر" وأصله: وأن يدى سفر مما علقت به.

ومن ذلك "وقبلت أمرى لا أرى لى راحة" وأصله: وقبلت أمرى لا أرى راحة لى؛ وقوله: "ألح بى الهجر" وأصله: "ألح الهجر بى".

"إنه ليعرف من أذكرته البدووالحضر" وأصله: إنه ليعرف البدووالحضر من أنكرته. "ما لم تأته قبلى النذر" وأصله: ما لم تأتى النذر قبلى.

وكقوله : "طلعت عليها بالردى أنا والفجر" وأصله: طلعت أنا والفجر عليها بالردى "وهبت لها ما جازه الجيش" وأصله: وهبت ما حازه الجيش لها؛ وقوله: "ولم يكشف لأثوابها ستر" وأصله: ولم يكشف ستر لأثوابها.

"ولا راح يطغيني بأثوابه الغنى" وأصله: ولا راح يطغينه الغنى بأثوابه؛ وقوله: ولا بات يثيني عن الكرم الفقراً" وأصله: ولا بات يثيني الفقر عن الكرم.

ولنستمع إليه يقول : "فليس له برُّ يقيه ولا بحر" وأصله: فليس بر له يقيه ولا بحر.
 "يتجافى عنى الموت ساعة" وأصله: يتجافى الموت ساعةً على؛ وقوله: "إذا ما
 تجافى عنى الأسرُ والضر" وأصله: إذا ما تجافى الأسر والضر على.
 "كما ردها يوماً بسوءته عمر" وأصله: كما ردها عمرو يوماً بسوءته.
 "وإنما على ثيابٍ من دمائهم حمر" وأصله: وإنما ثياب حمر من دمائهم على.
 "وقائم سيفي فيهم اندق نصله" وأصله: وقائم سيفي اندق نصله فيهم.
 "تهون علينا فى المعاني نفوسنا" وأصله: تهون نفوسنا علينا فى المعالى.

١- رائية أبى فراس الحمدانى ، قراءة أسلوبية تحليلية ، محمد صلاح زيد صحيفة
 الوطن الجزائرية، ١١-٨-٢٠١٣ .

فقد استطاعت ظاهرة التقديم والتأخير تقديم إمكانيات متنوعة ، وغير
 محدودة ، نفسية ، وفكرية ، وفنية ، تجاوزت النظرة القديمة المتمثلة بحصر وظيفة
 التقديم والتأخير بدالتي : الاهتمام والاختصاص .

ويمكن القول إن ثراء اللغة العربية ومرونتها ساعدت الشاعر في مقدرته على
 التلاعب في بنيه الجملة الترتيبية دون الإخلال بالمعنى مما يعطي مذاقا خاصا
 للنص لدى المتلقي ويجذب انتباهه . (١)

ثانيا - الحذف : يعد الحذف تحولا في التركيب اللغوي ، يثير القارئ ، ويحفزه
 نحواستحضار النص الغائب ، أوسد الفراغ ، كما أنه يثيري النص الجماليا ، ويبعده

عن التلقي السلبي ، فهو أسلوب يعتمد إلى الإخفاء والاستبعاد بغية تعددية الدلالة ، وانفتاحية الخطاب على آفاق غير محدودة ؛ إذ يصبح وظيفة الخطاب الإشارة ، وليس التجديد ، يحمل بذور انغلاق النص نفسه ، ولا يبقي للقارئ فرصة المشاركة في إنتاج معرفة جديدة بالنص ودلالاته .

وقد حاول القدماء تفهم هذا البعد ضمن إطار الحضور والغياب ، وعمدوا إلى حصر أشكاله ، رغبة في تلقي النصوص القديمة على نحو لغوي " لاستخلاص ما فيها من ألوان الجمال أولرصد ما فيها من مظاهر القبح ، وبمعني آخر كانت هذه الخاصية من أهم مظاهر تقييم العمل الأدبي ، وتبومقدرة القدماء في إدراك أن بعض العناصر اللغوية يبرز من خلال دورها الأسلوبي بغيابها أكثر من حضورها (٢) . فالحذف لا يعدو كونه محاولة أسلوبية من أجل " الرقي بالخطاب إلى مستوى تعبيرى قادر على شد انتباه المتلقي والتأثر فيه ، فضلا عن استغلال سمات جمالية تضيف على الخطاب سمات الجمال والإمتاع (٣) .

ويقصد بالحذف أحد الأركان التي يمكن أن تُحذف من الجملة اسمية كانت أم فعلية دون أن يتأثر المعنى بهذا الحذف إطلاقاً وإنما يظل الكلام مفهوماً وذلك لوجود قرينة في الجملة تدل على ما حذف من الكلام؛ وهذا المبحث لم ترد أمثلة له كثيرة في النص لا تتعدى الخمسة أمثلة كقوله : "معلتى بالوصل، والموت دونه" فقد حذف مبتدأ الجملة والكلام أصله: هي معلتى بالوصل . وكقوله: "حفظتُ وضيعت المودة بيننا" وأصل الكلام "حفظت المودة وضيعت المودة بيننا" فحذف المفعول به الأول لتكراره في موضع لاحق.

١- رائية أبي فراس الحمداني ، قراءة أسلوبية تحليلية ، محمد صلاح زيد صحيفة الوطن الجزائرية، ١١-٨-٢٠١٣

٢- جدلية الأفراد والتركيب ، محمد عبد المطلب ، الشركة لمصرية العالمية للنشر ، ط١ ، ١٩٩٤ ، ص : ١٨١ ، ١٨٢ .

٣- لسانيات النص ، محمد الخطابي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص : ٩٥ .

وأيضاً : "وقور وريعان الصبا يستقرها" فهذه جملة اسمية محذوف منها المبتدأ ؛ وأصل الكلام: "هي وقور...".

وقوله: أعز بنى الدنيا وأعلى ذوى العلا .. وأكرم من فوق التراب ولا فخر

فهذا البيت جملة الاسمية محذوفة المبتدأ والأصل: نحن أعز بنى الدنيا، ونحن أعلى ذوى العلا، ونحن أكرم من فوق التراب؛ ولكن المعنى بعد الحذف ظل كما هو وقد دل عليه البيت الثاني والخمسين. (١)

ثالثاً - الاستفهام :

الاستفهام هو أسلوب من أساليب الجملة الإنشائية، تنتوع أنواعه بين الاستفهام الحقيقي والمجازي وكذلك تتعدد أغراضه البلاغية، وهو لم يرد أيضاً فى النص بكثرة إذ لا يتعدى الخمسة أمثلة ومن ذلك قوله : "أما للهوى نهى عليك ولا أمر" ويسألها : ما بال دمك لا يسيل ؟ وكأنه يتعجب من هذه النفس التى تأبى أن تذرف دمعا ،

وهي تتحمل الألم . وهو استفهام حقيقي غرضه التعجب من قوة صبر هذه النفس المعذبة.

وأيضاً : قوله: "وهل بفتى مثلى على حاله نكر" هذا استفهام حقيقي غرضه البلاغى النفسى وإثبات عكسى نفى ما سبق نفيه.

وكذلك : فى قوله: "أيهم فهم أكثر" هذا استفهام حقيقى أيضاً أفاد تظاهر المحبوبة بعدم معرفة الشاعر بدليل قاطعٍ هوأن يحبونها أكثر مما يتعثر عليها تمييزها لشخص منهم.

وقوله :

وقال أصحاحى: الفرار أوالردى .. فقلت: هما أمران أحلاهما مر

وهنا نجد أن الشطر الأول من البيت فيه استفهام مجازى تخيري حيث إن أصحابه يخبرونه بين الهروب من ساحة القتال وبين تلقى الموت فيها، وينتظرون منه الإجابة فتكون فى الشطر الثانى.

ومن ذلك قوله: "وهل يتجافى عنى الموت ساعةً" فهذا استفهام حقيقى غرضه النفسى ؛ إذ إن الإجابة على سؤاله بالطبع هي : لا.

١- ينظر : رائية الحمداني ، محمد صلاح ، جريدة الوطن الجزائرية .

رابعاً : الالتفات : يعد الالتفات سمة أسلوبية ، تعين على تحويلات مختلفة في الخطاب ؛ كالانتقال من الغيبة إلى الخطاب أو العكس ، أو التحول في الأزمنة من الفعل المستقبل إلى الأمر ، أو العدول عن فعل ماضٍ إلى أمر ، أو الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل ، أو العكس .

ولاتفهم هذه التحولات إلا في ضوء السياق اللغوي ، الذي يرجع إليه وحده لتحديد طبيعة المعنى المراد ؛ إذ إن المعنى قد يتجاوز الكلام المرسوم أماماً إلى آخر يفهم ضمناً ، وهو معنى يتحدد بالقوة الالهامية بتعبير جون لاينز (١) .

ونظر عز الدين اسماعيل إلى الالتفات نظرة ثاقبة إذ لم يعد الالتفات عنده " حيله من حيل جذب اهتمام المتلقي وتشويقه ؛ لأن ما يحدث فيه من انحراف للنسق أو انتقال في الإيراد الكلامي من صيغة إلى صيغة ليس انتقالاً استطرادياً مثلاً ، وليس تعليقاً طريفاً على ما قيل أو ما حدث ، وليس استشهاداً بطرفة أو ملحّة ، أو ما شابه ذلك من وسائل تطرية نفس المتلقي والترويح عنه ، وإنما ينحصر الأمر في بيان معنى على قدر كبير من الرهافة والخفاء ، لا يلفت المتلقي إليه أو إلى البحث عنه إلا إدراكه للتغير الحادث في النسق اللغوي للخطاب ، وقلماً يتنبه القارئ إلى هذا التغير ، ودون ذلك الإدراك يظل إدراك ذلك المعنى مختفياً وغائباً (٢) .

بمثل هذا الفهم يصبح الأسلوب الالتفاتي وسيلة لإغناء النص دلالاتياً وجمالياً بأن ، فقد تم استبعاد الإمتاع والتشويق اللتين تشعران بنمطية الأسلوب وآلية التفسير مع أن القصد منه إعطاء حيوية للنص تساعد على إبراز رؤى خلاقية عند الشاعر .

١. ينظر : اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز ، ترجمة عباس الوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، د . ط ، ١٩٨٧ ، ص : ٢٢٦ .
٢. ينظر : جماليات الالتفات ، بحث ضمن كتاب قراءة جديدة لتراثنا النقدي ، النادي الأدبي الثقافي جدة ، د . ط ، ١٩٩٠ ، ص ٢٢٦ .

وقد عني الحمداني في رأيته بالالتفات إذ أسهم في تقوية الإحساس الجمالي بالنص ومن أمثلة ذلك انتقال الشاعر في رأيته من ضمير المتكلم إلى ضمير المخاطب أو من ضمير المخاطب إلى ضمير الغيبة ، وفي هذا الانتقال علاقة نفسية بينه وبين الموجه إليه ؛ لأن الجرح النفسي العميق المتمثل في " العذر ، الغربية ، الحنين إلى ميدان الحروب والفروسية .. " وهو المسؤول على توجيه الخطاب ، فيقول : وحاربت قومي في هواك وإنهم .. وإياي لولا حبك الماء والخمر (١) يبين انتقال الشاعر من المتكلم " أنا " في (حاربت) إلى المخاطب أنت في (هواك) ثم إلى الغائب الجمع (هم) .

وهذا الالتفات يبعث على الانتباه وحضور الإدراك والتأكيد ، إذ يجعلنا نعيش معه الأحداث ، سواء في حديثة عن عذر الحبيبة له ، أو في مقام الفخر والاعتزاز بالنفس والقوم ، فنراه يجمع حيناً وينفرد أحياناً وهوبذلك لا يترك فرصة " السهو " إنما يحاول أن يقربنا منه أكثر فأكثر لننفع معه ، ولا ينتقل الشاعر من الغائب إلى المتكلم (يمنون .. إنما على ثياب ، وقال .. فقلت ، وساحبة الأذيال .. نقيتها) إلا لضرورة ملحة في نفسه ، يضطره إلى التحول من العالم الخارجي إلى العالم الداخلي ، ولا شك أن البعد النفسي هو الموجه الرئيسي من حالة إلى أخرى . (٢)

١- روميات الحمداني ، ص ١٨٩ .

٢- السابق : ١٨٩ .

ثالثا : جماليات الدلالة :

الصورة : إن الاهتمام بالصورة أصيل في النظر إلى الإبداع الأدبي وتحليله ، لذلك أدرك الأدباء والنقاد مكانه الصورة فيه ، وأفردوا لها أبوابا في بحوثهم ودراساتهم ، فالعمل الأدبي يعتمد الصورة أساسا في تقديم المعاني والانتقال بها من المرحلة العادية إلى مرحلة التأثير الذي يعتمد على مقومات الجمال في توظيف اللغة . فالصورة هي أساس البناء الشعري والأدبي ، وعماده الذي يقوم عليه ، والخيال هو المتبع الذي يستمد منه الشاعر صورته بكل أبعادها ، وهو الذي يهب الشاعر القدرة على الانزياح من تصوير المؤلف إلى تصوير فني معتمدا في ذلك على التأمل والتفكير ، والصورة لن تستطيع تتخلق إلا بعنصر الخيال لذا : " هو العائل الوحيد الذي تتخلق فيه الصورة الشعرية " (١) . فالصورة هي " أداة الخيال ووسيلته الهامة التي يمارس بها ومن خلالها فعاليته ونشاطه " (٢) كما أنها تعد إحدى العناصر التي يتألف منها العمل الأدبي والفني . وسيكون جهدي منصبا على دراسة التصوير الفني وتجلياته المختلفة ، محاولاً استخلاص الذوق التصويري للشاعر، من خلال التشبيه ، والاستعارة ، والكناية .

ولعل قصيدة " أراك عصي الدمع " رسم شاعرنا من خلال مطلعها وهو رهين الأسر صورة الكبرياء في صبره على الأسر والجراح الجسدية والنفسية وفي عصيان الدمع

والكتم عما بداخله ، وهي صفة من صفات الرجولة والشهامة فهولا يريد أن يسيل الدموع أمام مرأى الجميع لئلا يدرك الناس ضعفه ويفسح المجال لذلك ليلا ، لا يراه أحد فيناجي الليل ويحدث النجوم بدموعه الغزيرة ، يرى ذلك جليا في قصيدته فيقول :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر .. أما للهوى نهين عليك ولا أمر

إذا الليل أضواى بسطت يد الهوى .. وأذلت دمعا من خلائقه الكبر

وقد قدم لنا شاعرنا من خلال هذا المستهل صورة بالغة رسم من خلالها انفعالاته فعكست حالته الشعورية ، حيث أظهر شوقه ولوعته لحبيبته بتستر ، قهويعتزف بدموعه إذا أدلى الليل ستاره. ولعل هذه التجارب القاسية ، وتلك الأحداث المريرة خلقت في نفس أبي فراس حالة من الشعور النفسي ، يظللها الألم ، وتكسوها المرارة ، ويحوظها الآسي الذي مني به من قبل الأهل والأحباب (٣).

١ - شعر ابن الفارض في ضوء النقد الأدبي الحديث ، عبد الخالق محمود ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٤ ، ص ١٠٥ .

٢ - السابق : ص ١٠٥ .

٣ - أبو فراس الحمداني - الشاعر الأمير - محمد رضا مروة ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص ٨٠ . وينظر : عناصر الإبداع الفني في رائية أبي فراس ، حسن محمود عارف ، مطبعة الأمانة ، ط١ ، ١٩٨٨ .

أولا - التشبيه :

يمتزج الشاعر بالمحيط الذي يلف به ، فهو يصادف مشاهد ومواقف كثيرة ويسعى جاهدا لنقلها ، لكنه في النهاية لا ينقلها ولا يسردها كما هو ماثل أمامه ، بل تتبلور لديه رؤيه خاصة من خلال الصورة التي يقدمها " ذلك أنه لا يفصح دائما عن مراميه وأعماقه التي تحس وتتفعل " (١) . فالشاعر ليس ككل الناس ، فله نظرته وإحساسه ، فيستدعي منه الموقف أن يجعله " أكبر أحيانا " وبلون آخر أحيانا " (٢) . فيلجأ إلى الصورة ويحسن توظيفها ، وينقل المعنى ويجسده في شكل محسوس ، ويتم ذلك بواسطة التشبيه . فالتشبيه " الدلالة على مشاركة أمر لأمر في المعنى " (٣) . أو هو تشبيه شيء بشيء لحصول اشتراك صفة المشبه به في المشبه ومن ذلك قوله : وما هذه الأيام إلا صحائف .. لأحرفها من كف كاتبها بشر فهذا تشبيه بليغ (الأيام صحائف) إذ إنه صور الأيام بالصحائف التي يكتب عليها وتدون عليها الأحداث ووجه الشبه المشترك بينهما هو الأحداث التي تحدث في تلك الأيام ومن ثم تدوينها في الصحائف . ويقول : بنفسني من الغادين في الحى عادة .. هو اى لها ذنب وبهجتها عذر هنا أيضاً تشبيهان بليغان هما (هواى ذنب، بهجتها عذر) إذ إنه شبه حبه لمحبوبيته بالذنب، وفي المقابل بهجتها هي عذر.

وأيضاً : أسرت وما صحبى بعزل لدى الوغى .. ولا فرسى مهر، ولا ربه عُمر هنا تشبيهان سبقا بنفى إذ إنه ينفى ن يكون فرسه مهراً وقت أسره أو هو ذاته صاحب الفرس عُمر في نفس الوقت أيضاً (وقت الأسر) وبالطبع هذان التشبيهان المنفيان هما من النوع البليغ المحذوف منه الأداة ووجه التشبه.

- ١ - ينظر : جماليات الأسلوب ، فايز الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٩٦ ، ص : ٧١ .
- ٢ - السابق : ٧١ .
- ٣ - ينظر : التلخيص في علوم البلاغة ، للقرظيني ، ضبط وشرح : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط١ ، ١٩٠٤ م ، ص : ٢٤٤ .

وكذلك التشبيه الضمني في قوله :

سيدكرني قومي إذا جد جدهم .. وفي الليلة الظلماء يفقد البدر

فالمشبه هنا : حال الشاعر سيدكره قومه إذا اشتدت بهم المصائب والخطوب

ويطلبون فلا يجدون له أثرا، والمشبه به : حال البدر يطلب عند اشتداد الظلام

وكلاهما عزيزا المنال، وهذا التشبيه لم يصرح به الشاعر إنما نفهمه من سياق الكلام ومضمونه .

ثانيا - الاستعارة : الاستعارة هي استعمال الكلمة في غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة ، وقد وضحا الجرجاني بقوله " هي أن تريد تشبيه شيء بالشيء ، فتدع أن تفصح بالتشبيه ، وتجيء إلى اسم المشبه به فتغيره المشبه وتجريه عليه تريد أن تقول رأيت رجلا هو كالأسد في شجاعته وقوه بطشه سواء ، فتدع ذلك وتقول رأيت أسدا " (١) .

ومما تقدم نستطيع القول إن " الصور الاستعارية أقدر من الصور التشبيهية في إظهار طاقاتها الخيالية والتشكيلية ، وكذلك على الأداء الجمالي ، إذ بينهما يبقي طرفا التشبيه منفصلين مع وجود الأداة الرابطة ، فإن الاستعارة من شأنها أن تلغي الحدود ، وأن تحطم الفواصل ، فيندمج الطرفان في صورة واحدة حتى لو كانا

منفصلين أو متناقضين " (٢) . وهي تتميز بعنصر التكتيف إذ تحقق عامل الاقتصاد اللغوي بما يتيح لها من صياغة مركزة لعناصر الدلالة المتعلقة بالمعنى لكلمة معينة ، وتحقق تلاؤماً مع المعنى الجديد الذي يفرضه السياق ، كما تتميز بكسر حاجز اللغة وقول ما لا يقال (٣) . والاستعارة نوعان منها ما يقوم على الكناية ويسمى استعادة بالكناية أو مكنية ومنها ما يسمى بالتصريح وهي ما يصرح فيها بلفظ المشبه به، أى أنها تلك التى حذف منها المشبه، وأخذ المشبه به مكانه. وقد جاءت الاستعادة هنا بنمطها الأول: (الاستعارة المكنية) بكثرة فى النص حتى أصبحت هى أكثر مباحث المستوى الدلالى ظهوراً ومن نماذجها قوله : (٤) (أراك عصى الدمع) فهذه استعارة مكنية شبه الدمع فيها بشيء عصى قوى، (أما للهوى نهى عليك ولا أمر) هذه أيضاً استعارة مكنية شبه الهوى فيه بشخص لا بد أن يكون له على المحبوبة أمر وطاعة وهذا تشخيص للهوى.

وكذلك (إذا الليل أضواني) هذه استعارة مكنية صور فيها الليل بالمرض أو الشيء الذى من الممكن أن يضعف الشاعر، (بسطت يد الهوى) استعارة مكنية صور الهوى فيها بشخص له يد تُبسط وهذا تشخيص أيضاً للهوى، (أذلت دمعاً من خلائقه الكبر) استعارة مكنية صور فيها الدمع بشخص الكبر من طباعه وهذا تشخيص للدمع.

-
- ١ - ينظر : دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمد الداية ، فايز الداية ، مكتبة سعد الدين ، ط٢ ، ١٩٨٧ ، ص ، ١٠٥
- ٢ - أبو فراس الحمداني ، الموقف والتشكيل الجمالي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٢ ، ص ٤٣٤ .

- ٣ - ينظر : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، صلاح فضل ، مؤسسة مختار ، دار عالم المعرفة ، ١٩٩٢ ، ص ٢٥٨ .
- ٤ - ينظر: رائية أبي فراس الحمداني ، قراءة أسلوبية تحليلية ، محمد صلاح زيد ، صحيفة الوطن الجزائرية، ١١-٨-٢٠١٣

وأيضاً قوله : (تكاد تضيء النار بين جوانحي) استعارة تصريحية هنا حيث شبه عواطفه وانفعالاته الداخلية بالنار التي من الممكن أن تضيء وتشتعل وقد حذف المشبه وأخذ المشبه به (النار) مكانه؛ (إذا هي أذكتها الصباية والفكر) استعارة مكنية هنا شبه شدة الشوق والعشق بالمادة التي من شأنها أن تشتعل النيران. ولنستمع إليه يقول : (حفظت وضيعت المودة بيننا) هذه استعارة مكنية شبه فيها المودة والمحبة بشيء مادي يُحفظ ويُضيع، حفظه هو، وضيعته المحبوبة. (وحاربت قومي في هواك) فهذه استعارة مكنية شبه فيها حبه لمحبوبته بما يُتنازع عليه وتقوم بسببه الحروب. (فقد يدم الإيمان ما شيد الكفر) هذه استعارة مكنية شبه فيها الإيمان بشخص يقوم بهدم بناء شيده شخص آخر وهذا تشخيص لكليهما. (وفيت وفي بعض الوفاء مذلة) استعارة مكنية شبه فيها وفاءه لمحبوبته بالمذلة. (لقد أزرى بك الدهر بعدنا) فهذه استعارة مكنية شبه فيها الشاعر الدهرَ بشخص قام بازدرائه وهذا تشخيص للدهر. وكذلك : (وتهلك بين الهزل والجد مهجة) هذه استعارة مكنية شبه فيها المهجة بشيء يهلك بين الهزل والجد، (إذا ما عداها البين عذبها الهجر) هذه أيضاً استعارة مكنية تشخيصية فقد جعل فيها الشاعر البين والهجر وكأنهما شخصان يعذبان روحه.

(وأن يدرى مما علقت به صفر) استعارة مكنية شبه فيها النفع والطائل الذى عاد عليه من جراء عشقه بالصفير.

وأیضا : (وقلبت أمرى لا أرى لى راحة) استعارة مكنية جعل فيها الأمر وكأنه شيء يُقلَّبُ وكذلك الراحة وكأنها شيء يُرى؛ (إذا البين أنسانى ألح بى الهجر) هذه استعارة مكنية صور فيها الزمان بشخص حكيم له سلطان ويصدر أحكام وهذا تشخيص له.

(كأنما تتادى طلا بالواد أعجزه الحضر) استعارة مكنية شبه فيها الطلا (ولد ذوات الظلف) بشخص ينادى عليه وهذا تشخيص للطلا. وقوله (فأظماً حتى ترتوى البيض والقنا) استعارة مكنية شبه فيها الرايات والسهام بشخص يشرب حتى يرتوى وهذا تشخيص لهما؛ (وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر) وهذه أيضاً استعارة مكنية شبه فيها جثث الأعداء بطعام شهى يتركه الشاعر مع جوعه لى تشبع تلك الحيوانات المفترسة منه.

وكذلك : (ما لم تأته قبلى النذر) استعارة مكنية شبه فيها النذر بأشخاص يسبقونه فى الإتيان وهذا تشخيص لهم.

ومن ذلك قوله : ويا رب دار لم تخفى منيعة .. طلعت عليها بالردى أنا والفجر هذه استعارة مكنية شبه فيها الدار بشيء ليس منه خوف؛ وقد طلع هو عليها بالموت ومعه الفجر وكان الفجر إنسان فهذا تشخيص له.

ولنستمع إليه يقول : ولا راح يطغينى بأثوابه الغنى .. ولا بات يثينى عن الكرم الفقر فهاتان استعارتان مكنيتان شبه فى كليهما الغنى والفقر بشخص يقوم كلٌّ منهم بما وكل إليه وهذا تشخيص لهما.

(ولكن إذا حم القضاء على أمريء) استعارة مكنية شبه فيها القضاء بشخص ضُرب له موعد فجاء فيه؛ (فليس له بريقة ولا بحر) هذه أيضاً استعارة مكنية أخرى شبه فيها البر والبحر بشخصين عاجزين عن حماية من حم عليه القضاء وهذا تشخيص لهما.

(فقلت: هما أمران أحلاهما مر) استعارة مكنية شبه بها الفرار، والموت وما يحلو منهما بالطعام أو الشراب المر المذاق.

وأيضاً قوله: (يقولون لى: بعث السلامة بالردى) استعارة مكنية شبه فيها السلامة بسلعة تباع والردى بعملة هي ثمن لتلك السلعة المباعة.

(وهل يتجافى عنى الموت ساعةً) استعارة مكنية صور فيها الموت بشيء يُدفع والمذلة هي ما سيدفع به.

(وإن طالت الأيام وانفسح العمر) استعارة مكنية شبه فيها الأيام بحبل يطول ويقصر، والعمر بمكان يضيق وينفسح.

(تهون علينا فى المعالى نفوسنا) استعارة مكنية صور فيها النفوس بشيء يهون ويحتقر فى سبيل المعالى. (١)

ثالثاً - الكناية :

الكناية هي " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئى به إليه ويجعله دليلاً عليه ، مثال ذلك قولهم (طويل النجاد) يريدون به طويل القامة (٢)

١- ينظر: رأيية أبي فراس الحمداني ، محمد صلاح زيد .

٢- ينظر : دلائل الإعجاز في علم المعاني ، عبدالقاهر الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ١٠٥ .

وتعتبر الكناية ملمحا من ملامح الإشارة ، إذ يتكئ عليها المبدع للتعبير عما يريده بشكل غير مباشر " ويلجأ الشعراء إلى الكناية إذا أعوزتهم الحيلة إلى التعبير عن معنى قبيح أو مستكره ، أو مستهجن ، أولا يجدر الإفصاح عنه بشكل مباشر ، وهي وظيفه أقل أهميه من ثم عن وظيفة الصورة الاستعارية والتشبيهية ، وذلك لأن قدرتها على الإيحاء أدنى من قدرتيهما ، فهي لا تعدو مجرد الإشارة إلى ذلك المعني المستور . وتأتي أهميتها المحدودة من كونها فضلا عن قصر عبارتها وسيلة تشكيلية رمزية إلى حد معني أنها لا تتناول الأمور كما هي في حقيقتها ، ولكنها تتناولها تناولا غير مباشر ، وفي هذا تكمن فنيته " (١) . حيث استهل شاعرنا قصيدته بكناية في قوله : (أراك عصي الدمع) وهي كناية عن التجرد والصبر والثبات والتحدي ، وكذلك في قوله : (ساحبه الأذيال) كناية عن الموت ، وقوله : (لنا الصدر) و (أوالقبر) فالأولي كناية عن الصدارة والحكم والشرف والسؤدد والثانية كناية عن الذل والمهانة والسفالة . وأيضا نلاحظ شاعرنا دائما يفاخر بحمايته لبنات قومه وحرصه عليهن في خضم المعارك ، حتى أنه كان يصفح عن القبائل الثائرة ، ويتراجع عن حربها إكراما لهن ، وكانت تلك الصورة كثيرا ما تتكرر لديه ، يقول :

وحي رددت الخيل حتى ملكته .. هزيمًا وردتني البراقع والخمر

وساحبه الأذيال نحوي لقيتها .. فلم يلقها جهم اللقاء ولا عر

وهبت لها ما حازه الجيش كله .. وراحت ولم يكشف لأثوابها ستر

واستخدم أبوفراس الكناية مصورا الندم الذي سيعيشه قومه بسبب تخليهم عنه وهوفي الأسر ، إذ إنهم يفقده سوف يخسرون الكثير ، وهذا تعبير عن فخره بمكانته العالية ، يقول :

سيدكرني قومي إذا جد جد هم .. وفي الليلة الظلماء يفترق البدر
فإن عشت فالطعن الذي يعرفونه .. وتلك القنا والبيض والضمير الشقر
وأيضاً فقد وظف الكناية في التعبير عن مكانته وقومه ، وعدم رضاهم بالحلول
الوسطية ، فإما الصدر وإما القبر بقوله :

ونحن أناس لا توسط بيننا .. لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا .. ومن خطب الحساء لم يغلها المهر

١ - ينظر : أبوفراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي ، النعمان القاضي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٢ ص ٤٤٤ .

البناء الدرامي : من الظواهر الأسلوبية اللافتة في صورة اعتمادها على البناء الدرامي ، إذ يعتمد التصوير من خلال البناء الدرامي على عناصر التعبير الدرامي ، من حوار خارجي ، وداخلي ، وحدث درامي ، وبطل ، وجوقة ، وقد يعتمد على السرد القصصي الذي يمثل الصراع والحركة (١).
يقول : وقال أصيحابي الفرار أوالردى .. فقلت هما أمران أحلاهما مر
ولكنني أمضي لما لا يعيبي .. وحسبك من أمرين خيرهما الأسر

يقولون لي بعث السلامة بالردى .. فقلت أما والله ما نالني خسر
وهل يتجافي عني الموت ساعة .. إذا ما تجافى عني الأمر

والضر

تبرز شخصية المحاور في الصورة عنصرا هاما يحث أبا فراس على الفرار ،
وهنا يصبح الصديق في كفة بينما أبو فراس وحيدا في الكفة المقابلة انعكاسا لتباين
موقفه عن موقف الصديق المحاور ، ذلك تباين وتلك مفارقة على مستوى الصورة
بين موقف أبي فراس والصديق تدفع بأبي فراس لأن يكون عنصرا إيجابيا في الحوار
له حضوره ، وصوتا مخالفا للصديق الخذول الذى يدعوه إلى الفرار . (٢)
ويظهر هذا جليا من خلال اللغة ، فالمحاور هو (أصحابي) التي جاءت
على صيغة الجمع ، ولكن يأتي التصغير ليلغي المعنى الذي يحمله (الجمع)
على اعتبار أن "التصغير تغيير مخصوص في بنى الكلمة ، وهومن هذه الوجهة
تحول صرفي محض ، ولكنه من جهة أخرى يعتبر وصفا في المعنى ومن هنا تأثيره
في الدلالة الجزئية للكلمة ، ثم الدلالة الكلية للنسق اللغوي " (٣) . إذ جاء التصغير
بهدف تحقير موقف الأصدقاء المتخاذل ، والتقليل من شأنهم في خضم هذا الحدث
الدرامي (المعركة) ، إذ يبدو واضحا في محاولة إحباط الشاعر من خلال الاستفهام
الذي يهدف إلى زعزعة موقفه (الفرار أو الردى) ، وهنا يعلو صوت الشاعر في
الحوار الذي يعمد إلى أساليب إضافية لتدعيم موقفه القوي والتمسك والمغاير
لموقف الخذولين ، إذ يلجأ إلى التوكيد قائلا (لكنني أمضي لما لا يعينني) وبينما
يستمر الخذولين في إضعاف موقف الشاعر وإشعاره بالندم من خلال الحوار
(بعث السلامة بالردى) ، يلجأ إلى أسلوب أقوى في التوكيد وهو (القسم) بقوله (أما
والله ما نالني خسر) .

- ١ - ينظر : عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر ، كمال أحمد غنيم ، مطبعة مدبولي ط١ ، ١٩٩٨ ، ص ٢٢١ .
- ٢- ينظر : : دراسة أسلوبية في شعر أبي فراس الحمداني ، نهيل فتحي أحمد كتانه ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، ٢٠٠٠ م ، ص ١٥٨ .
- ٣- ينظر : شعر المتنبي قراءة أخرى ، محمد فتوح أحمد ، دار العارف ، د . ت . ص . ٤٢ . وينظر : دراسة أسلوبية في شعر أبي فراس الحمداني ص ١٥٨ وما بعدها وهكذا يتصاعد الحوار الدرامي ويتنامي تبعا لتنامي الأحداث ومواقف الشخصيات ، إذ يتصاعد الشاعر في حوارة متكئا على أسلوب التوكيد المتدرج من الحوار العادي إلى التوكيد إلى القسم ، ليصل أخيرا إلى فلسفته العميقة حول الحياة والموت والأسر (١)، إذ يقول :

وهل يتجافي عني الموت ساعة .. إذا ما تجافي عني الأسر والضر

وفي موضوع الحب والغزل تطالعنا أيضا الصور التي تقوم على البناء الدرامي وترتكز عليه ، إذ يلعب البناء الدرامي دورا هاما في تشكيل صورته في المقدمات الغزلية لقصائده الفخرية ، إذ يهدف الحوار فيها إلى تأكيد حضور الشاعر وفخره بنفسه ، ويعتبر هذا تمهيدا ملائما ومنسجما يخلص الشاعر من خلاله من مقدماته الغزلية إلى موضوع القصيدة الأساسي وهو الفخر (١)، يقول :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر .. أما للهوي نهى عليك ولا أمر

ويقول محاورا :

وقور وريعان الصبا يستقرها .. فتأرن أحيانا كما يأرن المهر

تسائلني من أنت وهي علمية .. وهل يفتي مثلي على حاله نكر

فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى .. قتيلك قالت أيهم فهم أكثر
فقلت لها لو شئت لم تتعنتي .. ولم تسألني عني وعندك بي خبر
فقلت لقد أزرى بك الدهر بعدنا .. فقلت معاذ الله بل أنت لا الدهر

١- السابق : ١٦٠ .

٢- السابق : ١٦١ .

تدور هذه الصور بما فيها من حوار حول ثنائية الحضور والتغيب ، إذ تظهر شخصية الحبيبة مجافية تحاول تغيب حضور أبي فراس وإنكاره ، بينما يصر هو على تأكيد حضوره ووجوده ، ويهدف هذا الحوار إلى فخر الشاعر بنفسه ، ويأتي دور الحبيبة في الحوار الذي تتساءل فيه عن شخص الشاعر متجاهلة إياه (من أنت ؟) ، ويأتي دوره هوفي التأكيد على حضوره في ذهنها بشكل خاص (وهي عليمة) ، وحضوره في ذهن الآخر بشكل عام من خلال الاستفهام الذي وظفه الشاعر لتأكيد معنى الفخر الذي يصل إلى حد الغرور (وهل بفتى مثلي على حاله نكر) إذ يحمل هذا التساؤل معنى التأكيد على معرفة الآخر له . (١)

ويتصاعد حوار الحبيبة وتستمر في محاولة إنكاره وتغيبه (أيهم فهم أكثر) ، إذ تحاول في عبارتها هذه ومن خلال الاستفهام إلغاء تميز الشاعر وإحاقه بالآخر من خلال ترديد ضمير الجماعة (هم) وفي قولها (أيهم) ، (فهم) . وفي المقابل يتصاعد في حوار مؤكدا تميزه وفرديته من خلال محاولته تغليب (الأنا) على (ضمير الجماعة) ، إذ تبرز (ياء المتكلم) بشكل ملحوظ كقوله :

قلت لها : لو شئت لم تتعنتي .. ولم تسألني عني وعندك بي خبر

إذ نلاحظ ضمير المتكلم الياء في قوله (عني) ، (بي) ، والتاء في (قلت) .
ويظهر إصراره واضحا على تأكيد حضوره في ذهنها من خلال قوله (عندك بي
خبر) ، كما قال سابقا (تسألني من أنت وهي عليمة) . (٢)
وهكذا نلاحظ تميز الحوار في صورته القائمة على البناء الدرامي بأنه حوار متنام
متصاعد يتميز بالديناميكية والتفاعل .
وأخيرا فقد ظل شاعرنا يتحدث في قصيدته عن تجربته الغرامية المكلفة بالأسى
والحزن والألم ثم انتقل بعد ذلك إلى الفخر الصريح بذاته وقومه وذلك محاولة منه
لاسترضاء محبوبته وامتلاك قلبها واستعطافه إياها ، ولكي يجعل المتلقي في صَفِهِ ،
ويحشده لنصرته إذا ما ابت محبوبته وصاله . لقد ختم قصيدته بأجود ما قيل في
الفخر الذاتي والاجتماعي (القبلي) بقوله : أعز بنى الدنيا وأعلى ذوى العلا ...
وأكرم من فوق التراب ولا فخر .

١- دراسة أسلوبية في شعر أبي فراس الحمداني ، ص ١٦١ .

٢- السابق : ١٦٢ .

أهم المصادر والمراجع :

- ١) أبو فراس الحمداني - الشاعر الأمير - ، محمد مروة ، دار الكتب العلمية ،
بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٠ .
٢) أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي ، النعمان القاضي ، دار الثقافة
للنشر والتوزيع ، ١٩٨٢ .

- ٣) أسس النقد الأدبي عند العرب ، احسان عباس ، نهضة مصر ، مصر ، ب . ت .
- ٤) أروع ما قيل في الفخر والحماسة ، إميل ناصيف ، دار الجيل ، ط١ ، بيروت ، لبنان ، ب . ت .
- ٥) أدباء العرب ، بطرس البستاني ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٧ .
- ٦) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٨ .
- ٧) الاستعارات والشعر العربي الحديث ، سعيد الحنصالي ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ٢٠٠٥ .
- ٨) إشكالية الموت والحياة في شعر الحنفاء ، غادة جميل قرني ، دار فرحة للنشر والتوزيع ، ط١ ، مصر ، ٢٠٠٤ .
- ٩) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، احسان عباس ، دار الشرق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ١٩٩٣ .
- ١٠) تحليل النص الشعري ، فوزي عيسى ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ٢٠٠٢ .
- ١١) الترجمة الذاتية لأبي فراس الحمداني من ديوانه ، حسن محمد الربابعة ، المركز القومي للنشر ، الأردن ، ١٩٩٩ .
- ١٢) تشكيل الخطاب الشعري ، موسي ربابعة ، دار جرير للنشر والتوزيع ، ط٢ ، عمان ، ٢٠٠٦ .
- ١٣) جماليات الأسلوب ، فايز الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ط ٢ ، ١٩٩٦ .

١٤) جدلية الأفراد والتركيب ، محمد عبد المطالب ، الشركة لمصرية العالمية للنشر ، ط١ ، ١٩٩٤ .

١٥) جواهر البلاغة في العاني والبيان والبدیع ، أحمد الهاشمي ، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، ١٩٩٩ .

١٦) دراسات نقدية في الشعر العربي ، بهجت عبدالغفور الحديثي ، الإسكندرية ، مصر ، ٢٠٠٤ .

١٧) دراسات في النص الشعري - العصر العباسي - ، عبده بدوي ، دار قباء القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٠ .

١٨) ديوان أبي فراس الحمداني ، خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي ، ط٢ ، ١٩٩٤ .

١٩) الشعرية - قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي ، أحمد جاسم حسين ، الأوائل للنشر ، ط١ ، سوريا ، دمشق ، ٢٠٠٠ .

٢٠) صورة المرأة في شعر الغزل الأموي ، رفيق خليل عطوي ، دار العلم للملايين ، ط١ ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦ .

٢١) عناصر الإبداع الفني في رائية أبي فراس الحمداني ، حسين ، محمد عارف ، مطبعة الأمانة ، ط١ ، ١٩٨٨ .

٢٢) الفتوة عند العرب ، عمر الدسوقي ، دار النهضة مصر للطبع والنشر ، ط٤ ، القاهرة ، مصر ، ١٩٦٦ .

٢٣) في الأدب العباسي - الرؤية والفن - ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٥ .

- ٢٤) في القصيدة العباسية (دراسات غربية معاصرة) ، إلهام عبدالوهاب المفتي ، عالم الكتب ، ط ١ ، القاهرة ، ٢٠٠٢ م .
- ٢٥) فن نقد الشعر ، محمود الربيعي ، ص ٩٧ ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ١٩٦٨ .
- ٢٦) لسان العرب ، لابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، دار صادر ، م ١٠ ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٠ .
- ٢٧) اللغة العليا (النظرية الشعرية) ، جون كوين ، ترجمة : أحمد درويش المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٥ .
- ٢٨) اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز ، ترجمة عباس الوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، د . ط ، ١٩٨٧ .
- ٢٩) لغة الشعر - قراءة في الشعر العربي الحديث - ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، ١٩٨٥ .
- ٣٠) المدخل اللغوي في نقد الشعر ، مصطفى السعدني ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، مصر ١٩٨٧ .
- ٣١) المرأة في شعر الأعشى ، عبدالعزيز نبوي ، دار الصدر ، مصر ، ١٩٨٧ .
- ٣٢) الموت في الشعر العربي الحديث ، أحمد بكري عصلة ، مركز المخطوطات والتراث والوثائق ، ط ١ ، الكويت ، ٢٠٠٠ م .
- ٣٣) منجد الطلاب ، فؤاد البستاني ، دار المشرق ، ط ٤ ، لبنان ، ١٩٨٤ .
- ٣٤) من قضايا التراث العربي ، فتحي أحمد عامر ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ب . ت .

- ٣٥) من الصوت إلى النص نحو نسق منهجي لقراءة النص الشعري ، الأستاذ الدكتور مراد مبروك ، دار الوفاء ، ط ١ ، الاسكندرية ، ٢٠٠٢ .
- ٣٦) نصوص في الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي ، بهجت عبدالغفور الحديثي ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، مصر ، ٢٠٠٢ .
- ٣٧) نية اللغة الشعرية ، جان كوهن ، ترجمة محمد المولي ، ومحمد العمري ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٨٦ .
- ٣٨) وحدة القصيدة في النقد العربي الحديث ، بسام قطوس ، ط ١ ، دار الكندري الأردن ، ١٩٩٨ .

الرسائل الجامعية :

- خمريات أبي نواس الحمداني ومسلم بن الوليد دراسة أسلوبية ، سعاد يوسف محمد ، رسالة ماجستير ، جامعة الخليل ، ٢٠١٢ .
- دراسة أسلوبية في شعر أبي فراس الحمداني ، نهيل فتحي أحمد كتانه ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، ٢٠٠٠ م .
- سجنيات أبي فراس الحمداني دراسة أسلوبية ، نبيل قواس ، رسالة ماجستير ، جامعة العقيد الحاج لخضر ، باتنة ، الجزائر ، ٢٠٠٩ .
- روميات أبي فراس الحمداني ، دراسة جمالية ، فضيله عيسى ، رسالة ماجستير ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر ، ٢٠٠٣ .

المجلات والدوريات :

- ١ - دورة أبوفراس الحمداني ، مجموعة أبحاث الندوة المصاحبة ، احسان عباس ، علي عشري زايد ، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين ، للإبداع الشعري ، الكويت ٢٠٠٠ م .

- ٢ - من دلالات الانزياح التركيبي وجمالياته في قصيدة " الصقر " لأدونيس ، عبد
الباسط محمد الزيود ، مجلة جامعة دمشق - المجلد ٢٣ - العدد الأول ٢٠٠٧ .

دور الإعلام المرئي في تشكيل أنماط الوعي "الإجتماعي - السياسي - الثقافي" لدى الشباب في المجتمع المصري.

الباحثة

شيماء محمد أحمد عرفه

يناير ٢٠١٨

دور الإعلام المرئي في تشكيل أنماط الوعي "الإجتماعي - السياسي - الثقافي" لدى الشباب في المجتمع المصري.

الباحثة / شيماء محمد محمد أحمد عرفه

مقدمة:

لعل أبرز مظاهر عصرنا الراهن أنه عصر ثورة المعلومات والاتصالات، هذه الثورة التي تركت علامة فارقة في تاريخ الحضارة البشرية وتقدم الإنسان؛ وقد تميزت هذه الثورة المعلوماتية بظهور قنوات اتصال جديدة لا تعرف حدود ولا حواجز، فظهور البث الفضائي والإنترنت والاتصالات الفضائية حولت العالم إلى ما يشبه القرية الصغيرة. وتكمن وظائف الإعلام بمختلف وسائله في تعريف المواطنين بالقضايا الأكثر أهمية بالنسبة للمجتمع؛ كما تعمل على عرض مختلف الأفكار والتحاوور حولها^(١).

فمن ضمن الوظائف الأساسية لوسائل الإعلام تحقيق الإدراك والوعي لدى الجمهور بمشكلات المجتمع وقضاياها^(٢)، فتورة الإتصال الحديثة جعلت وسائل الإعلام شريكاً فعالاً يسهم بقدر كبير في عملية تطوير الوعي الإجتماعي والسياسي والعلمي والتربوي والثقافي^(٣).

حيث تُسهم وسائل الإعلام بشكل كبير في تنمية وعي الأفراد وزيادة معلوماتهم وتطلعاتهم، حيث تعد تلك الوسائل في الوقت الراهن مصدراً هاماً، بل وأهم مصدر نأخذ منه معارفنا ومعلوماتنا عن العالم المحيط بنا، فهي تلعب دوراً مؤثراً في تشكيل

(١) عزام محمد الجولي، الإعلام الإجتماعي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٤، ص ٩١.

(٢) فتحي حسين عامر، علم النفس الإعلامي، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٢، ص ١٣٤.

(٣) علي عبد الفتاح، الإعلام الإجتماعي، اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٦، ص ٥١.

وعى المواطنين، حيث تؤثر هذه الوسائل في الطريقة التي يدرك بها الأفراد والأمور، كما ترسم الصورة الذهنية لدى الأفراد عن الدول، والمواقف، والقضايا، والأحداث^(١)؛ حيث يقوم الإعلام المرئي بتشكيل الوعي الجماعي وصناعة الواقع من خلال التأثيرات العديدة التي تتركها الصورة على سلوك الفرد، حيث تتلاعب وسائل الإعلام بالصور لتغرس أفكاراً ومعتقدات تتناغم وتتناسق مع القوى الفاعلة في المجتمع محلياً ودولياً^(٢).

أولاً: مشكلة الدراسة:

ويتضح مما سبق مدى تأثير وسائل الإعلام المرئية في تشكيل وعي المجتمع حيث تنطلق هذه الدراسة من التساؤل الرئيسي التالي : ما هو الدور الذي يلعبه الإعلام المرئي في تشكيل وعي الأفراد في المجتمع المصري ؟ ، حيث تعتبر وسائل الاعلام المرئي " التليفزيون - الفضائيات - الانترنت - المحمول" من أهم الوسائل المؤثرة في تشكيل الوعي، وقد دفع ذلك الباحثين إلى الإهتمام بما تقدمه وسائل الإعلام وتتبع الآثار التي يمكن أن تتركها المادة الإعلامية، ومضامينها في أنماط تفكير، وسلوك الجمهور المتلقي للمادة الإعلامية .

لهذا فإن هذه الدراسة تحاول تتبع أثر إنتشار وسائل الإعلام المرئية، ودراسة تأثيرها على وعي الأفراد، بهدف الوقوف على النتائج المترتبة على تعرض الأفراد لها، وبمعنى أدق التوصل إلى نتائج علمية وعملية عبر الدراسة الموضوعية، والميدانية

(١) أحمد العاقد، من نسق الإنغلاق إلى نسق الإنفتاح عن التواصل الثقافي القنوات الفضائية، المجلة العربية للثقافة، السنة السادسة عشر، ع٣٣، تونس، ١٩٩٧، ص٦٨.

(٢) محمد قيراط، تشكيل الوعي الإجتماعي: دور وسائل الإعلام في بناء الواقع وصناعة الرأي العام، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ٢٠٠٧، ص١٥.

لأهم تأثيرات وسائل الإعلام على جوانب الحياة الإجتماعية والسياسية والثقافية والصحية والدينية والبيئية للأفراد؛ والوصول إلى نتائج وتوصيات عامة لتفعيل دور الإعلام للإرتقاء بوعي الأفراد.

ثانياً: أهمية الدراسة:

١- الأهمية العلمية:

- ١- إثراء مجال البحث العلمي في فرع من فروع علم الإجتماع وهو علم الإجتماع الإعلامي.
- ٢- رصد الدور الذي يلعبه الإعلام المرئي في تشكيل وعي الأفراد في المجتمع المصري.
- ٣- تحليل الواقع الإعلامي في ضوء التغيرات التي تنتج عنه.

٢- الأهمية التطبيقية:

- ١- الإسهام في تقديم تصور مقترح لأهم السلبيات الناتجة عن الإعلام المرئي في المجتمع.
- ٢- التأكيد على أهمية الوصول إلى إستراتيجية واضحة لتحقيق هدف أساسي للإعلام للوصول الى سياسة إعلامية هادفة تعمل على تنمية الفرد والمجتمع وصقل وعيه تجاه قضاياها الأساسية.
- ٣- ضرورة تخصيص وحدات أو أقسام داخل مراكز البحوث الإجتماعية والتربوية، تتولى رصد الظواهر الثقافية- الإجتماعية المستجدة، المصاحبة للتغير الإجتماعي والتقدم التكنولوجي، كالمعلوماتية، والانترنت، والهواتف النقالة، والهندسة الوراثية.. الخ، وتشخيص التأثيرات المتبادلة بين تلك الظواهر وعناصر البناء

الاجتماعي، وإنعكاساتها علي الأفراد، وتقديم الحلول الفورية لمواجهة آثارها، ونشر ثقافة متكاملة الجوانب حيال ترشيد إستخدامها.

ثالثاً: أهداف الدراسة:

تتطلق هذه الدراسة من هدف رئيسي :

١- التعرف على بعض أشكال الوعي في المجتمع المصري والدور الذي يلعبه الإعلام المرئي في تشكيل هذا الوعي.

و يتفرع من هذا الهدف الرئيسي عدة أهداف فرعية:

- ١- التعرف على دور الإعلام المرئي في تشكيل الوعي الإجتماعي.
 - ٢- التعرف على دور الإعلام المرئي في تشكيل الوعي السياسي.
 - ٣- التعرف على دور الإعلام المرئي في تشكيل الوعي الثقافي.
 - ٤- التعرف على دور الإعلام المرئي في تشكيل الوعي الصحي.
 - ٥- التعرف على دور الإعلام المرئي في تشكيل الوعي الديني.
 - ٦- التعرف على دور الإعلام المرئي في تشكيل الوعي البيئي.
- ٢- تقديم رؤية إستشرافية لدور الإعلام المرئي في تشكيل وعي حقيقي لإفراد المجتمع.

رابعاً: تساؤلات الدراسة:

تسعى هذه الدراسة الى الاجابة عن تساؤل رئيسي:

١- ما هو الدور الذي يلعبه الاعلام المرئي في تشكيل بعض أشكال الوعي لأفراد المجتمع المصري؟

و من ثم الاجابة عن تساؤلات فرعية:

١- كيف يؤثر الاعلام المرئي على تشكيل الوعي الاجتماعي لأفراد المجتمع المصري؟

- ٢- كيف يؤثر الاعلام المرئي على تشكيل الوعي السياسي لأفراد المجتمع المصري؟
- ٣- كيف يؤثر الاعلام المرئي على تشكيل الوعي الثقافي لأفراد المجتمع المصري؟
- ٤- كيف يؤثر الاعلام المرئي على تشكيل الوعي الصحي لأفراد المجتمع المصري؟
- ٥- كيف يؤثر الاعلام المرئي على تشكيل الوعي الديني لأفراد المجتمع المصري؟
- ٦- كيف يؤثر الاعلام المرئي على تشكيل الوعي البيئي لأفراد المجتمع المصري؟
- ٢- كيف يمكن تفعيل دور وسائل الاعلام المرئي للإرتقاء بمستوى الوعي لدى

أفراد المجتمع المصري؟

خامساً: مفاهيم الدراسة:

الإعلام Media:

هو عملية نقل ونشر المعلومات والأخبار والآراء إلى الجماهير مع ذكر مصادرها لخدمة الصالح العام، ويقوم على مخاطبة عقول الجماهير وعواطفهم عن طريق المناقشة والحوار والإقناع، فالإعلام بمفهومه الأبعد هو التعريف بقضايا العصر ومشكلاته وكيفية معالجتها في ضوء النظريات والمبادئ المعتمدة لدى كل نظام أو دولة من خلال وسائل الإعلام المتاحة داخلياً وخارجياً والسياسات الإعلامية والإتصالية المطبقة^(١).

كما يعرف الإعلام بأنه " كل قول أو فعل قصد به حمل حقائق أو مشاعر أو عواطف أو أفكار أو تجارب قولية أو سلوكية شخصية أو جماعية إلى فرد أو

(١) مي العبد الله، عبد الكريم شين، المعجم في المفاهيم الحديثة للإعلام والإتصال، المشروع العربي لتوحيد المصطلحات، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ٢٠١٤، ص ٤٥.

جماعة بغية التأثير"؛ وهو "نقل المعلومات والمعارف والثقافات الفكرية والسلوكية بطريقة معينة من خلال وسائل الإعلام بقصد التأثير"^(١).

الإعلام المرئي Visual Media:

هو "ذلك الجانب من الإعلام الذي يتعامل مع الصورة والصوت والحركة واللون والإيقاع، ويمارس البث تحت هذا العنوان ثلاثة مصادر أساسية هي: التلفزيون والفيديو والسينما"^(٢). كما تعرفه "نجلاء فتحي" بأنه "الوسيلة التي تقوم بنقل الخبر أو وجهة النظر من طرف لآخر من خلال الوسائط المرئية المعروفة"^(٣).

فالإعلام المرئي هو ذلك الإعلام الذي يعتمد على حاسة البصر أو "الرؤية" ومخاطبة العين والأذن في تسجيل ونقل الأفكار والآراء والاتجاهات والمشاعر، فهو يجمع بين المسموع والمنظور بإستغلال الصورة والحركة والصوت والألوان معاً بتداخل وتفاعل وسائط تكنولوجية متعددة^(٤).

التعريف الإجرائي للإعلام المرئي:

هو وسيلة من وسائل الإتصال الجماهيري التي تتواصل مع الأفراد عن طريق الصورة والصوت والحركة مما يجعلها أكثر إستخداماً وبالتالي أكثر تأثيراً في تشكيل

(١) سيد شنقيطي، مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى؛ ١٩٨٦، ص ١٧-١٨.

(٢) خالد حبيب الراوي، الإعلام المرئي والعنف، كلية الآداب، قسم الإعلام، جامعة بغداد، ١٩٩٤، ص ١٠.

(٣) نجلاء فتحي محمود، دور الإعلام المرئي في مواجهة قضية الأمية، أعمال المؤتمر الدولي: الإعلام ورهان التنمية-مختبر اللغة والتواصل وتقنيات التعبير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرارز، المغرب، ٢٠١٦، ص ٣٤.

(٤) أمينة حسين محمد، الأحكام الفقهية المتعلقة بوسيلة الإعلام المرئي، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٩، ص ١٦.

وعي الأفراد وتتمثل في وسائط متعددة منها التلفزيون والفضائيات والإنترنت والهاتف المحمول.

الوعي Awareness:

يرجع أصل كلمة وعي إلى الكلمة اللاتينية "Constiata" وهي كلمة مركبة تعني معرفة الموضوع من قبل الشخص، أي يعد هذا الموضوع مرجعاً للشخص نفسه؛ ويقابلها في اللغة الإنجليزية كلمة "Awareness" وتعني جميع الخبرات العقلية الخاصة بالفهم^(١).

وقد عرف قاموس علم الاجتماع الوعي بأنه "إتجاه عقلي إنعكاسي يمكن الفرد من الوعي بذاته وبالبيئة المحيطة به بدرجات متفاوتة من الوضوح والتعقيد"^(٢). كما يعرف الوعي عند "جيل فيربول" بأنه "هذه المجموعة من المعتقدات والمشاعر التي يتقاسمها متوسط أعضاء المجتمع والتي تعد عامل تكامل وإتساق إجتماعيين وتشكل نظاماً محدداً له حياته الخاصة، ولا تقدر دلالاته إلا من نمط التضامن السائد"^(٣).

كذلك يعرف "أحمد زكي بدوي" الوعي بأنه "إدراك المرء لذاته ولما يحيط به إدراكاً مباشراً، فهو أساس كل معرفة"^(٤).

التعريف الإجرائي للوعي:

(2) Selling man GA Edwin, "Encyclopaedia of the Social Science", New York, Vol4, 1977, p.212.

(٣) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، ١٩٨٨، ص ٨٨.

(٣) جيل فيربول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ترجمة: انسام محمد الاسعد، دار الهلال للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١، ص ٦٢.

(٢) أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية، مرجع سابق، ص ٨١.

هو مجموعة المعارف والقيم والسلوكيات التي يكتسبها الفرد من خلال تعرضه لوسائل الإعلام المختلفة والتي تشكل شخصيته وآراءه واتجاهاته وتؤثر في علاقاته بأفراد المجتمع الذي يعيش فيه.

سادساً : نوع الدراسة:

تتنمي هذه الدراسة إلى نمط الدراسات الوصفية Descriptive Research والتي تستهدف دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بظاهرة أو موقف أو مجموعة من الأفراد، وتستهدف تقرير خصائص ظاهرة معينة أو موقف معين يغلب عليه صفة التحديد، وتعتمد على جمع الحقائق وتحليلها وتفسيرها لإستخلاص دلالاتها، ومن ثم تمكنا من إصدار تعميمات بشأن الظاهرة التي نقوم بدراستها^(١)، وتهدف هذه الدراسة إلى وصف وتحليل دور الإعلام المرئي بوسائله المختلفة (التلفزيون - الفضائيات - الإنترنت - الهاتف المحمول) في تشكيل بعض أشكال الوعي (الإجتماعي - السياسي - الثقافي - الصحي - الديني - البيئي) لأفراد المجتمع المصري لإستخلاص النتائج في ضوء تساؤلات وأهداف الدراسة.

سابعاً : منهج الدراسة:

١- منهج المسح الإجتماعي:

إعتمدت هذه الدراسة على منهج المسح الإجتماعي بالعينة حيث أن مجتمع الدراسة ممتد ويصعب حصره حصراً شاملاً، ويمثل المسح الإجتماعي واحداً من أشهر طرق البحث الإجتماعي الكمي ويقصد به "عملية جمع البيانات بطريقة منظمة من جمهور مجتمع معين أو عينة منه عن طريق إستخدام أدوات الإستبيان

(١) محمد ياسر الخواجة، البحث الإجتماعي: أسس منهجية وتطبيقات عملية، مرجع سابق، ص ٣٢.

والمقابلة وغيرها، ويجري المسح الإجتماعي للحصول على المعلومات الإحصائية حول قضية معينة أو مشكلة تحتاج إلى حل أو لإختبار فعالية نظرية موجودة، وهذا يشمل على قياس ظواهر مختلفة وإستخلاص نتائج حولها لتأكيد نمط من علاقة السبب والنتيجة، وتتمثل أهمية المسح الإجتماعي في إعتباره أحد الطرق التي يفضل إستخدامها في البحوث الوصفية، تلك التي تهدف إلى تقديم صورة كاملة عن الموقف الإجتماعي^(١)، كما انه يعتبر من أبرز المناهج المستخدمة في مجال الدراسات الإعلامية.

٢- منهج تحليل المضمون:

وهو عملية تحليل منظم لأي رسالة إتصالية اياً كان نوعها، كما يعرف بأنه أسلوب للبحث يهدف إلى الوصف الموضوعي المنظم والكمي للمحتوى الظاهر للإتصال (ويقصد بالإتصال كل المعاني التي يعبر عنها بالرمز أو الكلمة أو الصوت أو الصورة) ويهدف إلى الإجابة عن تساؤلات مثل : من الذي يقول وماذا ولمن وكيف وماهي الآثار المترتبة على ذلك؟ ، ويشتمل على وصف وتحليل المادة الإعلامية المقدمة لكي يكشف عن مضمونها^(٢).

وإعتمدت الدراسة الحالية على منهج تحليل المضمون بهدف تحليل محتوى المادة الإعلامية المقدمة في عينة من البرامج الإجتماعية والثقافية والسياسية والدينية والصحية المقدمة عبر الفضائيات المصرية والتي تم إختيارها من قبل عينة الدراسة

(١) علي عبد الرازق جليبي، المناهج الكمية والكيفية في علم الإجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠١٢، ص-ص ١٢٨-١٣٧، ١٣٠.

(٢) المرجع نفسه، ص١٤٢.

بهدف التعرف على مضمون هذه البرامج للكشف عن الدور الذي تلعبه في تشكيل وعي الجمهور حول القضايا المختلفة التي تتناولها.

ثامناً : أدوات الدراسة: استخدمت الدراسة الأدوات الآتية:

١- **الإستبيان Questionnaire** : بما أنه المنهج المستخدم هو منهج المسح

الإجتماعي فإن الأداة التي تم إستخدامها هي أداة الإستبيان، حيث تم تصميم إستمارة إستبيان لقياس مدى تأثير وسائل الإعلام المرئية في تشكيل وعي الشباب طبقاً لأهداف الدراسة وتساؤلاتها وتم تطبيقها على عينة الدراسة، وتتكون الإستمارة من ثلاثة محاور رئيسية تتناول متغيرات الدراسة.

٢- **إستمارة تحليل المضمون:**

كذلك تم الإستعانة بإستمارة تحليل المضمون كأداة لجمع البيانات الخاصة بتحليل مضمون المادة الإعلامية المقدمة في البرامج التي تم إختيارها، فهو أداة تستخدم لوصف المحتوى الظاهر والمضمون الصريح للمادة الإعلامية المراد تحليلها من حيث الشكل والمضمون^(١). وتهدف إستمارة تحليل المضمون إلى الكشف عن مضامين المادة الإعلامية المقدمة في البرامج المختارة من حيث المضمون والإسلوب والأهداف والشكل واللغة.

تاسعاً: عينة الدراسة: تم إختيار عينتين للدراسة:

العينة الأولى: العينة البشرية:

- وهي عينة عشوائية بسيطة بلغ قوامها ١٥٠ مفردة من شباب مدينة الفيوم من الذكور والإناث تتراوح أعمارهم من ١٨ - ٣٥ سنة.

(١) محمد عبدالله مكازي، الخطاب الديني في الفضائيات العربية: دراسة في سوسولوجيا التأثير على الشباب الأردني، رسالة دكتوراة، مرجع سابق، ص ٧٨.

العينة الثانية: العينة الإعلامية:

- وهي عينة من البرامج التي تقدم حالياً عبر الفضائيات المصرية في مجالات مختلفة " إجتماعية وثقافية - سياسية - صحية - دينية "، وقد تم إختيار هذه البرامج بإعتبارها البرامج الأكثر مشاهدة من قبل عينة الدراسة.

عاشراً : مجالات الدراسة:

١- المجال البشري: تم إجراء الدراسة على عينة من شباب مدينة الفيوم بلغ قوامها ١٥٠ مفردة من الذكور والإناث من سن ١٨ - ٣٥ سنة.

٢- المجال المكاني: تم إجراء الدراسة في مدينة الفيوم نظراً لإنتهاء الباحث لهذه المحافظة وإقامته فيها مما يسهل الوصول لأفراد العينة والتفاعل معهم.

٣- المجال الزمني: وقد تحدد هذا المجال وفقاً لما أستغرقته مراحل البحث المختلفة وهي كالآتي:

أ- مرحلة الإعداد النظري وقد بدأها الباحث في مارس ٢٠١٧ وإنتهى من إعدادها وصياغتها في ديسمبر ٢٠١٧.

ب- مرحلة الإعداد للعمل الميداني وتنفيذه وتضمنت :

١- تصميم أدوات البحث (إستمارة الإستبيان - إستمارة تحليل المضمون) وطرحها للتحكيم .

٢- مرحلة إختبار صدق وثبات الأداة.

٣- مرحلة جمع البيانات من المبحوثين.

٤- مرحلة المتابعة الإعلامية للبرامج.

- وتم البدء في هذه المرحلة في يناير ٢٠١٨ إلى أبريل ٢٠١٨.

ج- مرحلة تفرغ البيانات ثم جدولتها وتحليلها إحصائياً.

د- أما المرحلة الأخيرة فهي مرحلة تحليل البيانات وتفسيرها وكتابة التقرير النهائي للبحث ونتائجه.

دور الإعلام المرئي في تشكيل الوعي الاجتماعي:

تمثل وسائل الإعلام أحد أهم الروافد التي لها تأثير مباشر في تشكيل الوعي الاجتماعي لدى مختلف فئات المجتمع؛ فهي الأكثر فاعلية في توصيل المعلومات حيث لا يقتصر دورها على تزويد الأفراد بالمعلومات حول القضايا والأحداث التي تجري من حولهم فحسب بل تزودهم كذلك بمنظور معين وبإطار محدد لتلقي هذه الأحداث والقضايا وتفسيرها وتحليلها؛ ومن ثم أصبحت وسائل الإتصال الجماهيري أداة حقيقية تسهم في صنع الوعي الاجتماعي وتبني الواقع وفق آليات معينة وأطر محددة لتحقيق أهداف مدروسة وموضوعة مسبقاً؛ فهناك ميكانيزمات وإتفاقيات توظفها وسائل الإتصال الجماهيري في عملية التنميط والقبولبة للمحافظة على النظام والوضع الراهن وصناعة وعي إجتماعي يتناغم مع أيديولوجية القوى السياسية والإقتصادية وأهدافها الفاعلة في المجتمع؛ حيث شكلت المؤسسة الإعلامية كأداة أيديولوجية دوراً هاماً في تشكيل الوعي الاجتماعي للجماهير مقارنة بالمؤسسات الأخرى وذلك لما توفره من قدرة على

الإتصال الفوري من خلال وسائلها المختلفة^(١).

ويعد الإعلام في العصر الحديث أحد أهم أدوات تشكيل الوعي بقضايا ومشكلات المجتمع، وعملية تشكيل الوعي من خلال وسائل الإعلام دائماً ما تتحكم بها مصالح القوى المسيطرة على هذه الوسائل سواء كانت قوى سياسية أو إقتصادية،

(١) لبنى محمد فتوح وآخرون، الروافد الرئيسية في تشكيل الوعي الاجتماعي، بحث منشور في مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، المجلد ٢١، العدد الثالث، ٢٠١٥، ص-ص ١٢٤-١٢٥.

فالقوى السياسية تسيطر دائماً على وسائل الإعلام الرسمية؛ في حين تفرض القوبا لإقتصادية هيمنتها على وسائل الإعلام الخاصة المملوكة لها. فإذا كان من مصلحة هذه القوى السياسية والإقتصادية المهيمنة على وسائل الإعلام كشف حقائق الواقع الإجتماعي فإنها تسعى إلي تشكيل وعي إجتماعي حقيقي بقضايا ومشكلات المجتمع، فمن خلال وسائل الإعلام يتم جذب إنتباه الجمهور وتوجيه إهتمامه لقضايا معينه؛ ومن هنا تتضح أهمية وخطورة الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام الحديثة في عمليه تشكيل الوعي بقضايا ومشكلات المجتمع في الوقت الراهن^(١).

فوسائل الإعلام لها تأثير واضح علي تشكيل الوعي الإجتماعي، حيث يعمل النظام الإعلامي للمجتمع من خلال ما يتبناه من إتجاهات فكرية، وأيديولوجية، وطبقية على صياغة وعي الأفراد، ويعتمد ذلك على وسائل الإعلام نفسها، وأساليب تلك الوسائل في معالجة الرسالة الإعلامية^(٢)؛ وهنا يبرز عالم الإجتماع "ميلز" خطورة وسائل الإعلام الجماهيرية وكيفية تأثيرها في صياغة، وتشكيل أفكار الأفراد والتأثير في آرائهم، وتكوين وعيهم الاجتماعي، حيث قال: "إن جانباً ضئيلاً فقط مما نعرفه من حقائق إجتماعية عن العالم قد توصلنا إليه بأنفسنا، والجانب الأكبر عن طريق وسائل الإعلام، والاتصال الجماهيري"^(٣). حيث تعتبر وسائل الإعلام منتجاً

(٢) محمد سيد أحمد، الإعلام وتجريف العقل الجمعي: في مرحله التحول الديمقراطي، اطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، مصر، الطبعة الأولى؛ ٢٠١٥، ص ١٦.

(١) موسى عبد الرحيم، مدخل إلى علم الإجتماع، مكتبة ومطبعة دار المنار، غزة، فلسطين، ٢٠٠٣، ص ١٨٤.

(٢) Charles R. Mills, "the power elite". Oxford University: London, 1969, p.311.

اجتماعياً حيث يتفاعل عن طريقها عشرات الأشخاص حول العالم وذلك من خلال ما تقدمه من معلومات ومعارف حول مختلف القضايا في المجتمع^(١).

فوسائل الإعلام لها دور كبير في تشكيل وعي الأفراد اجتماعياً لأنها تحدد الصورة الذهنية لدى الأفراد عن قضايا المجتمع وأحداثه؛ فالإتصال عملية إجتماعية تجري في بيئة معينة تؤثر فيها وتتأثر بها^(٢). حيث يمثل الوعي الاجتماعي إيجاباً إيجابياً يمكن الفرد من تكوين القيم التي تدفعه إلى المشاركة البناءة في المجتمع فضلاً عن قيامه بأداء واجباته^(٣). فالوعي الاجتماعي يحمل في طياته معظم الأفكار والنظريات والتصورات والآراء التي تتميز من حيث شكلها الخارجي ومحتواها؛ لذا فهو يضم أشكال مختلفة تختلف تبعاً لمحتوى الأفكار والتصورات والنظريات المكونة لها بالإضافة الى الدور الذي يقوم به كل شكل منها في المجتمع وتتمثل هذه الأشكال في الوعي السياسي والوعي الديني والوعي الصحي والوعي الثقافي وغيرها من أشكال الوعي^(٤)، فالوعي الإجتماعي هو وعي عام يشتمل على إحاطة

(٣) Jaap Van Ginneken, "Collective Behavior and Public Opinion", Rapid Shifts in Opinion and Communication, Routledge, London, 2003, P.55.

(٤) علي السيد أحمد، دور موقع الفيس بوك في تشكيل الوعي الإجتماعي لدى طلاب الإعلام التربوي، مجلة كلية التربية للعلوم التربوية، العدد الأربعون، الجزء الأول، كلية التربية، جامعة عين شمس، ٢٠١٦، ص ٤٤٩.

(١) لبنى محمد فتوح وآخرون، الروافد الرئيسية في تشكيل الوعي الاجتماعي، مرجع سابق، ص ١٠٥.

(٢) أ.ك. أوليدوف، الوعي الاجتماعي، ترجمة: ميشيل كيلو، الطبعة الثانية، دار بن خلدون، بيروت، ١٩٨٢، ص ٥٨.

الأفراد بمجمل القضايا الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية والصحية التي لها دخل في حياتهم^(١).

ووسائل الإعلام أيضاً قد تعمل على تزييف هذا الوعي، وذلك عندما تستخدم هذه الوسائل في تحريف الحقائق وتشويهها كإحلال الأكاذيب محل الحقائق أو كمنشأ أحداث ليس لها أهمية حقيقية، أو كمزج أمور سطحية مع أمور ذات أهمية أو كأن تلتزم وسائل الإعلام الصمت تجاه بعض الأحداث لأنها لا تهم الجمهور من وجهة نظر القائمين على هذه الوسائل أو لأن السلطة الحاكمة ترى أنه من المصلحة إخفاؤها من أجل الحفاظ على سيطرتهم الاجتماعية؛ فالحكام لا يلجأون إلى التضليل الإعلامي إلا عندما يبدأ الشعب في الظهور كإرادة اجتماعية في مسار العملية التاريخية^(٢).

حيث تقوم وسائل الإعلام بدور مزدوج في عملية تشكيل الوعي الاجتماعي، ففي بعض الأحيان تقوم بدور هام وفعال في تشكيل الوعي الاجتماعي؛ وفي أحيان أخرى كثيرة ينحرف هذا الدور ليكون أداة لتزييف الوعي الاجتماعي متأثراً

(٣) عبدالله بو جلال، الإعلام والوعي الاجتماعي لدى الشباب الجزائري: دراسة ميدانية على عينة من شباب المدارس الثانوية والجامعات، رسالة دكتوراة، كلية الاعلام، جامعة القاهرة، ١٩٨٩، ص ٦٨. (١) هيريت. أ. شيلر، المتلاعبون بالعقول، ترجمة: عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، ١٠٦، الكويت، ١٩٩٩، ص ٦.

بأيديولوجيه النخبة السياسية والإقتصادية المسيطرة علي وسائل الإعلام^(١). حيث يمكن التلاعب بالوعي الإجتماعي من خلال وسائط الإتصال والإعلام^(٢). فوسائل الإعلام التي تقتحم كل بيت والتي تخاطب أفراد الأسرة جميعاً تستطيع أن تقوم بدور بالغ الأهمية في نشر الوعي بقضايا ومشكلات المجتمع أو في هدمها سواء كان من خلال ما تقدمه من مشكلات وقضايا مباشرة أو عن طريق البرامج التي تبث فيها هذه المشكلات والقضايا بصورة غير مباشرة وهو الأغلب^(٣). ويبرز هذا الدور بشكل أكبر في إطار المجتمعات النامية ومنها المجتمع المصري حيث يستقي المواطن الكثير من معلوماته ومعارفه بواسطة وسائل الإعلام خاصة المرئية في ظل إرتفاع نسبة الأمية^(٤).

ويأتي التلفزيون على رأس هذه الوسائل وذلك لما له من تأثير كبير على الفرد والمجتمع؛ الأمر الذي جعله يفوق غيره من وسائل الإعلام الأخرى من صحافة وراديو وغيرها^(٥). بالإضافة إلى وسائل الإعلام الجديد كالمواقع الإلكترونية وشبكات التواصل الإجتماعي التي تُسهم بشكل كبير جداً في الإرتقاء بالوعي الإجتماعي للأفراد بما تقدمه من أشكال ومضامين بطريقة جذابة ومشوقة وبأسلوب سهل ومقنع

(٢) محمد سيد أحمد، الإعلام وتجريف العقل الجمعي: في مرحله التحول الديمقراطي، مرجع سابق، ص ١٥.

(٣) Michele J. Gelfond, Jeanne M. Brett, "The Hand Book of Negotiation and Culture", Stanford Business Books, An Imprint of Stanford University Press, Stanford, California, 2004, p.345.

(٣) محمد سيد أحمد، الإعلام وتجريف العقل الجمعي: في مرحله التحول الديمقراطي، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٤) محمد سيد أحمد، السياسة والإعلام والمجتمع، اطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، مصر، الطبعة الأولى؛ ٢٠١٧، ص ٣٥.

(٥) ابنى محمد فتوح وآخرون، الروافد الرئيسية في تشكيل الوعي الاجتماعي، مرجع سابق، ص ١٢٧.

جعل لها جماهيرية كبيرة خاصة بين جيل الشباب^(١). فمواقع التواصل الإجتماعي لديها العديد من المزايا مثل شمولية الاستخدام والسرعة والوصول الواسع النطاق والتفاعل وعدم وجود حواجز فكرية ولا جغرافية، ومن هنا يمكن إستغلال هذه القنوات لتغيير الوعي الإجتماعي للجماهير^(٢).

وفي النهاية؛ سيظل الوعي الإجتماعي موضوعاً هاماً وخطيراً وقضية علمية وسياسية بل وأخلاقية في نفس الوقت؛ فنضج هذا الوعي هو المدخل الحقيقي لتحقيق إرادة الإنسان و تحريرها؛ وضماناً لكل إمكانات التحدي و بناء المجتمع وتميمته^(٣). والإعلام بقدرته على الحراك ومخاطبة السواد الأعظم من التكوين المجتمعي يمتلك الإمكانية في التأثير على تشكيل هذا الوعي بصورة غير مباشرة بإعتباره المروج الرئيسي للفكر والثقافة للأفراد إلى جانب الأسرة والمؤسسات التعليمية والمؤسسات المدنية^(٤). فوسائل الإتصال الجماهيري هي التي تنتج الوعي الإجتماعي وهي التي تكرر القيم والعادات والتقاليد والنسق القيمي والأخلاقي في المجتمع^(٥).

(١) علي السيد أحمد، دور موقع الفيس بوك في تشكيل الوعي الإجتماعي لدى طلاب الإعلام التربوي، مرجع سابق، ص ٤٤٦.

(2) Mike Kennt, Katie Ellis, "CHINESE Social Media: Social, Cultural, and Political Implications", Routledge Research in Digital Media and Cultural in ASIA, New York, 2018, p.179.

(٣) محمد سيد أحمد، الإعلام وتجريف العقل الجمعي: في مرحلته التحول الديمقراطي، مرجع سابق، ص ١٥.

(٤) لبنى محمد فتوح وآخرون، الروافد الرئيسية في تشكيل الوعي الإجتماعي، مرجع سابق، ص ١٣٠.

(٥) عزام محمد الخولي، الإعلام الإجتماعي، مرجع سابق، ص ٩٠.

وبالتالي فالقدرة على الاتصال والتواصل وصناعة الرأي العام من خلال تكنولوجيا الاتصالات ووسائل الاعلام هي أساس كسب المعركة في الميدان، معركة أصبحت تتمحور حول السلوك والوعي الاجتماعي أكثر من أي شيء آخر^(١).

دور الإعلام المرئي في تشكيل الوعي السياسي:

تلعب وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري دوراً فعالاً في تنمية الوعي السياسي للمواطنين من خلال تسليط الضوء على القضايا والأحداث السياسية وتحليلها وشرح أبعادها مما يجعل المواطنين على دراية بما يجري حولهم من أحداث مما يساهم في دفعهم نحو تكوين الرأي والموقف السياسي السليم^(٢). حيث يؤدي الإعلام دوراً كبيراً في تشكيل الوعي السياسي للأفراد عن طريق تزويدهم بالمعلومات السياسية، كما يساهم في تكوين وتدعيم أو تغيير ثقافتهم السياسية وإستعدادهم للعمل العام^(٣)؛ ويعد تشكيل الوعي السياسي هو المرحلة الأولى من مراحل المشاركة السياسية التي تتدرج من الإهتمام السياسي إلى المعرفة السياسية ثم التصويت السياسي وأخيراً المطالب السياسية^(٤).

ويعتبر الوعي السياسي أساس نجاح المجتمعات وإستقرارها؛ إذ أن إنعدام الوعي السياسي والثقافي للمواطنين يهدد بناء المجتمع، وأن الإستخدام الأمثل لوسائل

(١) محمد قيراط، تشكيل الوعي الاجتماعي: دور وسائل الاعلام في بناء الواقع وصناعة الرأي العام، مرجع سابق، ص ١٧.

(٢) حسين علي إبراهيم، قضايا الديمقراطية في الصحافة العربية: دراسة تحليلية، كلية الإعلام، الجامعة العراقية، الطبعة الأولى، ٢٠١٤، ص ٦١.

(٣) هويدا مصطفى، الإعلام والمشاركة السياسية "المقومات والإشكاليات"، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، مركز الرأي العام بكلية الإعلام، جامعة القاهرة، أبريل ٢٠٠٠، ص ٣٢٥.

(٤) إيناس أبو يوسف، الوعي السياسي والانتخابي لدى طلاب الجامعات، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، المجلد الثاني، العدد ٢٠٠١، ص ٧٢.

الإعلام يجب أن يدعم التوعية السياسية من خلال تهيئة المناخ المناسب لها وتأهيل الجمهور بالشكل الملائم للمشاركة السياسية في عملية إتخاذ القرار^(١). حيث تعتبر المشاركة السياسية مظهر من مظاهر النضج السياسي لدى الجماهير^(٢). فتنمية الوعي السياسي يرتبط ارتباطاً جوهرياً بثلاث قضايا أساسية أهمها ممارسة الديمقراطية، وتنشئة سياسية سليمة، ودعم المشاركة السياسية الفعالة؛ ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال جهاز اعلامي قوي قادر علي تنميتها^(٣).

حيث تُمثل وسائل الإعلام دوراً أساسياً كمصدر يستقي منه الفرد معلوماته السياسية إلى جانب

دورها في التنشئة السياسية، حيث تعمل على تعديل الإتجاهات وأحياناً تغييرها كما تشارك في تكوين القيم إضافة إلى كونها قنوات إتصال بين النخبة والجماهير وتساعد الأفراد على إدراك الموضوعات السياسية ومن ثم تزيد وعيهم السياسي من خلال زيادة حجم ونوع المعلومات السياسية وتوسيع الآفاق^(٤).

ومن هنا ظهر مفهوم الإعلام السياسي؛ وهو أحد فروع الإعلام الذي يتميز

(١) علي عبد الفتاح، الإعلام الدبلوماسي والسياسي، اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٦، ص ١٩٧.

(٢) عبد الحميد أحمد أبو سلمان، موسوعة التنشئة السياسية الإسلامية: التأصيل والممارسات المعاصرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠١٣، ص ١٠٨٤.

(٣) جمال السيد ابراهيم مجاهد، دور وسائل الاعلام في تنمية الوعي السياسي في العالم الثالث: دراسة لحالة مصر في التسعينات، رسالة ماجستير، مركز النظم للدراسات وخدمات البحث العلمي، ١٩٩٣، ص ٤٨.

(٤) محمد رضا محمد حبيب، دور وسائل الاعلام التقليدية والجديدة في التثقيف السياسي للشباب المصري: دراسة ميدانية، رسالة دكتوراة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ٢٠١٣، ص ٩١.

بقدرته علي التأثير والتغيير والإقناع، ويهتم بتغطية الموضوعات السياسية ويسعي لتحقيق أهداف سياسية ويعتبر من الأدوات الفعالة والرئيسية التي يعتمد عليها أي نظام سياسي ويستخدمه في تحقيق استراتيجياته المختلفة^(١). حيث يقوم الإعلام السياسي بشكل خاص بدور أساسي في تدعيم المفاهيم السياسية بشكل عام والربط بين الجماهير وتطبيق السياسة في صور الإطار العام لخدمة المجتمع، فعملية الاتصال تعد بمثابة الجانب المحوري في أي نظام سياسي حيث أن المعلومات تساعد الأفراد على اتخاذ قرار يترجم إلى أفعال تنفيذية فيما بعد^(٢).

وجمهور الإعلام السياسي هو جمهور مسؤول عن اختيار من يناسبه من وسائل الإعلام المتنافسة علي مصادر الإشباع المعلوماتي التي تحقق له أهدافه و متطلباته؛ وتشكل وسائل الإعلام انعكاساً للبيئة السياسية ومرآة للصراعات والتفاعلات على الصعيد السياسي وبدون هذه الوسائل لا يستطيع أفراد المجتمع خارج الحلقة السياسية الإطلاع على مجريات الأحداث السياسية^(٣).

وقد تطور الإعلام السياسي مع تطور وسائل الإعلام المختلفة إذ أصبح يهتم بكيفية توظيف وإستغلال تلك الوسائل في العملية السياسية، إذ يقوم بنقل وتحليل النشاطات السياسية وإتاحة المجال أمام السياسيين وقادة الرأي للحصول على المعلومات؛ وتلقي ردود أفعال الجمهور نحو سياساتهم وقراراتهم ومواقفهم، مما عزز العمليات والخطوات المصاحبة لصنع القرار السياسي فضلا عن إعتقاد الأفراد عليها في وإعتقادهم وإتجاهاتهم ومواقفهم المختلفة إزاء الأحداث والسياسات التي تقع داخل

(١) علي عبد الفتاح، الإعلام الدبلوماسي والسياسي، مرجع سابق، ص-ص ١٨٤-١٨٥.

(٢) حنان يوسف، نحو إعلام سياسي هادف للشباب ومواجهة خطر العولمة، مجلة الفن الإذاعي، العدد ١٥٨، ١٩٩٩، ص ٩٦.

(٣) علي عبد الفتاح، الإعلام الدبلوماسي والسياسي، مرجع سابق، ص ١٨٦.

الواقع المحيط بهم. فهناك علاقة وطيدة بين الاعلام السياسي والعملية السياسية؛ حيث تعتبر وسائل الاعلام حلقة الوصل بين الجمهور والنظام الحاكم صانع القرارات، وهذه الوسائل هي التي تسهم بدرجة كبيرة في إنجاح او فشل النظام السياسي من خلال الوظائف والانشطة السياسية التي تقوم بها.

ويعتبر التلفزيون من أكثر الوسائل الاعلامية في تحقيق أهداف الاعلام السياسي، باعتباره وسيلة مسموعة ومرئية اكثر جاذبية وتأثيرا وشعبية مقارنة بالوسائل الاعلامية الاخرى، ويعتمد عليه في طرح القضايا السياسية الهامة^(١)، كما تعتبر وسائل الإعلام الجديدة "الإنترنت وشبكات التواصل الإجتماعي" أحد أهم سبل نشر الثقافة السياسية خاصة بين جيل الشباب، حيث يعد الإعلام الإلكتروني ومواقع الإنترنت أحد مصادر الثقافة السياسية للجمهور من خلال حرية تدفق الآراء والأفكار وحرية الممارسة الإعلامية الأمر الذي ينعكس على معارف جمهورها في النهاية^(٢). وأكثر ما يميز وسائل الإعلام الجديدة عبر الإنترنت أنها تقوم على الممارسة الديمقراطية من خلال نشر الوعي السياسي عن طريق إستخدامها كوسيله لنشر الثقافة السياسية وتوعية الجمهور سياسياً مما يزيد من المشاركة النشطة للأفراد وهي خطوة أولى للتنشئة السياسية^(٣).

(١) ماجد جبارة، توظيف الإعلام السياسي في تأثير الرأي العام، صحيفة الرأي، تاريخ النشر: ١٢-٢٠١٥.

(٢) محمد رضا محمد حبيب، دور وسائل الاعلام التقليدية والجديدة في التنقيف السياسي للشباب المصري: دراسة ميدانية؛ رسالة دكتوراة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ٢٠١٣، ص ٩٣.

(٣) محمد توفيق سلام، التنشئة السياسية وتعزيز قيم الولاء والانتماء عند القائد الصغير، المجموعة العربية للنشر والتدريب، القاهرة، ٢٠١٥، ص ١١٦.

ويتوقف مستوى الوعي السياسي لدى الفرد على ثقافته السياسي حيث أن الوعي يكون نتيجة ما يتوافر من معرفة وفهم للأمور وتقييمها؛ فالفرد لا يولد لديه وعي بالعالم السياسي وإنما ينمو وعيه ويتطور خلال سنوات العمر ليصبح محصلة للمؤثرات الثقافية التي يتعرض لها؛ ويعني هذا أنه كلما توافرت الثقافة السياسية للفرد أدى ذلك إلى تنمية الوعي السياسي لديه^(١).

كما تقوم وسائل الإعلام بتفسير وقائع الإحداث ووضعها في سياقها العام وتوقع نتائجها وليس مجرد نقلها^(٢)، فالعديد من وسائل الإعلام اليوم لديها برامج سياسية خاصة تقوم فيها بالتحليل السياسي وتناول المواضيع بشكل معمق ومفصل حيث يتخذ أشكالاً وقوالب متعددة^(٣). فإرتفاع مستوى وعي الأفراد بأبعاد الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية تعد من المتطلبات الأساسية للمشاركة السياسية الفاعله، فالمشاركة السياسية تعد من الإشكاليات المهمة التي تواجه المجتمعات في طريقها نحو التنمية^(٤).

وهنا يتضح دور وسائل الإعلام في تنمية الوعي السياسي بإعتبار أن نضج الوعي السياسي هو المدخل الصحيح لتحقيق إرادة الإنسان وتحديدها؛ ويعتبر من الدعائم الرئيسية التي ترتكز عليها عملية التنمية في أي مجتمع وتحدد طبيعة هذا

(٢) عبد الله قاسم محمود، أثر الثورة المعلوماتية في نشر الوعي السياسي لدى الشباب الأردني في ظل الربيع العربي، دار الجنان للنشر والتوزيع، الأردن؛ ٢٠١٢، ص ٢٦.

(٣) Thomas E. Patterson, "The American democracy", USAMcGraw hill higher education university of Maryland, 2008, p.298.

(4) Thomas R. Dye and Harmon Ziegler, "The Irony of Democracy; an Uncommon Introduction of American Politics", California, Cole Publishing Company Pacific grove, 1989, p.184.

(١) وديع العززي، دور وسائل الإعلام في تشكيل الوعي السياسي للشباب اليمني: دراسة ميدانية على طلبة الجامعات، جامعة صنعاء، ٢٠٠٧، ص ١.

الوعي بها وأهميته وفقاً للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يمر بها المجتمع؛ فتنمية الوعي السياسي للأفراد ترتبط ارتباطاً جوهرياً بثلاث قضايا أساسية: ١- ممارسة الديمقراطية، ٢- تنشئة سياسية سليمة، ٣- دعم المشاركة السياسية الفعالة؛ ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال جهاز إعلامي قوي قادر علي تنميتها^(١).

دور الإعلام المرئي في تشكيل الوعي الثقافي:

تُشكل وسائل الإعلام المرئية في عصرنا الحاضر وبحكم طبيعتها وتفاعل الإنسان معها أداة من أدوات التنمية الثقافية نظراً لانتشارها الواسع فهي تؤدي دوراً مهماً في تنشئة الجيل وتنقيفه في مختلف المجالات؛ فوسائل الإعلام تعمل على تعميق القيم عند الأفراد وإكسابهم سلوكيات جيدة فهي تشكل قوة ثقافية من خلال ما تقدمه من قدرة على تحقيق أهداف التنمية الثقافية ونقلها من مجتمع إلى آخر. حيث تحتل وسائل الإعلام موقعا متميزاً في مجال الثقافة من خلال ما تقدمه للأفراد من معلومات ومعارف وما تبنيه من قيم واتجاهات لديهم؛ وتسهم وسائل الإعلام إلى جانب المؤسسات في المجتمع مثل الأسرة والمدرسة في عملية التنمية الثقافية فدورها لا يقل أهمية عن دور هذه المؤسسات؛ إلا أن وسائل الإعلام سلاح ذو حدين في تناولها لموضوعات الثقافة فقد تساعد المجتمع على تكوين مقومات شخصية الفرد فيه تكويناً متكاملاً اجتماعياً ونفسياً ووطنياً وأخلاقياً وقومياً إذا أحسن إستخدامها فهي توفر التغذية الثقافية لملايين الأفراد فتكون المسؤولية كبيرة ولا نقف عند حد نشر الثقافة وحسب بل يمتد دورها إلى إنتقاء الثقافة التي تريد^(٢).

(٢) جمال السيد ابراهيم مجاهد، دور وسائل الاعلام في تنمية الوعي السياسي في العالم الثالث:

دراسه لحاله مصر في التسعينات، مرجع سابق، ص ١٥٤.

(٢) تركي نصار، دور وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في التنمية الثقافية، مجلة إتحاد

الجامعات العربية للآداب، المجلد ٥، العدد الثاني، الأردن، ٢٠٠٨، ص-ص ٥٧٠-٥٧١.

فالتكنولوجيا الحديثة وثورة الاتصالات السريعة والراقية وسّعت نظرة الإنسان ورفعت مستوى الوعي لديه، فالبحث الدائم عن كل ما هو جديد هو الطريق الصحيح لرفع مستوى الوعي لدى الإنسان في شتى المجالات وعلى رأسها وعيه الثقافي، فالفن واللغة لا ينتقلان بشكل ميكانيكيّ للجيل القادم، حيث إنّهما من أهم عوامل تعميق وزيادة الوعي الثقافي ونشره خاصة عبر الوسائل المتطورة المواكبة لتكنولوجيا العصر الحديث، حينها يكون الإنسان صانعاً مبدعاً للثقافة، ويتجسد عنصر الوعي لديه في خلق وابتكار كلّ ما هو جديد^(١). فالإعلام يستطيع بسهولة إعادة صياغة القالب الثقافي للمجتمع فالثقافة ما هي إلا مجموعة الإنجازات الإبداعية للإنسان التي يتم نقلها من جيل إلى جيل ومن شعوب لشعوب أخرى عبر وسائل الإعلام^(٢). فمن ضمن مسؤوليات الإعلام الجماهيري تشكيل وفهم الوعي الثقافي، بل وتطوير هذا الوعي^(٣). فالثقافة لا تتطور بإنغلاقها على نفسها وإنما تتطور بالتبادل مع الثقافات الأخرى والحفاظ على الصلة بكل قوى التقدم الإنساني^(٤).

فوسائل الإعلام على اختلاف أشكالها قوة كبرى في صناعه الثقافة ونشرها، وبالقدر الذي تدمج به وسائل الإعلام في عملية التنشئة، تكون فعاليتها في غرس وتنمية الوعي ويكون تأثيرها على الطرق التي يكتسب بها الناس قيمهم ومعارفهم وأنواع هذه

(١) آيه ياسر نجار، مفهوم الوعي الثقافي، موقع "موضوع"، ٢٠١٧.

(٢) فوزية الشاددي، الإعلام الثقافي والتنمية، ملتقى تبوك الثقافي بعنوان "الثقافة والتنمية"، تبوك السعودية، ٢٠٠٨، ص ٦٨٧.

(٣) Yahya R. Kamalipour, Thersesa Carilli, "Cultural Diversity and the U.S. Media", State University of New York Press, Albany, U.S.A., 1998, p.9.

(٤) منير جلال؛ التكامل بين الثقافة ووسائل الإعلام والاتصال؛ المجلة العربية للثقافة؛ المجلد ١٢؛ العدد ٢٥؛ تونس؛ ١٩٩٣، ص ١٩٨.

القيم والمعارف^(١). فأدوات الإتصال الجماهيري في المجتمع هي التي تنقل الثقافة من مستوى الوعي الفردي إلى مستوى الوعي العام وبهذا تصبح الثقافة المدنية جزء لا يتجزأ من وعي الأمة، وهنا يتوجب على وسائل الإتصال الجماهيري أن تقدم خطاباً إعلامياً هادفاً يحمل في طياته قيم إجتماعية راقية تنبع من المجتمع وقيمه ومبادئه. وهذا يعني أن المؤسسات الإعلامية عبر البرامج والدراما والأفلام تعكس هموم وثقافة المجتمع المدني^(٢).

فوسائط الإتصال هي الأكثر التصاقاً بالثقافة فقد أصبحت العلاقة بين الإتصال والثقافة تتداخل وتتشابك إلى الحد الذي جعل بعض الباحثين ينظر إلى الإتصال والثقافة بإعتبارهما وجهان لعملة واحدة؛ فقد أوضح "إدوارد هال" في كتابه "The 'Silent Language' أن الثقافة إتصال على إعتبار أن العادات والتقاليد والتراث والقيم والمعارف المختلفة تنتقل بين الأشخاص والجماعات والأجيال وهذا الإنتقال هو ما يعطيها صفة الإستمرارية والبقاء في الوجود^(٣).

فمضمون وسائل الإتصال الجماهيري هو الغذاء الروحي والفكري والعقلي للثقافة وآداء هذه المؤسسات في المجتمع يعتبر سلوكاً يدعم المجتمع والثقافة، فالمجتمع في

(١) مها مصطفى بخيت محمد، دور مجلات الشباب في نشر الوعي الثقافي لدى الشباب المصري: دراسة تحليلية لمضمون مجلة الشباب في الفترة من ٢٠٠٢-٢٠٠٦، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٩، ص ٣١.

(٢) عزام محمد الجويلي، الإعلام الإجتماعي، مرجع سابق، ص-ص ٨٩-٩٠.

(٣) محمود حسن إسماعيل، دور وسائط الثقافة والإعلام في تشكيل الوعي الثقافي للطفل، مجلة الطفولة والتنمية، ١٩٩٩، ص ٤٣.

نهاية المطاف وعي وثقافة وقيم ومبادئ تترجم إلى سلوك وعمل يومي يؤمن بروح الجماعة والمصلحة العامة^(١).

نتائج الدراسة:

- ١- تلعب وسائل الإعلام المرئي دوراً هاماً في تشكيل وعي الأفراد في المجتمع المصري.
- ٢- يعتبر الإنترنت أكثر وسائل الإعلام المرئي إنتشاراً وإستخداماً بين جيل الشباب حيث إحتل المرتبة الأولى بنسبة ٩٢%؛ وبالتالي فهو أكثر تأثيراً على تشكيل آرائهم وإتجاهاتهم ووعيهم.
- ٣- تلعب وسائل التواصل الإجتماعي دوراً هاماً في نشر المعلومات حول مختلف القضايا الإجتماعية والسياسية والثقافية..... في المجتمع.
- ٤- ضعف تأثير وسائل الإعلام التقليدية "التلفزيون - الفضائيات" في عملية تشكيل الوعي خاصة بين جيل الشباب نظراً للتطور التكنولوجي والمعلوماتي.
- ٥- تدني مستويات الوعي لدى الشباب خاصة الوعي الثقافي والبيئي على الرغم من الثورة المعلوماتية الراهنة والتقدم التكنولوجي في مجال الإتصال وتكنولوجيا المعلومات.
- ٦- ضرورة وضع إستراتيجية لتفعيل دور وسائل الإعلام المختلفة للإرتقاء بمستويات الوعي لأفراد المجتمع المصري.

(١) عزام محمد الجويلي، الإعلام الإجتماعي، مرجع سابق، ص ٩٠.

دراسة مقارنة لمخازن الحبوب في مصر والشرق الأدنى القديم

د. عماد عبد العظيم عاشور

قسم التاريخ . كلية الآداب . جامعة الفيوم

يناير ٢٠١٨

دراسة مقارنة لمخازن الحبوب في مصر والشرق الأدنى القديم

د. عماد عبد العظيم عاشور

قسم التاريخ . كلية الآداب . جامعة الفيوم

مقدمة:

تُعد صوامع الغلال من أهم الوسائل التي لجأ إليها المصريون القدماء وسكان بلاد الشرق الأدنى لتخزين ما لديهم من حبوب، وإعادة استخدام هذه الحبوب مرة أخرى في أوقات الشدة عندما تنقص المياه أو تجف، ويمثل الوصول إلى فكرة تخزين الغلال تطوراً فكرياً في حضارة الشرق الأدنى، بل أخذ هذا التطور في تنمية هذه الفكرة وتطويرها من صوامع صغيرة إلى صوامع كبيرة مختلفة الشكل وليس قائمة على شكل واحد فقط، ويهدف الباحث من هذا البحث عقد مقارنة مبسطة بين الصوامع التي وجدت في مصر وغيرها من بلاد الشرق الأدنى القديم من حيث نقاط محددة، مثل تناول المصطلح في الكتابة المصرية القديمة والكتابات العراقية، والأماكن التي وجدت فيها الصوامع، والشكل التي كانت عليه، وما كان يتم تخزينه بها.

مصطلح الصومعة ومعناها :

أولاً: في الكتابة الهيروغليفية :

وردت كلمة صومعة أو شونة في الهيروغليفية باسم "شوت" بهذا الشكل  و  (١) Snwt، وكتبت أيضاً بهذا الشكل

(1) Gardiner, A., Egyptian Grammar, 3^{ed} edition, Oxford, 1979. p.84.

وتعني "صومعة غلال"، كما ذُكرت وكُتبت بهذا الشكل  و  وكُتبت بهذا الشكل 

، وأختصرت في بعض النقوش بهذا الشكل  وتعني "كومة من الحبوب" ^(١).

ثانياً : في الكتابة السومرية والبابلية، فقد أشارت الكلمة السومرية TUL_2 إلى معنى "صومعة غلال" ^(٢).

ثالثاً : في الكتابة الأكادية: وردت كلمة صومعة في الكتابة الأكادية بكلمة "ناشباكو" $na-aš-pa-ku$ ، وهي تعني صوامع الحبوب ^(٣)، أو مخزن منزلي ^(٤)، وهو مصطلح مُدرج من البابلية والآشورية القديمة ^(٥)، ولهذه الكلمة الكثير من المعاني الأخرى مثل مخزن الزيوت، ومخزن التمر، وأشارت في بعض الأحيان إلى مركب الشحن على اعتبار أنها حاويات تخزين متحركة ^(٦)، وجاءت في النصوص الأكادية أنه "إذا احتاج رجل ما لبعض الحبوب، فعليه أن يأخذ من صوامع الغلال دون إذن، ويُؤخذ منه أي شيء كرهن حتى إعادة هذه الحبوب مرة أخرى".

كما أشارت كلمة "ناشباكوتيم" $na-aš-pa-ku-tim$ إلى صوامع الغلال، وجاءت في نصوص أخرى أن "إذا قام رجل ما بتخزين الحبوب عند شخص آخر، وقام الأخير بفتح صومعة غلاله وأخذ الحبوب، فيجب على صاحب الحبوب أن يُقسم اليمين أمام الإله أن هذه الحبوب ملكه، وعلى من أخذها أن يردّها إليه" ^(٧).

(1) Gardiner, A., Egyptian Grammar, p. 498.

(2) Sumerischer Zettelkasten , LeipzigMünchner, 2006, p. 655.

(3) CAD, N, II, p. 66.

(4) Pentiuic , E., ' West Semitic Terms in Akkadian Texts from Emar ' ,JNES, 58, No. 2 (Apr., 1999), p. 95.

(5) CAD, N, II, p.66.

(6) Gadd, J.,'Tablets from Chagar Bazar and Tall Brak, 1937,38, Iraq, 7, 1940, p.53.

(7) CAD, N/II, P.70.

كما أشارت الكلمة الأكديّة "ماشكاناتي" *maškanāti* إلى معنى "أماكن التخزين"^(١)، وجاءت كلمة صومعة أيضا بلفظ "مشكانو" كلمة *maškanu*، والتي أشارت إلى "منشآت ومباني زراعية"^(٢)، والتي يرجح أنها كانت تعني صوامع تخزين، وربما كانت هذه الكلمة متدرجة من المصطلح السومري القديم "المشكينوم" *muškenum* والذي يُشير إلى الطبقات الفقيرة أو المحتاجين، وربما في ذلك رَبط بين حاجة الفقراء "المشكينوم" للحبوب وصوامعها "ماشكاناتي"، كما كانت كلمة مجرانو *magrānu* تعني "كومة الحبوب"، ومنها اشتقت كلمة "مجاتو" *magrattue* التي تشير إلى مكان تخزين الحبوب، أو مكان دَرَس الحبوب^(٣).

رابعًا في الكتابة البابلية : أشارت كلمة "ناشباكيشو" *našpakišu* في الكتابة البابلية إلى معنى الصومعة أو الشونة^(٤)، كما جاء لفظ الصومعة في خطابات تعود لعصر الملك حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م) أن شخصًا يشتكي بقوله أن "شخصًا ما فتح صوامع الغلال، وأخذ كل الحبوب التي كانت بها بعدما خزنتها"، بالإضافة إلى وجودها على ألواح من تل حرمل^(٥) تذكر "أعاد الحبوب التي أخذها إلى الصوامع"^(٦).
الصوامع"^(٦).

أهمية الصوامع ودورها :

مثلت الصوامع أهمية كبيرة بالنسبة لكثير من دول ومناطق الشرق الأدنى القديم، ففي مصر اعتمد الاقتصاد المصري بدرجة كبيرة على تجميع الحبوب والغلال وإعادة

(1) Borowski, O., ' Granaries ', OEANE, Vol 2, p. 432.

(2) CAD, M /I. p. 370.

(3) CAD, M /I, p. 46.

(4) Cohen, E., ' Review: Syntactic Marginalia in Old Babylonian', JAOS 126, No. 4 (Oct. Dec., 2006), p.557.

(٥) أحد الأطلال الأثرية، يقع على بعد ستة أميال شرق بغداد .

(6) Simmons, S., ' Early Old Babylonian Tablets from Harmal and Elsewhere (Continued)', J CunStud 13, No. 4 (1959), p. 106 .

توزيعها مرة أخرى، وفي العصر الحجري الحديث تم العثور على عدد من صوامع الغلال في الفيوم ومرمودة بني سلامة، أما عصر ما قبل الأسرات فقد عثر على صوامع الغلال في نقادة، وفي الأسرتين الأولى والثانية وُجدت صوامع الغلال في المقابر، وحوت بعض الصوامع التي كانت بجوار مقابر الأسرتين الثالثة والرابعة على عدد من النقوش تشير إلى أنه كان يتم تخزين الحبوب والفواكه بها، وفي الأسرة السادسة تطور تخزين الصوامع ليشمل ليس فقط غلال وفواكه، وإنما ليشمل بضائع أخرى مثل بعض المواد المصنوعة، وكان هناك موظف خاص بالصوامع لحمايتها والحفاظ عليها .

وفي الدولة القديمة كان الوزير يعهد لموظف لإدارة الصوامع^(١)، واتسم العمل في إدارة الصوامع في الدولة القديمة بالبيروقراطية، حيث كان هناك مراقب وكاتب ومفتش وبعض الرؤوساء الذين ينظمون العمل في الصوامع^(٢)، وكان "بي حر نفر" من عصر الدولة القديمة يحمل لقب "المراقب على كل صوامع الملك"، وكانت وظيفة *Imi-r šnwt* تشير إلى مراقب لصوامع الغلال^(٣)، ولأهمية هذا الموظف المشرف على الصوامع فقد خصص الملك تتي (٢٣٧٤ - ٢٣٥٤ ق.م) مكاناً في مقبرته للمراقب على الصوامع، بل إن الملك ببي الثاني (- ٢٢٠٦ ق.م) أنشأ عدة مقابر للمقربين منه مثل زوجاته ووزرائه، وخصّص واحدة منها لمراقب الصوامع^(٤)، وللايمعان وللإمعان في رفعة مكانة وأهمية مراقبي الصوامع فقد تم دفنهم في المقابر الملكية أيضاً^(٥). وتولى "إيبي" من عصر الملك ببي الثاني إدارة الصوامع^(٦)، وأشارت نقوش "مري نسوت" إلى أنه كان مراقباً للصوامع وحارساً لها^(٧)، ودخلت إدارة الشونة

(1) Warburton, D., 'Officials', OEAE, II, p.580.

(2) Bleiberg, E., 'Storage', OEAE, III, p.327.

(3) Roth, A., 'The Organization of Royal Cemeteries at Saqqara in the Old Kingdom', JARCE, 25 (1988), p. 204.

(4) Roth, A., *The Organization of Royal Cemeteries*, p. 209.

(5) Roth, A., *The Organization of Royal Cemeteries*, p. 213.

(6) BAR, I, p.208.

(7) Fischer, H., 'Offerings for An Old Kingdom Granary Official', DIA,

ضمن إدارة الشخص المسئول عن إدارة المخازن في الدولة القديمة pr -sna "بر - شنع" (١).

وفي عصر الدولة الوسطى ظهرت بعض الألقاب الخاصة بالصوامع وموظفيها، فكان هناك لقب "مراقب الصوامع" و "الحارس /المحافظ على الصوامع" و "مراقب سجلات الصوامع" و "كاتب الصوامع"، وكان الوزير يتولى مسئولية إدارتها (٢)، وكان "حنو" وزير الملك منتوحتب الثالث (٢٠١١-٢٠٠٠ ق.م) قد تولى منصب مراقب الصوامع بالإضافة إلى ألقابه الأخرى كما أشارت إلى ذلك نقوش وادي الحمامات (٣)، ثم تولى "منتوحتب" إدارة الصوامع من عصر الملك سنوسرت الأول (١٩٧١-١٩٢٨ ق.م) (٤)، وتوضح بعض الألقاب من عصر الدولة الوسطى وجود مخازن غلال خاصة بالمعابد، مثل لقب "رئيس أملاك شونة مونتو"، مما يشير إلى ملكية بعض الصوامع بالمعبود مونتو (٥).

وفي عصر الدولة الحديثة، أشارت نقوش "أنيني" - الذي خدم في عصر الملك تحتمس الثالث (١٥٠٤ - ١٤٥٢ ق.م) حتى عصر الملك أمنحتب الثاني (١٤٥٤-١٤١٩ ق.م) - إلى أنه كان مراقبًا للصوامع (٦)، وتولى "سنموت" إدارة "صوامع غلال آمون" في عصر حتشبسوت (١٥٠٢-١٤٨٢ ق.م) (٧)، وحمل لقب "رئيس شونتي آمون" (٨)، وجعل تحتمس الثالث الصوامع تحت إدارة "يامون-ادج-إيخ"

51, No. 2/3 (1972), p. 69.

(1) Andrassy, P., ' Das prsn im Alten Reich ', SAK, 20 (1993), pp. 17. 20.

(2) Bleiberg, E., 'Storage', p.328.

(3) BAR, I, p.208.

(4) BAR, I, p.171.

(5) Ward, W., Index of Egyptian Administration and Religions titles of the Middle Kingdom, Beirut, 1982, p. 182.

(6) BAR, II, p.19.

(7) BAR, II, p.146.

(8) URK, IV, p.1784.

Yamunedjekh، وأعطاه لقب "المراقب على صوامع مصر العليا والسفلى"، كما وُجد شخص آخر يدعى "أننف" أشارت نقوشه إلى أنه كان مراقبًا للصوامع في عهد تحتمس الثالث^(١)، كما حمل "نب آمون" لقب "رئيس شونتي آمون"^(٢)، وتولى "خع ام حت" إدارة الصوامع في عصر أمنحتب الثالث (١٤١٠ - ١٣٧٢ ق.م)^(٣)، كما حمل الموظف "نبي" لقب "رئيس شونتي آمون"^(٤)، وتولى "بانحسي" الزنجي، من عهد أمنحتب الرابع (أخناتون) (١٣٧٢ - ١٣٤٤ ق.م) لقب "رئيس شونة آتون"، ويتضح ذلك من مقبرته الصخرية في تل العمارنة^(٥)، وتولى "أمنحتب" مراقبة الصوامع في عصر رمسيس التاسع (١١٣٩ - ١٢٠٠ ق.م)^(٦)، وورد أيضا اسم شخص آخر لنفسه لنفس الملك يدعى "من ما رع ناخت" كان مسئولًا أيضًا عن الصوامع^(٧)، وفي أواخر عصر الرعامسة استمر تمركز إدارة الصوامع في يد القصر والملوك^(٨)، وفي العصر المتأخر كان "حريحور" من الأسرة الثانية والعشرين مراقبًا للصوامع^(٩).

أما في العراق فقد كانت صوامع الغلال لها دورها المهم في تخزين الحبوب والفواكه، وُجدت نماذج لتخزين الحبوب في العراق تعود للألفية السابعة قبل الميلاد في مناطق المغزلية، والجزيرة، والموصل^(١٠)، وشوروباك^(١١)، كما انتشرت صوامع الغلال

(1) BAR, II, p.299.

(2) URK, IV, p.67, 1216.

(3) BAR, II, p.351.

(4) URK, IV, p.398, 402.

(5) URK, IV, p.2002.

(6) BAR, IV, p.245.

(7) BAR, IV, p.269.

(8) Bleiberg, E., *Storage*, p.329.

(9) BAR, IV, p.302.

قدم الدكتور خالد حمزة رسالة ماجستير "منشورة" عن إدارة الشونة في مصر القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٩.

(10) Huot, J., 'The First Farmers at Oueili.' *BiblArcha* 55 (1992), p.189.

(11) Martin, H., 'Settlement Patterns at Shuruppak', *Iraq*, 45, No. 1, Papers of the 29 Rencontre Assyriologique Internationale, London, 59 July 1982 (Spring, 1983), p. 29

في حضارة العبيد في الطبقة الرابعة منها في تل العويلي^(١)، ووُجدت في موقع ملفعات والتي اتسمت صوامعها في العصر الآشوري بغناها وكثرة حبوبها بشكل ملحوظ^(٢)، ربما ربما نتج ذلك عن قوة وحضارة العصر الآشوري .

أما في فلسطين، فقد انتشرت صوامع الغلال في كثير من مناطقها، وفي العصر الحديدي وُجد العديد من صوامع الغلال الحكومية في تل الحسي ومجدو وتل القصيل وتل أبو الهوام وحازور وبئر السبع، كما وُجدت في تل الحضر^(٣)، بالإضافة إلى وجود وجود العديد من صوامع الغلال في بيت شان (بيسان)^(٤) .

وُجدت صوامع الغلال الحكومية في مجدو، وكانت عبارة عن حفر في الأرض لتخزين الحبوب^(٥)، وبالقرب من منازل كهف هايونيم^(٦) أنشئت الصوامع من الحجر، وهي تعود للفترة للحضارة في فلسطين^(٧)، كما بُنيت صوامع الغلال في أريحا من الطين، واستخدمت لتخزين الحبوب^(٨).

وفي منطقة تل الكتان^(٩) وُجدت بعض صوامع الغلال التي تم إنشائها تحت الأرض والتي وُجدت في الطبقتين الثامنة والعاشر^(١٠)، كما وُجدت الصوامع في رادنا

(1) Huot, J., *The First Farmers at Oueili*, p.192.

(2) Braidwood, L., Braidwood, B. Howe, Ch. Reed, *Prehistoric Archaeology Along The Zagros Flanks*, OIP, 105, 1983, p. 671.

(٣) موقع أثري على شاطئ الجليل.

(4) Mazar, A., 'BethShan', *OEANE*, Vol 1, p. 306.

(5) Borowski, O., *Granaries*, p. 432.

(٦) موقع أثري يقع غرب الجليل .

(7) BerYousef, O., 'Hayonim', *OEANE*, Vol 2, p. 486.

(8) T. Holland , 'Jericho ' *OEANE* ,Vol 3, p. 223.

(٩) موقع يقع على الفرع الغربي لنهر الأردن على مبعدة ١٢ كم شمال بيسان .

(10) Nakhai, B., 'Kitan, Tel ' Houses , *OEANE*, Vol.3, 300.

شمال رام الله، ومنطقة تل الشريعة في صحراء النقب، وشيلوه التي تقع على بعد ٢,٥ كم عن طريق القدس - نابلس، كما انتشرت بعض الصوامع في منطقة عاي (التل)^(١).

وفي سوريا انتشرت صوامع الغلال في تل السوريج^(٢)، وكانت الصوامع مُبطنّة بالحجر^(٣)، كما انتشرت هذه الصوامع في رأس الشمر^(٤)، وكذلك في تل السويحات^(٥).

أما في الأردن، فوُجِدَت الصوامع في منطقة جدارة شمال الأردن وتم العثور على عدد من صوامع الغلال كانت عبارة عن حُفَر في الأرض^(٦)، كما وُجِدَت الصوامع في خربة الزيرقون^(٧)، وهي صوامع مبنية بالحجر^(٨)، وفي خربة المدين (وادي التميذ) وُجِدَت عدة صوامع مبنية بالحجر بلغ عمق بعضها حوالي ٢,٥ متر، وتعود للعصر الحديدي الثاني^(٩)، كما وُجِدَت الصوامع التي تعود إلى أواخر العصر الحجري الحديث

(1) Callaway, J., & Livingston, G., 'The 1968/1969 'Ai (etTell) Excavations', , BASOR, 198 (Apr., 1970), p.30

(٢) موقع أثري يقع في غرب مرتفعات الجولان بسوريا .

(3) Kochavi, M., 'The Land of Geshur Project: Regional Archaeology of the Southern Golan (1987-1988 Seasons)', IEJ, 39, No. 1/2 (1989), p. 9.

(4) Bottéro, J., Syria Before 2200 B.C., CAH, I, part 2, p.340.

(5) Holland, T., Excavations at Tell Essweyhat, Syria, Vol.2, Part 1., Text, OIP, 125, 2006, p.383.

(6) Vieweger, D., & Häser, J., 'Das „Gadara Region Project“: Der Tell Zerā'a in den Jahren 2005 und 2006', ZDPV, (1953), Bd. 123, H. 1 (2007), p.17.

(٧) خربة الزيرقون : وهي منطقة تقع على بعد ١٣ كم شمال شرق إربد في الأردن .

(8) Ibrahim, M., Mittman, S., 'Khirbet ezZeraqun', OEANE, Vol.5, 388.

(9) Michèle, P., 'Hirbet elMudēyine in its Landscape. Iron Age Towns, Forts, Forts, and Shrines', ZDPV, Bd. 122, H. 1 (2006), p.17.

الحديث في وادي الزقلاب في شمال الأردن، ثم أُعيد استخدام هذه الصوامع كمقابر للموتى بعد ذلك^(١).

وفي إيران وُجد العديد من الصوامع المتراسة في صفوف، وهذا ما أشارت إليه نقوش من سوسة، حملت ايضاً نقوش تشير إلى كاتب يسجل كميات الحبوب في الصوامع^(٢).

أما في الأناضول، فقد وُجدت بعض الصوامع في بوغاز كوي تعود لبدايات العصر الحديدي^(٣).

ويلاحظ من السرد التاريخي السابق لبعض المناطق التي وُجدت بها صوامع الغلال في الشرق الأدنى القديم، يتبين أن أنماط الاستقرار السكاني والمجتمعي كان منتشرة في عدة مناطق في الشرق الأدنى، ودفع هذا الاستقرار السكان إلى إنشاء صوامع لتخزين الحبوب وغيرها، وفي هذا إشارة إلى ثمة ترابط عميق بين الأراضي الخصبة التي تسمح بزراعة العديد من الحبوب، ووجود الصوامع التي تستخدم أحياناً كصوامع عامة تابعة للإدارة الحكومية للمنطقة، أو كصوامع غلال خاصة تابعة للأفراد.

أماكن إنشاء مخازن الحبوب :

اختلفت أماكن وجود مخازن الحبوب من منطقة إلى أخرى ففي مصر : كانت الصوامع في الفيوم تُبنى في مناطق مرتفعة خوفاً عليها من الغرق^(٤)، وخاصة أن الفيوم

(1) Banning , E., ' Housing Neolithic Farmers, NEA, 66, No. 1/2, House and Home in the Southern Levant (Mar. Jun., 2003), p.14.

(2) Hienz, W., Persia 2400 -1800 B.C. CAH, I. part 2, p.679.

(3) Genz, H., ' The Early Iron Age in Central Anatolia in Light of Recent Research' NEA , 63, No. 2, Ethnoarchaeology II (Jun., 2000), p. 111

(4) Wendorf , F., ' Egypt. Prehistoric Egypt ', OEANE, 2. 192.

الفيوم بتكوينها الجيولوجي هي عبارة عن منخفض، لذا فهي عند الفيضان كانت تغرق لكثرة تدفق المياه من النيل إليها عبر بحر يوسف^(١)، وقد وُجدت كاتون تومبسون واليانور جاردرن صوامع غلال مكتملة تعود للعصر الحجري الحديث^(٢)، كما وُجدت في مرمدة بني سلامة بجوار المنازل وكانت عبارة عن سلال ضخمة لحفظ الحبوب .

وفي الأسرات من الأولى حتى الرابعة وُجدت صوامع الغلال بجوار المقابر^(٣)، ثم أُلحقت بعضها بالمعابد الكبيرة^(٤)، وفي عصر الدولة الوسطى كشفت الحفائر في مدينة اللاهون (كاهون) عن أنه كان هناك ثماني صوامع كبيرة ملحقة بثمانية منازل كبيرة فيها، وكانت تحوي كميات كبيرة من الغلال^(٥)، وعلى ذلك رجّح بعض الباحثين أن مخازن الحبوب الثمانية من الحبوب كانت كافية لإطعام حوالي من خمسة آلاف إلى تسعة آلاف نسمة تقريبًا^(٦)، كما وُجدت صوامع منفردة شملت مساحات كبيرة، واحتوت على كمية كبيرة من الحبوب، مثل صومعة حصن " أسكوت"^(٧)، التي احتوت احتوت على ١,٦٣٢ متر مكعب من الحبوب كانت كافية لسد حاجة حوالي من ثلاثة إلى خمسة آلاف شخص^(٨)، وتتقارب هذه النسبة مع ما وُجد في بيت يرح^(٩) بفلسطين بفلسطين حيث قدر الباحثون أن منطقة بيت يرح كانت حوالي ٢٠ هكتار "٥٠ فدان"،

(١) عماد عبد العظيم عاشور: الإقليم الحادي والعشرون من اقاليم مصر العليا " نعرت - بحت"، دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الأسكندرية، ٢٠١١، ص ٣.

(٢) Wenkm. R., ' Faiyum' , in OEANE,2, p. 299.

(٣) Bleiberg,E., *Storage*, p.327.

(٤) Warburton, D., *Officials*, p.580.

(٥) Ezzamel., M., 'Accounting and Redistribution : the palace and mortuary cult in the Middle Kingdom, Ancient Egypt' , *The Accounting Historians Journal*, Vol. 29, No. 1 (June 2002), p. 69.

(٦) Kemp, B., 'Large Middle Kingdom Granary Buildings (and the Archaeology of Administration)', *ZÄS* 113, 1986, p.133.

(٧) وهي المنطقة المعروفة باسم " ديرستيو " في النوبة .

(٨) Kemp, B., *Large Middle Kingdom Granary*, p.133.

(٩) بيت يرح : وهي منطقة خربة الكرك، وتقع جنوبي غرب بحر الجليل .

وكان كل هيكتار يشغله ما بين ٢٠٠-٢٥٠ شخص، ولذا فصوامع غلال بيت يرح كانت مخصصة لسد حاجة ما يقرب من أربعة إلى خمسة آلاف شخص أيضًا^(١)، كما كما وُجدت نماذج من صوامع الغلال مُلحقة ببعض الحصون العسكرية، مثلما وُجدت بجوار حصن أورنارتي في النوبة^(٢).

كما أُلحقت بعض صوامع الغلال ببعض المباني الإدارية في الأسرة السابعة عشرة، وهذا ما كشفت عنه التنقيبات حديثاً في إدفو، حيث وُجدت عدة صوامع كبيرة لتخزين الحبوب بجوار بعض المباني الإدارية، وبلغت مساحة هذه الصوامع حوالي ٦,٥ × ٥,٥ متر^(٣).

أما في العراق : فقد أشارت الكثير من النصوص التي وردت بها كلمة صومعة إلى أن الصوامع كانت توجد بالمنازل، وفي نصوص أخرى وردت كلمة *na-aš-pa-ku* على كونها "مخزن المنزل"^(٤)، بل أشارت بعض النصوص إلى وجود صوامع تابعة للقصور أو ملحقة بالقصور^(٥).

وكانت إدارة بعض الصوامع في بعض الأحيان تتبع المعابد، التي كانت مسئولة عن تخزين الحبوب، وُجدت الصوامع الملحقة بها، والتي كانت تقوم بتوزيع الفائض^(٦)، الفائض^(٦)، وفي الأغلب كان يتم تبادل الفائض من الحبوب ببعض السلع، وكان يتم استخدامه أيضا في أغراض دينية مثل الطقوس والقرابين، وتشابه هذا مع ما وُجد في

(1) Mazar, A., on the Significance of the Early Bronze II Granary Building at Beit Yerah , SAOC, 59, 2001, p. 458.

(2) Kemp, B., *Large Middle Kingdom Granary*, p. 133.

(3) BIA, 37, 2008, p. 195.

(4) CAD, N, II, p. 66.

(5) Gadd, J., *Tablets from Chagar Bazar*, p.53. ; CAD, N II, p.68.

(6) Makkay J., ' The Origins of the "Temple Economy" as Seen in the Light of Prehistoric Evidence', Iraq, 45, No. 1, Papers of the 29 Rencontre Assyriologique Internationale, London, 59 July 1982 (Spring, 1983), p.2.

منطقة تل الصوان^(١)، حيث وُجدت مخازن الغلال وبها بعض التماثيل والأشكال الدينية، وربما في هذا إشارة إلى محاولة المعابد الحفاظ على مخازن وصوامع الغلال عن طريق حمايتها بالآلهة ورموزها وأشكالها الدينية، بل وإنشاء هذه الصوامع في مناطق مقدسة ، وبهذا أصبحت المعابد مخزن للفائض المجتمعي من الحبوب ، وتطور الأمر بالنسبة لصوامع المعابد إلى القيام بالتجارة في مخزون بعض الصوامع^(٢)، الأمر الذي أدى إلى عائدات كبيرة وكثيرة للمعابد ولكهنتها، وبدأت المعابد في حيازة الأراضي كنتيجة لاستثمار الفائض من الحبوب، وتشابه الأمر في وجود بعض الصوامع الملحقة ببعض المعابد في تل حرمل أيضًا^(٣).

وفي منطقة تبة جورا^(٤) تم حفر صوامع في الطبقات الخامسة عشر والسادسة عشر في قمة التل الشمالي منها^(٥)، بينما في منطقة المغزلية بالعراق وُجدت عدة صوامع تحت الأرض^(٦)، وتشابه ذلك مع ما وُجد في طبقات حضارة العبيد^(٧).

أما في فلسطين : فقد وُجدت صوامع الغلال في جازر تحت الأرض في طبقات العصر البرونزي الوسيط والعصر الحديدي^(٨)، وبها أيضا وُجدت الصوامع العامة التي التي كانت تتألف من عدة حجرات مختلفة^(٩)، وفي بيت مرسيم وُجدت العديد من صوامع الغلال بجوار المنازل، وتشابه الأمر مع ما وُجد في بئر السبع^(١٠)، وفي عزبة

(١) وهو تل أثري يقع في محافظة صلاح الدين بالعراق على بعد ١١٠ كم شمال بغداد .

(٢) Makkay, J., *The Origins of the "Temple Economy*, p.6.

(٣) Simmons, S., *Early Old Babylonia*, p. 106.

(٤) تبة جورا : موقع أثري يقع في منطقة نينوى بالعراق على بعد ٣ كم من خورسباد، وعلى بعد حوالي ٢٤ كم شمال شرق الموصل .

(٥) Makkay, J., *The Origins of the "Temple Economy*, p. 3.

(٦) Huot, J., *The First Farmers at Oueili*, p.189.

(٧) Martin, H., ' The Early Dynastic Cemetery at al'Ubaid, a ReEvaluation' Iraq 44, No. 2 (Autumn, 1982), p.152.

(٨) Borowski, O., *Granaries*, p. 432.

(٩) Dever, W., ' Gezer', OEANE, 2, p. 398.

(١٠) Borowski, O., *Granaries*, p. 432.

سرتاح^(١) التي وُجد بها ما يقرب من ثلاثة وأربعين صومعة غلال بجوار المنازل^(٢)، وكانت تستخدم لتخزين الحبوب والغلال^(٣)، وتشابه الأمر مع ما وُجد في منطقة تل النجيلة حيث وُجدت صوامع الغلال ضمن غرف المنازل^(٤).

أما في بيت يرح فقد وُجدت الصوامع بجوار المنازل، وبلغت كمية الحبوب التي كانت تخزن في تلك الصوامع حوالي ٢,٢٥٠ متر مكعب من الحبوب لكل صومعة^(٥)، صومعة^(٥)، وقد رجح البعض أنها كانت تحوي طنًا ونصف الطن من الحبوب^(٦)، وأشار بعض الباحثين أن المتر المكعب كان يحوي ٧٧٠ كجم من القمح، في حين كان يحوي ٦١٠ كجم من الشعير، وعليه فإن السعة الكلية لبعض الصوامع كان حوالي ١,٧٠٠ طن من القمح، ومن ١,٣٧٠ إلى ١,٦٠٠ طن من الشعير، وقدر بعض الباحثين أن السعة الكلية لجميع صوامع غلال بيت يراح بلغت ٨٠٠ طن من الغلال^(٧)، وقد استند هؤلاء إلى الاستهلاك السنوي للفرد والذي قدره بعض الباحثين بـ ٢٠٠ كيلو جرام من الحبوب في السنة للفرد، وبناءً على كثافة السكان في بيت يراح والتي بلغت ٢٠٠ شخص للهكتار، وبما أن مساحة بيت يراح حوالي ٢٠ هكتار "٥٠ فدان"^(٨)، فيكون الأمر كالتالي: ٢٠٠ (الكثافة السكانية للهكتار) × ٢٠ هكتار "المساحة الكلية لبيت يراح" = ٤٠٠٠ نسمة في بيت يراح كلها، وعليه أيضا فإن ٤٠٠٠ نسمة × ٢٠٠ كجم "الاستهلاك السنوي للفرد" = ٨٠٠,٠٠٠ كجم أي (٨٠٠ طن) وهي سعة صوامع غلال بيت يراح .

(١) وهو تل أثري يقع جنوب غرب كفر قاسم بفلسطين، وعلى مسافة ١٠ كم من شرق مدينة تل الربيع الربيع المحتلة .

(٢) Watkins, L., 'Izbet Sartah', OEANE 3, p.198.

(٣) Borowski, O., *Granaries*, p. 432.

(٤) Beebe, H. K., 'Ancient Palestinian Dwellings', BibArch, 31, No. 2 (May, 1968), p. 43.

(٥) Borowski, O., *Granaries*, p. 431.

(٦) Hopkins, D., 'Agriculture', OEANE, I, p.26.

(٧) Mazar, A., *on the Significance*, p. 456.

(٨) Mazar, A., *on the Significance*, p. 458.

أما في الأردن : ففي منطقة بيت صيدا ^(١) وُجِدَت عدة صوامع غلال كانت ملحقة بالمعابد التي وُجِدَت هناك ^(٢)، وكانت عبارة عن حفرات أرضية وليست مرتفعة فوق سطح الأرض ^(٣) .

أما في سوريا : فقد وُجِدَت بعض الصوامع في بعض المنازل وكانت فوق الأرض وليس منخفضة ^(٤)، في حين كانت بعض الصوامع التي وُجِدَت في العصر البرونزي المتأخر في سوريا غائرة ومغمورة في الأرض ^(٥)، مثل تلك التي وُجِدَت في رأس الشمر ^(٦).

الشكل الذي كانت عليه مخازن الحبوب:

١- في مصر : تنوعت أشكال الصوامع وأحجامها واختلفت من منطقة لأخرى، وكانت بعض نماذج الصوامع التي وُجِدَت في نقادة مربعة الشكل ^(٧)، في حين كانت نماذج الصوامع في الأسرتين الأولى والثانية تأخذ شكلاً مخروطياً على قاعدة مستديرة، وكانت لها قبة مستديرة من أعلى ولها فتحة لملء الصومعة بالغلال من خلالها (شكل رقم ١) ^(٨).

^(١) مدينة تقع على شرق نهر الأردن .

^(٢) Geyer P. S., ' Evidence of Flax Cultivation from the Temple Granary Complex et Tell (Bethsaida/Julias) ' IEJ, 51, No. 2 (2001), pp.. 231234

^(٣) Michèle, P. M., ' Hîrbet elMudêyine in its Landscape. Iron Age Towns, Forts, and Shrines ' , ZDPV, Bd. 122, H. 1 (2006), pl.4.

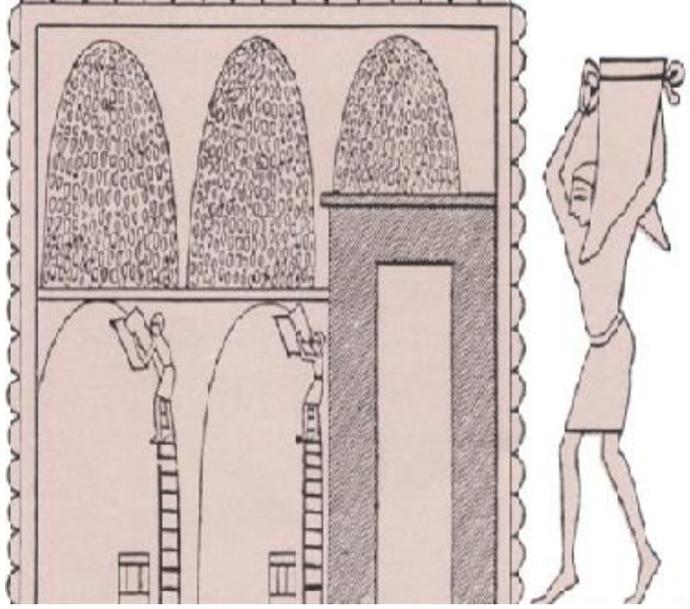
^(٤) Holladay, J., ' House. Syro Palestinian Houses', OEANE, Vol.3, 95.

^(٥) Holladay, J., *House*, p. 104.

^(٦) Bottéro, J., *Syria Before 2200 B.C*, p.340.

^(٧) Bernard, M., ' Travaux de l'Institut français d'archéologie orientale en 19992000', BIFAO, 100 (2000), P.461.

^(٨) Bleiberg, E., *Storage*, p.327.



شكل رقم (١) نقش من مقبرة بطيبة يوضح مخازن الحبوب

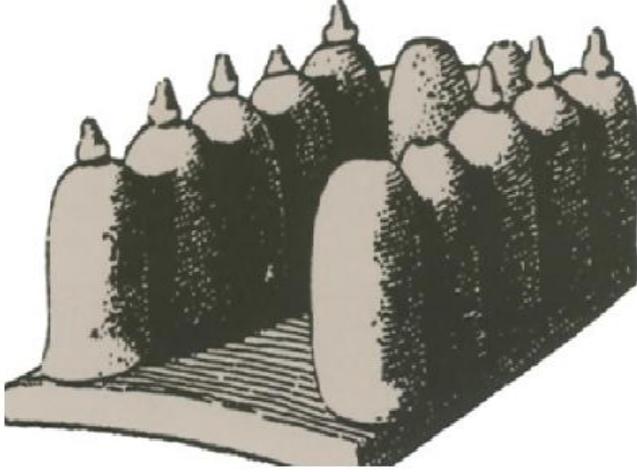
حيث تم ملؤها من أعلى

Bleiberg, O., Storage, p. 327.

وُجد نقش يوضح ذلك على جدران مقبرة كامينا من عصر الأسرة الرابعة في منطقة الكاب يشير إلى ١٢ صومعة غلال على شكل بيضاوي، ومحاطة بفناء مستطيل^(١)، وهي تتشابه مع صوامع بيت يرح بفلسطين في كونها مخروطية ولها فتحة

(1) Currid, J., 'The Beehive Building of Ancient Palestine', BiblArch, 49 (1986), p. 24.

من أعلى ومدخل في أحد جوانبها (شكل رقم ٢) ^(١)، في حين في عصر الانتقال الأول كانت بعضها تأخذ الشكل الدائري كتلك التي وُجدت في شرق الكرنك ^(٢).



شكل رقم (٢) نقش لمخازن الحبوب على جدران مقبرة كامينا

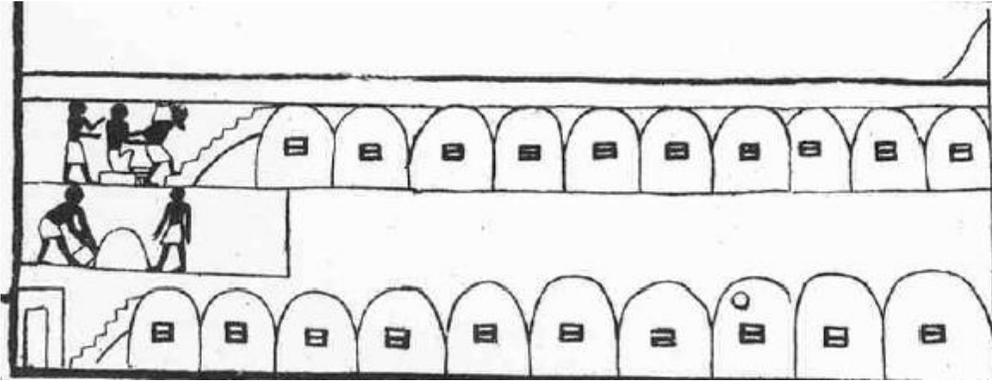
Currid, J., *The Beehive Building*, p. 24

وفي عصر الدولة الوسطى، وجدت أشكال لصوامع الغلال ذات الشكل الأسطواني، ولعل أبرزها تلك التي ظهرت في المقبرة رقم ١٧ في بني حسن "مقبرة باقت"، ويوضح الشكل صفتين من الصوامع يربط بينهما سلم يصعد عليها العمال المسئولون عن تخزين الحبوب وتسجيلها (شكل رقم ٣) ^(٣).

(1) Currid, J., *The Beehive Building*, p. 24.

(2) Redford, D., & Others , ' East Karnak Excavations, 1987- 1989' , p. 93.

(3) Newberry, P., Beni Hassan, II, London, 1893, Pl. XVII.



شكل رقم (٣) نقش لمخازن الحبوب على جدران مقبرة باقت في بني حسن

Newberry, P., Beni Hasan, II, Pl. XVII

وُجِدَت أشكال لصوامع الغلال رباعية الأضلاع^(١)، والتي ظهرت في نقوش مقبرة خنوم حتب الثاني^(٢)، كما وُجِدَت أشكال لصوامع الغلال على شكل الخلية بجوار هرم الملك أمنمحات الأول "١٩٩١ - ١٩٦٢ ق.م) في دهشور^(٣)، كما وُجِدَت نماذج من صوامع الغلال في بئر العبد بشمال سيناء وكان بعضها في تراصها تشبه شكل الخلية، وكانت على شكل اسطواني، و تم العثور على أربعة غرف اسطوانية كصوامع غلال^(٤)، وكان قطر كل منهما حوالي ٣,٨ متر^(٥)، ووُجِدَت في هذه الصوامع كمية كبيرة من كسر الفخار وبعض بقايا العظام، وبعض الفخار الملون وبعض أواني

(1) Watt, K., Architecture of Granaries in the Tomb of Khnumhotep II, Beni Hassan, Foundations of Philip Weiner, Brussels, p.1.

(2) خنوم حتب الثاني هو مدير الصحراء الشرقية في النصف الأول من عصر الأسرة الثانية عشرة.

(3) Mace, A. C., 'The Egyptian Expedition: III. The Pyramid of Amenemhat' BMMA, 3, No. 10 (Oct., 1908), p.185.

(4) Currid, J., *The Beehive Building*, p. 21.

(5) Oren, E. D., 'Notes and News: Bir el'Abd (Northern Sinai)', IEJ, 23 (1973), p.112.

التخزين، ورجح أورين أنها تعود لفترة الدولة الحديثة وخاصة عصر الملك سيتي الأول (شكل رقم ٤) ^(١).



شكل رقم (٤) مخازن حبوب من بئر العبد

E.D. Oren, Notes and News, pl. 28, A.

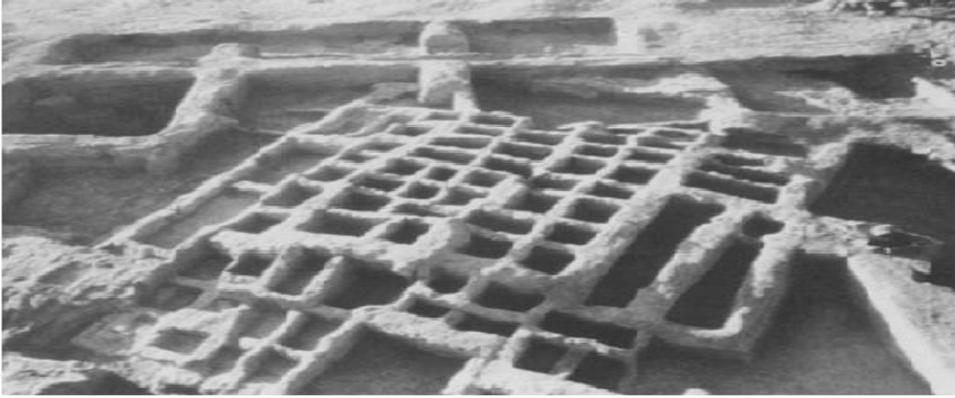
٢- في العراق: فقد وُجدت عدة مباني على شكل خلية النحل في تل العويلي من حضارة العبيد، ورجح هوت أنها لتخزين الحبوب، أو مبنى مُدعم لصومعة الغلال ^(٢)، وهذا الشكل يسمى شكل خلية النحل، ويرى بوروسكي أن هذا الشكل وُجد في مصر من العصر العتيق، ومنها انتشر في فلسطين في العصر البرونزي المبكر الثاني والثالث ^(٣).

(1) Oren, E. D., *Notes and News*, p. 113 .

(2) Huot, J., *The First Farmers at Oueili*, p.192.

(3) Borowski., *Agriculture in Iron Age Israel*, Winona Lake, Ind., 1987. p.76.

٣- وُجِدَت نماذج تشبه ذلك في عراد (شكل رقم ٥)^(١)، وفي طبقة العصر البرونزي المبكر الثاني (٣٠٠٠-٢٨٠٠ ق.م)، وفي تل يراح في العصر البرونزي المبكر الثالث حوالي (٢٨٠٠-٢٤٠٠ ق.م)



شكل رقم (٥) مخازن حبوب من تل العويلي على شكل الخلية

J. Huot, The First Farmers at Oueili, p. 192

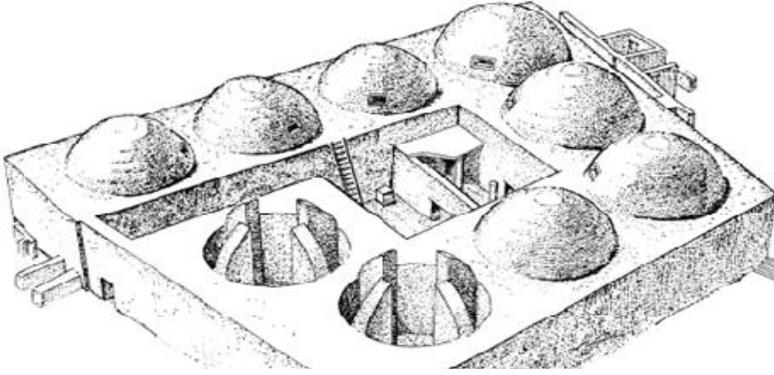
٣- فلسطين : فقد كانت الصوامع التي وُجِدَت في عراد على هيئة خلية النحل في تراسها بجوار بعضها البعض، وكان شكلها بيضاوي ويبلغ قطر الصومعة حوالي ٤ متر، وقد بنيت من الأحجار الكبيرة^(٢)، أما النموذج الذي وُجِدَ في بيت يرح فكان دائري الشكل ذو قمة مخروطية^(٣)، ويتراوح قطره ما بين ٧-٩ متر، وهذا الشكل يتشابه مع ما وُجِدَ في أركاديا في بلاد اليونان، وما وُجِدَ في ماليا في جزيرة كريت، وكانت صوامع الخلية في بيت يرح على شكل مخروطي، وكان لها مدخل من أحد

(١) تل عراد بفلسطين يقع في منطقة النقب على بعد ٣٠ كم شرق وشمال شرق بئر السبع .

(٢) Currid, J., *The Beehive Building*, p.20.

(٣) Maisler, B., Stekelis, M., AviYonah, M., ' Excavations at Beth Yerah (Khirbete lKerak)', IEJ, 2, 1952, p.228.

الجوانب، وكانت متصلة ببعضها البعض، ولها فتحة من أعلى لملء الصومعة بالغلل، وبعضها كان مغلقاً بغطاء (شكل رقم ٦) ^(١).



شكل رقم (٦) تصميم لمخازن الحبوب من بيت يرح بفلسطين

A. Mazar, On the Significance of the Early Bronze II, p. 451.

أما الصومع التي وُجِدَت في تل الفارعة ^(٢) فكانت تأخذ شكلاً مقبباً ^(٣)، بينما التي وُجِدَت في تل الحضرة كانت تأخذ شكلاً عمودياً مرتكزة على جدار حائط، ونادرًا ما كان يُوجد هذا الشكل من الصومع ^(٤)، كما وُجِدَت في تل الحضرة بعض الصومع المستطيلة ^(٥)، ووُجِدَت بجوارها أيضا عدة مباني ثلاثية الشكل تتشابه مع ما وُجِدَ في أريحا ومجدو ولخيش وبيت مرسيم وبيت شمش وتل النصبة، ورجح بعض الباحثين

^(١) Currid, J., *The Beehive Building*, p.24.

^(٢) موقع أثري يقع في منطقة تلال السامرية على بعد ١٠ كم شمال شرق نابلس بفلسطين .

^(٣) Joffe , A., Tell elFar'ah , OEANE, 2, p. 304.

^(٤) Kochavi, M., 'Hader, Tell ', OEANE, 2, p.451.

^(٥) Kochavi, M., ' the Land of Geshur Project: Regional Archaeology of the Southern Golan (1987-1988 Seasons) ', IEJ, 39, No. 1/2 (1989), p. 10.

أنها عبارة عن مخازن^(١)، بالإضافة إلى وجود صوامع دائرية في بيت شان (بيسان)^(٢)، ونابلس^(٣)، وتل الخليفة "عصيون جابر"^(٤).

كما وُجِدَت نماذج لصوامع غلال مربعة الشكل في حازور^(٥)، بالإضافة إلى وجود صوامع عبارة عن حفرات في الأرض بلغ عمقها حوالي مترين كتلك التي وُجِدَت في منطقة تل الفول^(٦)، وبعض التي وُجِدَت في مجدو والتي كانت عبارة عن حفرات أرضية مستطيلة الشكل أستخدمت لتخزين الحبوب^(٧)، كما وُجِدَت نماذج من صوامع الغلال مبطنة بالأحجار في الطبقة السابعة من تل حلف^(٨).

٤- في سوريا: فقد وُجِدَت في رأس الشمر صوامع غلال دائرية الشكل^(٩)، في حين كانت بعض الحجرات الصغيرة في رأس الشمر قد وُظِفَت كصوامع غلال أيضا^(١٠)، وفي وادي العتيق^(١١) وُجِدَت ستة صوامع شبه مقبية^(١٢)، في حين وُجِدَت

(1) Borowski, O., *Granaries*, p. 432.

(2) Mazar, A., 'BethShan', *OEANE*, Vol 1, p. 306.

(3) Boling, R., 'Bronze Age Buildings at the Shechem High Place: ASOR Excavations at Tananir', *BiblArcha*, 32, No. 4 (Dec., 1969), p. 97.

(4) Lapp, N., 'Casemate Walls in Palestine and the Late Iron II Casemate at Tell elFül (Gibeah)', *BASOR*, 223 (Oct., 1976), p. 28

(5) Mumford, G. D., *International Relations between Egypt, Sinai, and Syria Palestine During the Late Bronze Age to early Persian Period (Dynasties 1826: c. 1550-525 B.C)*, PhD Thesis, University of Toronto, Published, 1998, p. 3654.

(6) Albright, W. F., 'The Excavation at Tell ElFul', *BASOR*, 7 (Oct., 1922), p. 8.

(7) Herr, L. G., 'Tripartite Pillared Buildings and the Market Place in Iron Age Palestine', *BASOR*, 272 (Nov., 1988), p. 63.

(8) Borowski, O., *Granaries*, p. 432.

(9) Bottéro, J., *Syria Before 2200 B.C.*, p.340.

(10) Yon, M., 'Ugarit: The Urban Habitat The Present State of the Archaeological Picture', *BASOR*, 286 (May, 1992), p. 29.

(11) موقع اثري يعود للعصر البرونزي المبكر يقع في منتصف وادي الخابور.

(12) Fortin, M., 'New Horizons in Ancient Syria: The View from 'Atij', *NEA*, 61, No. 1 (Mar., 1998), p. 17.

صوامع مستطيلة الشكل مثل تلك التي في تل الرماد جنوب سوريا وتعود للعصر الحجري الحديث^(١).

٥- في الأردن : فقد وُجدت بعض صوامع الغلال عبارة عن حفرات أرضية مستديرة كتلك التي وُجدت في خربة المدين (شكل رقم ٧)^(٢).



شكل رقم (٧) مخازن حبوب من خربة المدين بالأردن

P.M. Michèle , ' Ḥirbet elMudēyine, pl. 4.

(1) Banning, E. B., ' The Neolithic Period: Triumphs of Architecture, Agriculture, and Art ', NEA, 61, No. 4 (Dec., 1998), p. 195.

(2) Michèle, P.M., ' Ḥirbet elMudēyine in its Landscape. Iron Age Towns, Forts, and Shrines ', ZDPV, Bd. 122, H. 1 (2006), pl. 4.

٦- في إيران: فكانت بعض الصوامع تأخذ أشكالاً دائرية ولها باب من أحد جوانبها^(١)، ووُجدت العديد منها متراصاً في صفوف، وتتشابه بشكل كبير مع تلك التي وجدت في مقبرة بقات في مصر (راجع شكل رقم ٣)، وأشارت بعض النقوش من سوسة إلى كاتب يسجل كميات الحبوب في الصوامع (شكل رقم ٨)^(٢).



شكل رقم (٨) نقش على ختم من سوسة يوضح بعض أشكال مخازن الحبوب في إيران

A. Mazar, On the Significance of the Early Bronze II, p. 450.

أما تلك التي وُجدت في مناطق الأناضول فكانت صوامع دائرية تشبه ما وُجد في بيت يرح في فلسطين، وتلك التي وُجدت في كريت^(٣).

(1) Collon, D., First Impressions , London, 1987, p.146.

(2) Hinz, W., Persia 24001800 B.C. CAH, I. part 2, p.679.

(3) Borowski, O., *Granaries.*, p. 431.

نتائج البحث:

- ١- أن أماكن تواجد الصوامع قد اختلفت من منطقة إلى أخرى، فقد وُجدت الصوامع في مناطق مرتفعة وبعيدة عن الأرض الرطبة، مثل تلك التي وُجدت في الفيوم في مصر، ومنطقة تبة جورا في العراق، وربما يرجع ذلك لعدة أسباب، **منها:** أنه ربما من أجل الحفاظ عليها من المياه الجوفية خاصة إذا كانت تلك المنطقة منخفضة أو معرضة للغرق كما في حالة منطقة الفيوم، أما وقوعها بالقرب من الأنهار مثل تبة جورا التي تقع على الجانب الشرقي لنهر دجلة، فربما كان الابتعاد ببناء الصوامع بعيداً عن النهر خوفاً من فيضانه غير المعلوم ميقاته . في حين وُجدت بعض الصوامع في حفرات تحت الأرض مثل تلك التي وُجدت في المغزلية وطبقات العبيد بالعراق، كما وُجدت تلك النماذج في جازر، وتل الكتان بفلسطين، وُوجدت في سوريا في بعض المناطق مثل رأس الشمرا، وكانت السمة البارزة لصوامع الغلال التي وُجدت تحت الأرض أو كانت عبارة عن حفرات أرضية أنها تعود لعصور قديمة من العصور البرونزية أو الحديدية، وفي هذا إشارة إلى كونها نموذج بدائي وأولي لتخزين الحبوب .
- ٢- هناك نماذج من الصوامع كان موقعها ملحفاً بالمعابد، وهذا ما ظهر في كثير من المناطق في مصر في عصر الدولة القديمة، وفي تل حرمل في العراق وفي بيت صيدا بالأردن، ويوضح هذا عن نشاط اقتصادي للمعابد والكهنة، كما وُجدت نماذج من صوامع الغلال مُلحقة بالمنازل، كالتي وُجدت في مصر في مدينة كاهون وفي تل العمارنة، وبعض الصوامع في العراق، وفي بيت يرح وقرب منازل كهف هاينويم، وبيت مرسيم وعزبة سرتاح وبئر السبع وتل النجيلة بفلسطين، وبعض المنازل في سوريا، وهي تشير بشكل كبير إلى كونها صوامع خاصة بالأفراد أو بالأسر والعائلات، وأن هذه الصوامع جزء من أجزاء المنزل، بل أن بعض الحجرات المنزلية تم توظيفها كصوامع غلال .

كما وُجدت بعض الصوامع بجوار بعض الحصون مثلما وُجدت بجوار حصن أسكوت وحصن أورنارتي في النوبة جنوبي مصر، وكونها بجوار تلك الحصون فهي تشير بوضوح إلى كونها مراكز تموين أو تعبئة لتزويد الحاميات العسكرية بالمواد الغذائية لمساعدتهم على الاستمرار في الخدمة، أما التي وُجدت بجوار المباني الإدارية كما في حالة صوامع إدفو، فهي تشير إلى كونها صوامع حكومية خاصة بالدولة لتخزين الحبوب، ولعل اتساع وكبر مساحتها يشير إلى ذلك .

٣- أن أغلب الصوامع كانت تأخذ الشكل الدائري أو الأسطواني، وهو الشكل المتعارف عليه في كثير من مناطق الشرق الأدنى القديم، وربما تم اقتباسه من مصر وانتشر في أغلب المناطق المجاورة، وهذا الشكل من صوامع الغلال مازال مستخدماً حتى اليوم، في حين قلت أشكال الصوامع ذات الشكل المربع، اللهم إلا إذا كانت حفرات أرضية أو كانت حجرات استخدمت كصوامع غلال، أما الصوامع التي كانت على هيئة خلية النحل لتراصها بجوار بعضها البعض، فكان نموذج صوامع بيت يرح وعراد بفلسطين وبئر العبد في مصر هي أبرز هذه النماذج، ورجح بعض الباحثين أن هذا الشكل أصله مصري وانتقل منها إلى فلسطين وهي في تكوينها عبارة عن صوامع دائرية الشكل ملتصقة ببعضها البعض.

قائمة المراجع

المراجع العربية

- خالد حمزة عوض: إدارة الشونة في مصر القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة ماجستير "منشورة"، كلية الآثار جامعة القاهرة، ١٩٩٦.
- عماد عبد العظيم عاشور: الإقليم الحادي والعشرون من اقاليم مصر العليا " نعت - بحت"، دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠١١.

المراجع الأجنبية

- Albright, W. F., ' The Excavation at Tell EIFul', BASOR, 7 (Oct., 1922).
- Andrassy , P., ' Das pršn im Alten Reich ' , SAK, 20 (1993).

- Banning, B., ' Housing Neolithic Farmers, NEA, 66, No. 1/2, House and Home in the Southern Levant (Mar. Jun., 2003).
- Banning, E. B., ' The Neolithic Period: Triumphs of Architecture, Agriculture, and Art ' , NEA, 61, No. 4 (Dec., 1998).
- Beebe, H. K., 'Ancient Palestinian Dwellings',BibArch, 31, No. 2(May, 1968).
- Bernard, M.,' Travaux de l'Institut français d'archéologie orientale en 19992000', BIFAO, 100 (2000).
- Bleiberg, E., 'Storage' , OEAE, III.
- Boling, R., ' Bronze Age Buildings at the Shechem High Place: ASOR Excavations at Tananir ' , BiblArch, 32, No. 4 (Dec., 1969),
- Borowski, O., ' Granaries ' , OEANE, Vol 2.
- Bottéro, J., Syria Before 2200 B.C., CAH , I, part 2.
- Braidwood, R. Braidwood, B. Howe, Ch. Reed, Prehistoric Archaeology Along The Zagros Flanks , OIP, 105, 1983.
- Callaway, J. A., & Livingston, G. H., ' The 19681969 'Ai "etTell) Excavations' , BASOR, 198 (Apr., 1970).
- Cohen, E., ' Review: Syntactic Marginalia in Old Babylonian', JAOS 126, No. 4 (Oct. Dec., 2006).
- Collon, D., First Impressions, London, 1987.
- Currid, J., 'The Beehive Building of Ancient Palestine', BiblArch, 49 (1986),
- Ezzamel, M., 'Accounting and Redistribution : the palace and mortuary cult in the Middle Kingdom, Ancient Egypt' , *The Accounting Historians Journal*, Vol. 29, No. 1 (June 2002).
- Fischer, H., ' Offerings for An Old Kingdom Granary Official , DIA, 51, No. 2/3 (1972).
- Fortin, M.,' New Horizons in Ancient Syria: The View from 'Atij ' , NEA, 61, No. 1 (Mar., 1998).
- Gadd, J., 'Tablets from Chagar Bazar and Tall Brak, 193738' Iraq, 7, 1940.
- Gardiner, A., Egyptian Grammar, 3^{ed} edition, Oxford, 1979.
- Genz, H., ' The Early Iron Age in Central Anatolia in Light of Recent Research' NEA , 63, No. 2, Ethnoarchaeology II (Jun., 2000).
- Geyer , P. S., ' Evidence of Flax Cultivation from the Temple Granary Complex etTell "Bethsaida/Julias) ' IEJ, 51, No. 2 (2001)
- Herr, G., ' Tripartite Pillared Buildings and the Market Place in Iron Age Palestine, BASOR, 272 (Nov., 1988).
- Hinz, W., Persia 2400-1800 B.C. CAH, I, part 2.
- Holladay, J., ' House. Syro Palestinian Houses', OEANE, Vol.3.
- Holland, T., ' Jericho ' OEANE ,Vol 3.

- Holland, T., Excavations at Tell Essweyhat, Syria, Vol.2, Part 1., Text, OIP , 125, 2006.
- Hopkins, D., ' Agriculture' ,OEANE, I.
- Huot, J., ' The First Farmers at Oueili.' BiblArcha 55 (1992).
- Ibrahim , M., Mittman, S., 'Khirbet ezZeraqun' , OEANE, Vol.5.
- Kemp, B., 'Large Middle Kingdom Granary Buildings “and the Archaeology of Administration)’ , ZÄS 113, 1986.
- Kochavi, M., ' The Land of Geshur Project: Regional Archaeology of the Southern Golan “1987–1988 Seasons)’ , IEJ, 39, No. 1/2 (1989).
- Kochavi, M., ' The Land of Geshur Project: Regional Archaeology of the Southern Golan, “1987–1988 Seasons)’ , IEJ, 39, No. 1/2 (1989).
- Lapp, N., ' Casemate Walls in Palestine and the Late Iron II Casemate at Tell elFül “Gibeah)’ , BASOR, 223 (Oct., 1976).
- Mace, A., ' The Egyptian Expedition: III. The Pyramid of Amenemhat' BMMA, 3, No. 10 “Oct., 1908).
- Maisler, B., Stekelis , M., AviYonah, M., ' Excavations at Beth Yerah “Khirbete lKerak)1' , IEJ , 2, 1952.
- Makkay , J., ' The Origins of the "Temple Economy" as Seen in the Light of Prehistoric Evidence', Iraq, 45, No. 1, Papers of the 29 Rencontre Assyriologique Internationale, London,59 July 1982 (Spring, 1983).
- Martin , H. P., ' The Early Dynastic Cemetery at al'Ubaid, a ReEvaluation' Iraq 44, No. 2 (Autumn, 1982).
- Martin, H., ' Settlement Patterns at Shuruppak' , Iraq, 45, No. 1, Papers of the 29 Rencontre Assyriologique Internationale, London,59 July 1982 (Spring, 1983).
- Mazar , A ., ' BethShan', OEANE, Vol 1.
- Mazar, A., on the Significance of the Early Bronze II Granary Building at Beit Yerah , SAOC, 59, 2001.
- Michèle , P. M., ' H̱irbet elMudēyine in its Landscape. Iron Age Towns, Forts, and Shrines ' , ZDPV, Bd. 122, H. 1 (2006),
- Michèle , P.M., ' H̱irbet elMudēyine in its Landscape. Iron Age Towns, Forts, and Shrines ' , ZDPV, Bd. 122, H. 1 2006.
- Mumford, D., International Relations between Egypt, Sinai, and Syria Palestine During the Late Bronze Age to early Persian Period “Dynasties 1826: c. 1550/525 B.C) , PhD Thesis , University of Toronto, Published,1998.
- Nakhai, A., 'Kitan, Tel ' Houses , OEANE, Vol.3.
- Newberry, P., Beni Hassan, II, London, 1893.
- Oren, E. D., 'Notes and News: Bir el'Abd “Northern Sinai)' , IEJ, 23 (1973).
- Pentiuic, E .J., ' West Semitic Terms in Akkadian Texts from Emar ' ,JNES,

- Redford, D., & Others , ' East Karnak Excavations, 1987-1989', JARCE, 28 (1991)
- Roth, A. M., ' The Organization of Royal Cemeteries at Saqqara in the Old Kingdom' , JARCE, 25 ,(1988).
- Simmons, S. D., ' Early Old Babylonian Tablets from Harmal and Elsewhere "Continued)' , JCS 13, No. 4 "(1959).
- Sumerischer Zettelkasten , LeipzigMünchen, 2006.
- Vieweger, D., & Häser, J., ' Das „Gadara Region Project“: Der Tell Zerā‘a in den Jahren 2005 und 2006 ' ZDPV, “1953), Bd. 123, H. 1 (2007).
- Warburton, D., 'Officials ' , OEA, II.
- Ward, W., Index of Egyptian Administration and Religious titles of the middle kingdom, Beirut, 1982.
- Watkins, L ., ' Izbet Sartah' , OEA 3.
- Wendorf , A., ' Egypt. Prehistoric Egypt ' , OEA, 2.
- Yon, M., ' Ugarit: The Urban Habitat The Present State of the Archaeological Picture ' , BASOR, 286 (May, 1992).

تمثيلات السرديات الكبرى دراسة في بلاغة الرواية العربية المعاصرة

د. عماد عبد اللطيف

قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة القاهرة

يناير ٢٠١٨

تمثيلات السرديات الكبرى
دراسة في بلاغة الرواية العربية المعاصرة
د. عماد عبد اللطيف
قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة القاهرة

تُشكّل السرديات الكبرى في حياة البشر موضوعًا أثيرًا للحكي، وفضاءً رحبًا للكتابة الروائية. ويتقاطع مفهوم السرديات الكبرى^١ مع مفهوم الأنساق التاريخية أو الفكرية أو الدينية أو الاعتقادية التي تصوغ رؤية شاملة للعالم. وسوف أستخدم مصطلح السرديات الكبرى في هذه الدراسة ليشير إلى حكي الأحداث الكبرى التي يتقاطع فيها المتخيل مع التاريخي؛ مثل الحروب الأهلية والاحتلال والهزائم الوطنية والعبودية. وسوف أركز على كيفية تمثيل *representation* هذه الأحداث الكبرى من زوايا متعددة. وأقصد بالتمثيل توظيف علامات لغوية وغير لغوية في صياغة تصور أو إدراك لشيء أو حدث أو شخص أو غيرها على نحو مقصود^٢. ويُعدّ

^١ يدين النقد المعاصر لجان فرانسوا ليوتارد بصياغة مفهوم السرديات الكبرى Grand Narratives، وذلك في كتابه Lyotard, J. F. (1984). *The postmodern condition: A report on knowledge* (Vol. 10). U of Minnesota Press. وقد صدر الأصل الفرنسي للكتاب عام ١٩٧٩، وترجمه إلى العربية أحمد حسان بعنوان "الوضع ما بعد الحداثي: تقرير عن المعرفة"، شرقيات، القاهرة، ١٩٩٤.

^٢ هناك أبعاد عديدة للعلاقة بين اللغة والتمثيلات الروائية للعالم، للإحاطة بها يمكن الرجوع إلى: Banfield, A. (2014). *Unspeakable Sentences (Routledge Revivals): Narration and Representation in the Language of Fiction*. London and New York, Routledge.

تمثيل الحياة وظيفة مهمة من وظائف الرواية، وفي الحقيقة، فإن هنري جيمس يرى أن "السبب الوحيد لوجود الرواية هو أنها تحاول تمثيل الحياة"^٣.

يعالج البحث، على وجه التحديد التفسير المعقد بين السرديات الصغرى (سرديات الحياة اليومية) والسرديات الكبرى (خاصة السرديات الوطنية والتاريخية)، وارتباط ذلك بإنتاج تمثيلات متنوعة للواقع والتاريخ. ويحاول أن يجيب عن سؤالين بحثيين رئيسيين هما:

١. ما أشكال العلاقة بين السرديات الكبرى والصغرى في المتن الروائي

المدرّوس؟

٢. ما أثر التقنيات البلاغية والسردية في المعالجة الروائية للسرديات

الكبرى، وبخاصة سرديات الحروب؟

يوظف البحث عُدّة منهجية متنوعة للإجابة عن هذين السؤالين، تُستمدُّ بالأساس من حقول التحليل البلاغي والسرديات وتحليل الخطاب. ويدرس تحديداً أربعة أنواع من تمثيل السرديات الكبرى، هي:

(١) تمثيلات الحرب الأهلية: بلاغة الكذب في رواية "مدائن الالتهاب".

(٢) تمثيلات الهزائم الوطنية: جدلية التاريخ والأسطورة في رواية "رجل

من زمن منعكس".

(٣) تمثيلات الاحتلال العسكري: الذاكرة بوصفها مقاومةً في رواية

"دوامة الرحيل".

^٣ انظر: Young, J. O. (2011). Representation in

Literature. *Literature & Aesthetics*, 9, pp 127-143.

(٤) تمثيلات التمييز: عقدة اللون وسرديات ما بعد العبودية في رواية "جارية".

(١) تمثيلات الحروب الأهلية: بلاغة الكذب في "مدائن الالتهاب"^٤

تتنمي رواية "مدائن الالتهاب"، للروائي اللبناني فتح الله عمر، إلى نوع روايات النقد السياسي؛ التي تقدم تمثيلات سردية لأشكال الظلم والتلاعب والهيمنة السياسية، مثل روايتي "مزرعة الحيوان"، و"١٩٨٤" لجورج أرويل، ورواية "الحب في المنفى" لبهاء طاهر، و"ذات" لصنع الله إبراهيم، وغيرها. وتركز الرواية على نقد بلاغة الكذب في المجتمعات التي تعاني من صراعات أهلية، وتبرز أثر الكذب الجماهيري في إنكفاء الحروب الأهلية واستمرار أوارها. وحقيقةً، فإن الصلة بين رواية "مدائن الالتهاب"، و"١٩٨٤"، على وجه التحديد، وشيجة. فالروايتان تصوغان ملامح عالم استبدادي كابوسي، تهيمن فيه ذات "القائد الشريف"، و"الأخ الأكبر". والعالم الذي تصوغه الروايتان يتأسس عبر آليات منظمة للتلاعب بالعقول، مصحوبة بأدوات قهر وسيطرة.

إن أهم ما تشترك فيه روايتا "١٩٨٤"، و"مدائن الالتهاب" هو الدور المحوري للغة. فرواية "١٩٨٤" تحفل بلغة النيوسبيك Newspeak التي تُغيّب الملكة النقدية، وتسلب القدرة على التفكير، بواسطة حزمة من الظواهر اللغوية التي تشكل ما أصبح يُعرف باللغة الأورولوية Orwellian Language مثل الجمع بين المتناقضات، والغموض، والاختزال، كما تتجلى في شعارات الحزب الحاكم في دولة أوشينيا مثل:

^٤ عمر، فتح الله. (٢٠١٤). مدائن الالتهاب، دار الفرات، بيروت.

"الحرب هي السلم"، و "الحرية هي العبودية"، و"الجهل هو القوة"^٥. وهي عبارات يمكن أن نجد صدى لها في "مدائن الالتهاب"؛ ففي سياق تصوير البنية الداخلية للجهاز الاستخباراتي الذي أسسه بطل الرواية يذكر أنه يتكون من ثلاث عشرة شعبة منفصلة، ويذكر لكل شعبة مهامها ولباب فلسفتها. وليس "لباب فلسفة" هذه الشعب سوى مجموعة من الشعارات البلاغية المشابهة لشعارات وزارات دولة "أوشينيا" العظمى في "١٩٨٤"؛ مثل "إذا أردت السلم فكن على استعداد للحرب"، و"الشخص هو المشكلة، فإن زال الشخص زالت المشكلة"، و"كل متهم مذنب حتى تثبت براءته"، و"اكذب.. اكذب.. حتى يصدقك الناس"، و"حيثما يكون الجهل نعيمًا، من الحماسة أن تكون حكيمًا" ص ١٩٥-١٩٨.

تُعد هذه الشعارات جزءًا من عتاد لغوي يُستخدم بفعالية لإنشاء عالم أوروبي. فاللغة في العالمين تخضع لأقصى أشكال التلاعب لتتحول إلى أداة للسيطرة. وفي حين تلجأ رواية "١٩٨٤" إلى القضاء على قدرة اللغة على إنتاج فكر سليم بواسطة تدمير معنى الكلمات، تلجأ رواية "مدائن الالتهاب" إلى تقنيات بلاغة الإيهام والكذب، أو "الالتهاب" بلغة الرواية، لخلق عالم لفظي نقي وبريء ومثالي، يهدف إلى إخفاء العالم الحقيقي القذر والمدنس. وتحفل رواية "مدائن الالتهاب" بنماذج للغة "الالتهاب" وهي التسمية التي يُكني بها بطل الرواية عن الكذب، وهو

^٥ تتجلى تصورات أروويل عن العلاقة بين اللغة والعالم في روايته (مزرعة الحيوان)، و(١٩٨٤)، ومقاله عن اللغة الإنجليزية والسياسة. انظر: Orwell, G. (1984). New York: New American Library و Orwell, G. (2003). Animal farm. Penguin UK. و Orwell, G. (2013). Politics and the English language. Penguin UK. ولتحليل مفصل للعملين الأخيرين انظر: عبد اللطيف، عماد. (٢٠١٢). "اللغة والثورة: نقد الخطاب السياسي في أعمال جورج أروويل". مجلة نزوى، سلطنة عُمان، عدد ٦٩، يناير، ص ٤٥-٥٢.

الموضوع المحوري للرواية. تتعدد الأدوات التي تُستخدم في إنتاج الكذب، وتفعيله بواسطة تقنيات بلاغية؛ من بينها الإيهام، والمبالغة، وبناء الأفعال للمجهول، والغموض، والاستخدام المجازي للغة، والشعارات، ووضع ذات البطل في صدارة الجمل foregrounding، ونسبة الأفعال والصفات الإيجابية إليه، على نحو حصري بواسطة أساليب القصر. هذه التقنيات البلاغية وغيرها تشكل بلاغة للكذب، حاولت الرواية تعريضها وفضحها في إطار سردي.

"مدائن الانتهاب": إخفاء العالم الحقيقي بواسطة الإيهام بالواقعية

تدور رواية "مدائن الانتهاب" بأكملها حول تيمة الكذب في الفضاء العام. وتتخذ من الكذب في المجتمعات غير المستقرة موضوعاً لها، وتركز تحديداً على دور بلاغة الكذب في السيطرة على الوعي العام، ودفع المواطنين إلى الاقتتال على أسس دينية ومذهبية وطائفية، بواسطة سلسلة من الأكاذيب المتقنة المدعومة بسياسات الترغيب والترهيب، التي تقف وراءها آلة دعائية شديدة الضخامة. والرواية بأكملها تحكي سيرة ذاتية لقائد سياسي يؤدي دور النبي الكذوب.

تحاول الرواية خلق إيهام بواقعية أحداثها وشخصها، من خلال استخدام تقنية مألوفة هي تقديم الرواية بوصفها سيرة ذاتية حقيقية لشخصية واقعية معروفة. وبالطبع فإن الفصل الأول من الرواية، كما هو شائع في مثل هذا النوع من الروايات، ينصرف بأكمله إلى تهيئة القارئ للاطلاع على السيرة الذاتية، وبذلك تتضمن الرواية راويين؛ الأول يقوم بدور تقديم السيرة الذاتية التي كتبها الراوي الثاني، والراوي الثاني هو نفسه بطل الرواية/السيرة، التي تتشكل من سلسلة من الاعترافات. والمفاجأة هي أن هذا الراوي لم يكن سوى المؤلف نفسه؛ فقد وقّع مؤلف الرواية باسمه أسفل الفصل الذي يروي فيه كيف وصلت إليه السيرة الذاتية، وكيف طُلب

منه نشرها. هذا الإيهام بالواقع دعمته واقعية الرواية بأحداثها وشخصها وأماكنها. مهما يكن من أمر، فإن المثير للدهشة هو أن السيرة الذاتية التي تشكل متن الرواية، والتي تنطوي على غاية فضائية، تجاهلت عن عمد ذكر المكان الذي تقع فيه الأحداث داخل العالم العربي، واكتفت الرواية بأن وصفت بدقة الشخص الفاعل فيها، بأسماء ذات دلالة ثقافية واضحة، كما قدمت أوصافاً طبوغرافية دقيقة للمكان، تجعل من السير التعرف عليه.

نستطيع أن نفهم السر وراء تجهيل المكان الواقعي، إذا نظرنا في كلمة الغلاف الخلفي للرواية، والذي يتضمن العبارة الآتية: "رواية غريبة، لكنها ذات دلالات كثيرة. أشك في إمكان نشرها، لكنها لو نشرت لكانت من أكثر الروايات غرابة وجذباً". فصاحب العبارة، الشاعر السوري نجاته قصاب حسن (١٩٢١ - ١٩٩٧ م)، يستبعد إمكانية نشر مخطوطة الرواية. وربما كان تجهيل المكان حيلة سردية للتقليل من فضائيتها. إن ما يلفت الانتباه أيضاً أن هذه العبارة عن مخطوط الرواية كتبت قبل سبعة عشر عاماً على الأقل من نشرها، وهو ما يعني أن ما تتبأ به صاحب كلمة الغلاف كان في محله، فلم تُنشر الرواية إلا بعد ما يقرب من عقدين من زمن قراءته لها. وفي الحقيقة فإنني أذهب إلى أن الإيهام بواقعية الرواية من خلال الزعم بأنها سيرة ذاتية لأحد السياسيين، وإخفاء ملامح العالم الذي تحكي عنه نسبياً - تحت ستار أن هذه رغبة مؤلف السيرة - يُسهم بالأساس في إخفاء العالم الفعلي الذي تحكي عنه؛ حيث يؤدي الإيهام بالواقع إلى إيجاد مبررات سردية لإخفاء ملامح الواقع ذاته، وفي هذا مفارقة دالة.

فيما يتعلق بشخصيات الرواية، فإنها تبدو واقعية حتى النخاع، وإسقاطات الرواية على الواقع التاريخي لأحد البلدان العربية يبدو جلياً، على الرغم من أنه غير

صريح. وقد نجح الروائي في إضفاء طابع شديد الحيوية على شخصياته، وخلق من البطل نموذجًا روائيًا/إنسانيًا مهمًا. تقوم بلاغة الكذب بلعب دور محوري في صياغته؛ فالبطل الذي تنتبع الرواية طفولته وشبابه يُقدّم بوصفه شخصًا مبتلى بداء الكذب، ينجح في توظيف دائه في تحقيق حلم طفولته بأن يصبح قائدًا لطائفته الدينية، وأن يتحول إلى زعيم سياسي، وقائد عسكري، "يقتل المئات بإشارة يد".

لقد أضفتُ تبصرات المؤلف بشأن الواقع السياسي العربي على الرواية طابعًا تحليليًا، والرواية، في الحقيقة، تقدم نقدًا عميقًا للزعامات السياسية التي تجر أوطانها إلى براثن الحروب الأهلية، خاصة تلك التي تتخذ من الدين مطية لتحقيق مطامحها الشخصية الخالصة، وتتسلح بالكذب في مواجهة قيم العدل والمحبة والمساواة. وعلى الرغم من ذلك، فإن الرواية لا تبتكر تقنيات سردية مميزة، بقدر ما تُعنى بتدفق السرد وتشويقه. وتكشف الرواية عن تمكن في رسم الشخص، والأماكن، ومهارة متميزة في خلق سرد متدفق، جذاب. وبالطبع فإن جزءًا من تشويق الرواية وجاذبيتها يكمن في أنها رواية اعترافات، تتيح إشباع تلك الرغبة الملازمة لدى الإنسان في التلصص على حيوات الآخرين. إضافة إلى ذلك، فإن جزءًا من تشويق الرواية قد يرجع أيضًا إلى أنها تحكي عن أوضاع سياسية واجتماعية مألوفة لدى القارئ العربي، من المحيط إلى الخليج.

في نقد بلاغة الكذب^٦

منذ مفتح الرواية يُلح المؤلف على الدور المحوري للغة في بنائها. ويصف اللغة التي كتب بها البطل سيرته الذاتية التي تشكل متن الرواية قائلاً:

^٦ أستوحي تعبير (بلاغة الكذب) من عنوان كتاب: بدوي، محمد. (٢٠٠٦). بلاغة الكذب: نصوص على نصوص. الهيئة العامة لقصور الثقافة. القاهرة.

"أسكرني بطلاوة لغته المفعمة بالخيال الجامح الخصب الكذوب، وبقدرته الفذة على الولوج في أعماق أولئك الذين ابتلوا بأفة الكذب.. أجل لم أقرأ في حياتي على كثرة ما قرأت مثل تلك اللغة، ولذا فقد حافظتُ، ما أمكنني، على النص الأصلي، ولم أغير ولم أعدّل إلا النزر القليل منه، بما يقتضيه السياق الروائي، أو بما يستوجبه تصحيح لحن، أو إصلاح خطأ لغوي وقع فيه."

تبدو العبارات السابقة وصفًا للغة سيرة البطل، لكنها في الوقت ذاته وصف للغة الرواية فيما يُشبه إعجابًا بالذات. ويبدو هذا الاهتمام باللغة في مفتتح الرواية متسقًا مع التيمة الكبرى للرواية في عمومها. فالرواية تصنع من القائد الكذوب "نموذجًا أدبيًا" تُحمّله بكل سمات الكاذب الأفاق التي يمكن أن تجتمع في شخص واحد. وتبدأ الرواية بسرد شطر من الحياة الشخصية للبطل، ومنذ صفحاتها الأول، تقدم الرواية وصفًا للمقصود بالكذب. فالراوي/ البطل، يذكر أن حبيبته اتهمته بأنه كذوب، "وما ذاك إلا لأنها اكتشفت تزويرًا بسيطًا ببعض الحقائق التي رويتها لها، كالإضافة والمبالغة والتعظيم وادعاء ما ليس لي أنه لي" ص ١٥. وتعبير "بسيطًا" الوارد في وصف البطل لما يقوم به هو جزء من آليات التهكم التي استخدمتها الرواية لنقد سلوك البطل. مع ذلك فإن الآلية الأهم لإنتاج التهكم في الرواية هي آلية الاستبدال اللغوي، بواسطة إحلال تعبير مجازي محل تعبير حقيقي. فعلى مدار صفحة كاملة يبرر البطل سر استخدامه لتعبير "التهاب اللسان" بكل تنويعاته الصرفية، للإشارة إلى الكذب بكل تجلياته.

تتجاوز الرواية نقد الواقع السياسي العربي الذي يُرحب بهيمنة الأفاقين إلى نقد التراث العربي ذاته الذي يُمثل الذخيرة الخطابية لبلاغة الكذب. ومنذ الصفحات الأولى من الرواية يقول البطل:

"الحق أن المجتمع العربي الذي أنتمي إليه، بما يتميز به من عشق التغني والفخر بقصص البطولة والرجولة والعنتريات، كان يُقدم لي دائماً إغراءات عظيمة لممارسة الالتهاب، لا يمكن لمثلي القفز فوقها، أو التسرب من تحتها" ص ٣١.

وعلى مدار صفحات الرواية يورد البطل اقتباسات أدبية عديدة من عيون التراث العربي تضيء مشروعية على تلاعباته وأكاذيبه، وتمثل جذوراً مُعترفاً بها لاستبداده وبطشه، أو تجسد - انتقاداً - استبداد الحاكم، وترسم له صورة طغيانية على نحو استشهاده بقصيدة "عنتره" لنزار قباني. ففي حوار دالّ مع (وصال) المسئولة السياسية عن الحزب يرد ما يأتي:

"سألتني وصال، وأنا في أشد حالات زهوي: "أليس حرياً بحزبنا أن يكون له دستور؟"، قلتُ: "بلى.."، قالت: "فمتى نجمع لكتابته؟"، قلتُ: "قد كتبته وانتهى الأمر". أذهلتها المفاجأة، فقدمتُ لها بعض أوراق دَوْنْتُ فيها دستور حزبنا العتيد. ما إن قرأت وصال أوراقى حتى بدت أمارات الصدمة الكاملة على مُحيائها، إذ لم يكن هذا الدستور العتيد غير "قصيدة عنتره" للشاعر الكبير نزار قباني. يقول الدستور (أو القصيدة، لا فرق):

هذي البلاد كلها مزرعة شخصية لعنتره..

سماؤها .. هواؤها .. نساؤها .. حقولها المخضوضرة

كل البنائيات هنا، يسكن فيها عنتره،،

كل الشبابيك عليها صورة لعنتره..

كل الميادين هنا تحمل اسم عنتره" ص ١٣٠.

وبعد أن يورد البطل/زعيم الطائف/ الراوي القصيدة الكاملة على مدار ثلاث

صفحات، يدور الحوار الآتي:

"بذلت وصال جهداً خارقاً كي تتماسك، ثم تمتمت:

"لم أفهم.."، قلتُ: "أريد أن أكون عنتره حقيقياً كعنتره نزار

قباني، لا فأراً صغيراً كعنتره العبسي" (ص ١٣٣).

تواصل الرواية التناص مع التراث العربي^٧؛ للكشف عن دور الذخيرة

الخطابية العربية في تأسيس مشروعية بلاغة الاستبداد والكذب؛ إذ يستعين الراوي

بأبيات ابن هانئ الأندلسي الشهيرة لاستكمال تأسيس دستور حزبه السياسي:

" - هذا هو دستورنا، لكن ينبغي أن نضيف له مادة

أخرى.

- مادة أخرى!؟

- أجل ثلاثة أبيات من الشعر لمحمد بن هانئ

الأندلسي..

تضاعفت أمارات الترقب والدهشة على مٌحيائها،

فقرأتُ لها:

^٧ لمراجعة حديثة نسبياً لدور التناص في بناء الأعمال الأدبية، يمكن الرجوع إلى: Allen, G.

(2011). *Intertextuality*. London and New York: Routledge.

ما شئت لا ما شاءت الأقدارُ
 فاحكم فأنت الواحدُ القهارُ
 شرفتُ بك الآفاق وانقسمت بك
 الأرزاق والأجال والأعمارُ
 جلت صفاتك أن تُحدَّ بمقول
 ما يصنع المصداق والمكثار
 تمتتُ بذهول:

- لم أسمع في حياتي دستورًا كهذا..
 فأجبتها بنبرة حازمة قاطعة:

- اسمعي يا عزيزتي .. هاتان القصيدتان هما
 دستورنا الأساسي، تزول الجبال ولا يتغير، ونفعل أي شيء
 ولا نحيد عنه، لكنه سيبقى دستورًا سرّيًا بيني وبينك، أما
 الدستور الذي سنقدمه للحزبيين، والمناصرين، فيمكنك أن
 تكتبيه كما تشائين" (ص ١٣٤-١٣٥).

ولم يكن من المستغرب أن يستشهد الراوي/زعيم الطائفة بعد عدة صفحات
 بأبيات أخرى للمتنبّي تدور أيضًا حول تعظيم الذات:
 "تذكرتُ أبياتًا للمتنبّي، كنتُ وما زلتُ أعشقها، وأتمثل
 معانيها في شخصي الكريم:

أي محل أرتقي؟ أي عظيم أتقي
 وكلُّ ما قد خلق الله وما لم يخلق

مُحْتَرِّقٌ فِي هَمَّتِي كَشَعْرَةٌ فِي مَفْرَقِي" ص

.١٤٧

تمثل هذه الاستشهادات أيقونات للمبالغة والإيغال في المعنى في شواهد البلاغة العربية. وهي في الوقت ذاته تجسد بعض سمات البلاغة السياسية العربية، كما تتجلى في تراث متراكم من نصوصها؛ مثل الفخر بالذات، ونفاق الحاكم، والمزج بين صورة الحاكم والإله، وشرعنة العبودية السياسية. وهي سمات جوهرية في الخطاب السياسي العربي.

المفارقة وبلاغة الكذب

إن ما يلفت الانتباه في النصوص السابقة هو نزعة التهكم التي تهيمن على استدعاءات الراوي للتراث العربي. هذا التهكم يُنتج بواسطة تقنيات بلاغية عديدة، لعل أبرزها المفارقة، التي تشكل سمة أسلوبية شائعة في متن الرواية^٨. عادة ما تُستخدم المفارقة في الرواية لإضفاء طابع تهكمي، سواء على شخوص الرواية أو أحداثها أو الواقع الاجتماعي والسياسي الذي تصوره. لكن المفارقة تقوم أيضًا بوظيفة تعرية ذات البطل/ الراوي، وسوف أميز في سياق هذا التحليل بين نوعين من أنواع المفارقات الواردة في الرواية:

أ. المفارقة اللغوية:

تنتشر على مدار صفحات الرواية، وتتضمن تسمية الأشياء بنقيضها؛ فالاستبداد يُسمى ديمقراطية، والبريء يُطلق عليه لقب "المجرم"، والسفك يحمل اسم

^٨ تتبعت دراسات متنوعة أشكال المفارقة في السرد العربي الحديث والمعاصر، ومن بواكير هذه الدراسات، وأكثرها تأثيرًا في الدراسات العربية المعاصرة عن المفارقة، دراسة سيزا قاسم، المفارقة في القصص العربي المعاصر. مجلة فصول في النقد الأدبي، مجلد ٢، عدد ٢، ١٩٨٢، ص ١٠٥-١٢٠.

"رمز الإنسانية"، و"محتزف الأكاذيب". ولعل أيقونة المفارقات اللغوية في الرواية هما تسميتا "الشريف القائد"، أو "القائد الشريف"، اللذان طلب البطل ألا يُذكر اسمه في أية وسيلة إعلامية إلا مسبقاً بأحدهما. هذا "البطل الشريف" هو الذي يصف نفسه في سياق اعترافي، بقوله: "ما دُمتُ ابن زنى، مادياً ومعنوياً، فلن أوفر نقيصة أو جريمة أو مجزرة بعد اليوم!!" ص ١٧٨.

ب. المفارقة المشهدية:

تُهيمن المفارقات المشهدية على متن رواية "مدائن الالتهاب"، ربما يرجع هذا إلى أن الرواية معنية بالأساس بتعرية استراتيجيات الكذب والخداع والتلاعب في المجال السياسي، ولكي تُنجز هذه التعرية تستخدم استراتيجية تهكمية ساخرة مثل المفارقة. وسوف أورد شاهداً واحداً دالاً للتمثيل.

يصف البطل/الراوي أحداث إحدى الخطب التي ألقاها أمام مؤيديه وأتباعه

قائلاً:

"شيء واحدٍ عكر صفو سعادتي، خلال إلقاء هذا الخطاب، والخطاب الذي بعده، هو ما كان ينتابني من ارتباكٍ وتلعثم. لكنني سرعان ما تخطيتُ تلك المشكلة، بأن أصبحتُ أجيل النظر بين مناصريّ أثناء إلقاء الخطاب، وأقول لنفسي بحزم:

- لم أبصر في حياتي قط مجموعة من المجانين

القدرين كهؤلاء..

وإذ ذاك أشعر بازدرء هائل تجاههم. أتخيلهم ذبابًا
 بريًا، أو فئرانًا أو كلابًا.. لا ينبغي أن أحسب لهم حسابًا.. وإذ
 ذاك يزول ارتباكى وتلعثمي واضطرابي.
 أليست الظروف القاهرة تقتضي علاجات استثنائية"
 ص ١٢٤.

مثل هذه المفارقات المشهدية التي تتشكل بواسطة المقابلة بين الصورة
 الموصوفة في الواقع الخارجي، والصورة المتشكلة نتيجة إدراك البطل الحقيقي لهذا
 الواقع - تشكل أداة فعالة في تعرية ذات البطل من ناحية، وإضفاء طابع تهكمي
 ساخر من العالم الذي تصوره الرواية من ناحية أخرى.
 تكشف الرواية عن الدور الحاسم للتلاعب والكذب في تحديد مصائر
 المجتمعات التي تعاني من نزاعات طائفية. فقد كان تحول المجتمع من مرحلة النزاع
 الطائفي إلى الحرب الأهلية نتاجًا لسلسلة متصلة من الأكاذيب تضمنت اختلاق
 الوقائع، وارتكاب الجرائم ونسبتها للآخرين، وخلق صورة الضحية للذات، وصورة
 الجلال للآخرين، وإذكاء الروح العنصرية، والاستغلال الفادح للدين، وإخفاء المصالح
 الشخصية في طيات المصالح العامة. وسعت الرواية لتصوير هذا الانتقال من
 وضعية الاختلاف إلى وضعية الصراع إلى وضعية التقاتل في تمثيلها للمجتمعات
 المأزومة بالتنوع المذهبي أو الفكري. وعلى مدار صفحات الرواية، رأينا كيف يُعامل
 بوحشية مع محاولات تعرية التلاعب، وكشف الكذب، واقتراح تمثيلات مختلفة
 للعلاقة بين أبناء الطوائف المتعددة في الوطن الواحد. وتبرهن الرواية على أن تقديم
 تمثيلات كاشفة، ربما يكون بوابة نجاة من السقوط تحت عجلات الحرب الأهلية التي
 تهرس الجميع بلا تمييز. وإذا كانت رواية "مدائن الالتهاب" تركز نفسها لتقديم

تمثيلات للمجتمعات التي تعاني من حروب أهلية في العصر الراهن، فإن رواية "رجل من زمن منعكس"، على خلاف ذلك، تركز نفسها لتمثيلات الماضي، وتقدم سردية لمجتمع واحد، ورجل واحد عانى من الهزائم الوطنية على مدار أكثر من ألفي عام.

(٢) تمثيلات الهزائم الوطنية: جدلية التاريخ والأسطورة في "رجل من زمن منعكس" تتكئ رواية "رجل من زمن منعكس"، للروائي السوداني سيف الدين بابكر^٩، على تقنية المزج بين الأزمنة والأمكنة، وهو مزج ليس هدفه التداخل بل الحلول؛ حيث يحل الماضي السحيق والماضي البعيد والماضي القريب في لحظة حاضرة. ومن ثم، تتضمن الرواية كمًا كبيرًا من الاسترجاعات الزمنية، خاصة لأزمنة الاحتلال اليوناني، والفتح العربي، والسيطرة العثمانية، والغزو الإنجليزي، والحرب المهدية، والإغارات القبائلية على قبيلة الرواي. تدور هذه الاسترجاعات حول شخص واحد، هو بطل القصة وراويها. هذا البطل لا يحضر بوصفه ذاتًا فردية، بل بوصفه ذاتًا جمعية، تمثل أمة/حضارة (النوبة) تتعرض للعدوان والانتهاك عبر عصور عديدة. والذات/الجماعة في حالة فرار دائم، ترتحل من وطنها حرصًا على بقائها وفرارًا بحريتها.

تتكون الرواية من ستة وعشرين فصلا، تُعنون بأرقام متسلسلة، الأحد عشر فصلا الأولى يُهيمن عليها وصف السارد/البطل، لمحطات من ترحاله خاصة في الغرب، ويركز على علاقاته الجسدية الحميمة. وتصور الرواية البطل فحلا لا يشق له غبار، وتستخدم لغة مباشرة في بعض الأحيان لوصف فتوحات البطل الأسود مع النساء البيض، في ملمح يذكرنا بتيمة رواية "موسم الهجرة إلى الشمال"، للطيب

^٩ بابكر، سيف الدين حسن. (٢٠١٤). رجل من زمن منعكس، المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة.

صالح؛ إذ عادة ما تكون لحظات التحقق الجسدي هي ذاتها لحظات حلول الماضي في الحاضر، والجمعي في الفردي^١. أما الفصول العشر التالية، التي تشكّل أكثر من نصف الرواية، فإن الماضي يهيمن عليها، ويتوارى البطل الراهن لصالح امتداداته الماضوية، ليعاود الظهور فقط في الفصول الخمسة الأخيرة منها. ويكاد تلت الرواية ينشغل كلية بحدث مهم في تاريخ السودان هو ثورة المهدي في ثمانينيات القرن التاسع عشر، وتأسيس الدولة المهدية. وتقدم الرواية خلال ذلك صورة ناصعة للجنرال تشارلز جورج غوردون، رئيس حكومة الاحتلال البريطاني للسودان عشية ثورة المهدي، في مقابل صورة سوداوية للمهدي نفسه.

يوظّف استتساخ البطل في شخصيات ماضوية أداةً سردية لحكي تاريخ الجماعة التي ينتمي البطل إليها. ولم يكن من الغريب أن يضع المؤلف على صدر الغلاف الأمامي عبارة "رواية من الماضي السوداني"؛ بهدف إحداث تماهٍ بين سرديته الروائية المتخيلة والتاريخ. والبطل ذاته يتحرك وهو ينوء تحت ثقل ماضيه. غير أن الرواية - في بعض الأحيان - تفشل في أن تُحدث هذا المزج بين الماضي على امتداده والحاضر، وبدت الانتقالات (أو بالأحرى الحلول) بين الأزمنة في كثير من الأحيان تعسفية وغير مفهومة، مثلما بدت تحيزات الروائي نحو رواية بعينها للماضي مهيمنة على إدراكه للتاريخ. وتبدو الملاحظة الأخيرة متوقعة ومفهومة في ضوء أن التاريخ نفسه في كثير من الأحيان ليس إلا روايات مؤدلجة، ووجهات نظر محكومة بالمصلحة.

تقدم الرواية شكلاً سردياً تجريبياً، يقوم على حلول الأزمنة والأمكنة والشخصيات؛ حيث يتماهى الماضي في الحاضر، والأنا في الجماعة، والوطن في

^١ انظر، الكوني، إبراهيم. (١٩٦٦). موسم الهجرة إلى الشمال. دار العودة، بيروت.

المنفي. كما تتضمن أثارًا من رواية تيار الوعي، حيث تتداح الذكريات والصور والمشاهد بعنفوانها وزخمها الأولي، دون قيود المنطق أو التنظيم العقلي. ومع ذلك فإن الرواية تبدو ذات بنية هشّة، ربما بسبب ذلك، إذ تتطوي على تحولات عاصفة، وانقطاعات مربكة. قد تبدو هذه التحولات مبررة في إطار تيمتها التي تحكي تجربة اقتلاع من المكان عبر أزمنة عديدة، وتقدم مرثية للقهر الجمعي. وقد أدت هذه التحولات والانقطاعات، أدت إلى درجة ما من تفكك البناء السردى، ربما لأنها افتقدت في بعض المواضع رؤية كلية شاملة، أي إلى خبرة فنية شديدة العمق والثراء والاحتراف.

تمثل خاتمة "رجل من زمن منعكس"، امتدادًا لتقنية المزج بين الأزمنة من ناحية، وتناصًا مع عنوانها من ناحية أخرى. فالخاتمة تمزج بين الماضي اليوناني والحاضر السوداني في لحظة واحدة؛ إذ يستحضر الراوي شخصية اليوناني القديم أرفيوس الثراقي، ويسقطها على الحاضر. وتنتهي الرواية بمشهد مربك، يتوهم فيه الراوي مقتل الثراقي بشكل مأساوي، ثم يراه بعد ذلك بلحظات حيًا. وتُختتم الرواية بموقف اختفاء جديد للثراقي، في حين يمسك الراوي بكتاب، يقع على الأرض؛ ليقرأ أحرفه منعكسة، في تناص لفظي مع عنوانها. ويتعمق فعل التناص إذا ترجمنا عنوان الكتاب "المسجل بالإنجليزية"، وهو "إياك أن تُحبّ غريبًا"، إذ يُعد العنوان تناصًا مع تيمة الرواية التي تدور حول الاغتراب. وقد بذل المؤلف جهدًا في تكثيف إحياءات خاتمتها، عبر توثيق الصلة بين تفاصيلها السردية الصغيرة من ناحية وعنوانها من ناحية ثانية، وتيمتها من ناحية ثالثة.

تحفر الرواية بعمق في الخبرة المؤلمة للذات الجمعية، بواسطة استدعاء لحظات الانكسار الجمعي، وتأثيراتها على الأفراد. ويبدو هذا المنطلق واعدًا؛ لأن

تيازاً مهماً من الرواية العالمية يُعد مراجعات عميقة لمسارات التاريخ الوطني الكبرى، على نحو ما نرى في روايات عظيمة مثل "الحرب والسلام" لتولستوي و"الثلاثية" لنجيب محفوظ. غير أن الرواية لم تُفلح في تقديم سرد ملحمي للذات الجمعية (النوبية)، بسبب التمثيل السلبي الذي هيمن على تقديم تاريخ هذه الجماعة. فقد قُدمت بوصفها مستسلمة للعدوان في كثير من المواقف، قليلة الحيلة، ومسلوبة القدرة على المقاومة إزاء جحافل الطغيان. بالطبع فإن هذه الصورة تستند إلى أساس تاريخي؛ فقد كانت النوبة (ومصر والسودان في عمومهما) ضحية احتلال دام متصل لقرون طويلة. غير أن هذا التاريخ، لا ينفي أيضاً وجود أشكال لا حصر لها من المقاومة والتمرد، والسعي التواق إلى الحرية، كان من الممكن تمثيله سردياً وروائياً؛ حتى لا تقع الذات الجمعية في فخ جلد الذات. ومهما يكن من أمر، فإن لتمثيل الهزائم الوطنية في الرواية سمات يتعين الوقوف عليها.

خصائص تمثيل الهزائم الوطنية في "رجل من زمن منعكس"

أ. التمثيل المتشظي للذات والزمان والمكان

تتنمي رواية "رجل من زمن منعكس" إلى رواية الفجيعة؛ حيث يعيش البطل سلسلة من المحن الكابوسية. لكن الفجيعة المحكية في الرواية جمعياً لا فردية. إنها بالأحرى فجيعة تاريخ لا فجيعة شخص. وقد أنجزت الرواية عملية شخصنة الفجيعة التاريخية بواسطة خلق بطل استثنائي، يبدو سرمدياً لا تُقنيه الحوادث، ولا تُبليه العصور. يكاد من فرط علمه بوقائع الأحداث، وخفايا الماضي، ومعاينته لكل أمر جليل أن يكون هو التاريخ نفسه متجسداً في السيد "جاموس/ كبير/ كوستا/ شرنكو/ أورفيوس/ ود عبود/ غبوش"، الذي يتغير اسمه وديانته ولغته بين قرن وآخر، دون

أن تُمس جذور انتمائه، وارتباطه بوطنه (النوبة) الذي يبدو الواقع الحقيقي غير المتحول في الرواية.

تقوم عملية تمثيل الماضي الكابوسي في رواية "رجل من زمن منعكس" على آلية تشظية الوعي^{١١}. هذا التشظي يطال شخصية البطل وزمانها ومكانها. وقد كان الراوي/البطل، على وعي بهذه السمة في حكايته، فهو يقول:

"أنا يا سيدي رواية واحدة متصلة .. الشخصيات التي تحدثت عنها الآن، تقطع تواصل الزمن المتصل أصلاً، والمتربط لرجل واحد، ظل هاربًا ومطاردًا منذ أن قويت قدماه وساهدته على العدو والاختباء والتخفي" ص ٢٧٨.

هذا الوعي بالتشظي يحضر عادة في سياق الارتحال المحفّز بالخطر، يقول على سبيل المثال أثناء هربه من رجال المهدي الذي يطلبون قتله: "المخرج أمامي، والموت خلفي. وأنا رجل بائس مطارّد منذ الأزل، ثراقي تارة، ومروي تارة أخرى، ونوبي ونوباوي" ص ١٦٨. ويذكر إثر ذلك بصفحات قليلة عبارته الأكثر دلالة في هذا السياق: "أنا مخلوق لا مكان لي من المكان .. أي رجل لا مكاني. فإن جاز أن أكون لا مكانيًا، جاز منطقيًا أن أكون لا زمنيًا...!" ص ١٧٢.

على الرغم من أن الراوي/البطل يُدرك أنه شخصية متشظية عبر التاريخ والمكان، وأن وجوده هو امتحان عسير لكل التصورات المنطقية لحياة البشر، فإنه يسلك في بعض الأحيان ضد هذا الوعي. ففي أحد مشاهد الرواية، يزور البطل حفيد

^{١١} يمكن النظر إلى تشظي الوعي بوصفه تجليًا من تجليات تقنية تيار الوعي السردية، لمزيد من المعلومات عن الأخير يمكن الرجوع إلى: همفري، روبرت. (٢٠٠٠). تيار الوعي في الرواية الحديث، ترجمة محمود الربيعي، دار غريب، القاهرة.

أحد العسكريين الذين خدم معهم في زمن ماضٍ، فقد سأله الحفيد: "حضرتك مين؟ أصلي ما عرفتكش!" وبعد تفكير يجيبه البطل: "حدقت في الرجل لبعض الوقت مشرِّحًا وجهه بوصة بوصة فلم أعر على آثار السجحات والكدمات التي ألحقها به الدراويش يوم أن أسروه بالخرطوم". فالراوي/ البطل يتحدث عن شخصية الجد، غافلا عن أن من أمامه إنما هو الحفيد، وأن الجد الذي يبحث عن ملامح وجهه قد رحل منذ عقود. وكان على الحفيد أن يذكره بذلك في سخريته: "جدي إبراهيم فوزي باشا انتقل إلى رحمة مولاه عام ١٩٣٣، وأعقبه والدي فوزي الذي استشهد إبان حرب تأميم قناة السويس. وأمامك الآن الحفيد اللواء إبراهيم فوزي إبراهيم فوزي" (ص ٢٣٦). ويكشف هذا الارتباك في وعي البطل بكينونة تشظيه في بعض السياقات.

ب. تمثيلات الماضي بين الأسطورة والتاريخ

تتراوح تمثيلات الماضي في رواية "رجل من زمن منعكس" بين الأسطورة والتاريخ. وأقصد بالأسطورة في هذا السياق السرديات الخرافية، التي كانت تقوم بوظائف اعتقادية ودينية، وتصوغ رؤية شاملة للعالم القديم. ومنذ كلمات الإهداء في مفتتح الرواية، يتجاوز التمثيلان على نحو مثير للتأمل. فالصفحة الرابعة من الرواية تتضمن "إهداء أول" جاء فيه:

إلى "هليودورس" المؤرخ الإغريقي الذي أورد
 قصة فتى إغريقي من ثراقية، وسيم الوجه، أحب فتاة
 مروية.. فكنتُ أنا ثمرة ذلك الحب الذي أوردني
 موارد التهلكة والهلاك. وحقيقة لولا تلك النطفة
 الحدوتة، ما كان لروايتي هذه أن تأخذ حيزًا من
 الوجود. <الراوي>.

وفي الصفحة المقابلة (ص ٥) يقبع "إهداء ثانٍ":
 إلى جدي النوبي "شرنكو الأكبر" والذي
 أعترز بانتمائي له. ولي الحق أن أفخر بذلك فمن
 كان جده نوبياً فليفتخر فهو ابن هذه الأرض".
 <المؤلف>.

الإهداء الأول يُحلق في فضاء أسطوري، يستمر خيطه عبر صفحات
 الرواية من المبتدأ إلى المنتهى. والإهداء الثاني، الذي يُقدّم إلى شخصية فعلية يشير
 إلى جذور تاريخية، نتلمس آثارها على مدار صفحات الرواية التي تروي وقائع هزائم
 وطنية لا تكاد تنتهي. لكن الملاحظ في بناء الرواية هو أن الأسطورة والتاريخ لا
 يمتزجان إلا قليلاً، ويمكن أن نقول باطمئنان إن التمثيل الأسطوري للماضي هيمن
 على بداية الرواية وخاتمتها، بينما أخلص متن الرواية إلى السرد التاريخي.
 فالصفحات الخمسون الأولى حافلة بالأساطير التي تمزج بين التاريخين اليوناني
 والإفريقي تحديداً، وتستحضر عدداً وفيراً من الشخصيات الأسطورية مثل أورفيوس،
 وسيزيفوس، وأتلانتا، وهيبومينيس، وفينوس، وأدونيس، وأبولو، وغيرهم. ولنقرأ مقتطفاً
 يُبين كيف تضفر الرواية بين الأساطير والتاريخ الشخصي للبطل:

"مدت ذراعها نحوي، فإذا هما مكتسيان بشعر أسود
 ناعم الملمس، وإذا بكفيها تنتصبان بمخالب معقوفة
 كمخالب القط تماماً.. وإذا بذيل يظهر لي من تحت
 رديها.."

- إياك أن تستهين بأمرى فإن دماء ملكية إلهية
 تجري في عروقي..! فجذتي أتلانتا وجدي

"هيومينيس" عاقبتهما "فينوس" .. انزلت من
 السرير على خشب أرضية الغرفة، وسرت على يدي
 وقدمي مثلما تسير القطط عرايا، وإن خلت أن شعر
 جلدي نبت، وأن ثمة حيواناً يتقمصني" ص ٣٨-
 ٣٩.

أما التاريخ القومي الذي تسرده الرواية فيهيمن على ما يزيد عن ٧٠% من صفحاتها. وتكاد قصة الثورة المهدية تستحوذ على ثلث الرواية بمفردها. هذا التمثيل التاريخي للماضي السوداني يميّزه الحرص على نقل وقائع دقيقة حول الأحداث التاريخية. وتلجأ الرواية إلى حيلة سردية لاستدعاء السرد التاريخي، بأن ترتب لقاء بين البطل وإبراهيم فوزي باشا مؤلف "كتاب السودان بين يدي غردون وكيثشنر"، الصادر عن مطبعة المؤيد في جزأين عام ١٩٠١. وتفسح الرواية لمؤلف الكتاب التاريخي أن يروي مشاهداته بشأن الثورة المهدية ووقائع دخول قوات المهدي إلى الخرطوم. إضافة إلى ذلك تلجأ الرواية إلى نقل فقرات كاملة من الكتاب وضعتها بين قوسين هلالين تمييزاً لها عن النص الروائي.

هذا التجاور بين التمثيلات الأسطورية والتاريخية للماضي السوداني لا يبدو مستغرباً، ولا عصياً على الفهم. فقد نشأ التاريخ في حضن الأسطورة، أما الأساطير ذاتها فلطالما تعامل معها البشر على أنها وجه من وجوه التاريخ.

ت. فحولة الذات تعويضاً عن استباحة الوطن

تتضمن رواية "رجل من زمن منعكس" مشاهد حميمة عديدة، العنصر المشترك فيها جميعاً هو الراوي/البطل. الذي يُقدّم بوصفها فحلاً لا يُشق له غبار، ولا يستعصي عليه فعلٌ. فهو دوماً مرغوب مشتهى. وهو يُخضع بذكورته نساء بني

جنسه من السودان والنوبة، وبنى جبرته من المصريات، وتمتد فتوحاته إلى بلاد الفرنجة في الدول الإسكندنافية حيث يكون محل غيرة الحاسدين، ويعبر الأطلسي ليُمَارِس فحولته في أمريكا، مُحَقِّقًا معجزات إيروتيكية فشل الآخرون في إنجازها. هذا السرد الممجّد لفحولة الذات، يقابله من الناحية الأخرى، سرد نائح على انكسار الوطن وذلته. ويكفي أن نقرأ بعض مقاطع الرواية لنرى كيف ينظر البطل إلى تاريخه الوطني:

"قوات عبد الله بن أبي السرح تتعقبنا،
الأطفال والنساء يفرون جنوبًا، مسارنا ضد سريان
مياه النهر.. نصل إلى ملتقى نهري "سيدا
والتكازي"!! قبل أربعمئة عام فررنا أمام جيوش
عيزانا ملك الأحباش واتجهنا شمالًا، وهانحن بعد
أربعة قرون من الزمان، يتبول التاريخ على رؤوسنا
مرة أخرى" ص ٩٨-٩٩.

يكتسب هذا التقابل بين مشاهد فحولة الذات وإخساء الوطن دلالة إضافية، إذا تتبعنا العلاقات فيما بينهما. والملاحظة المثيرة للتأمل هي أن مشاهد الإذلال الجمعي، تأتي في بعض المواضع عقب مشاهد متصلة تصور فحولة الذات. وكأن الرواية تضع عن عمد هاتين الصورتين المتناقضتين وجهًا لوجه. وعادة ما تُسرد وقائع إخساء الوطن في شكل استدعاءات محفزة بمشهد من مشاهد تصوير فحولة الذات. فمشهد انتقاد "بيت نار" فان، أو أيفانجلين عشيقة الراوي الأمريكية، أثناء غزوها، تستدعي مشهد احتراق منازل قريته إثر هزيمة قومه أمام غزو قوات عبد الله بن أبي السرح. أما مشهد نجاحه في أن يُهطل مطر معشوقته الأمريكية الشقراء بعد

طول حرمان، وبعد فشل كثيرين من قبله في إيصالها إلى الذروة، فيستدعي مشهد امتهان التاريخ لبي وطنه، عبر سلسلة من الهزائم التي تشبه التبول فوق رأس الوطن. وهكذا فإننا أمام علاقة شبه تعويضية بين فحولة الذات وإخصاء الوطن.

ث. إعادة بناء السياق **re-contextualization**: الرواية حين تكون

كتابًا جامعيًا

تحتشد رواية "رجل من زمن منعكس" بأنواع عدّة من النصوص؛ فهي تتضمن قصائد، وأغاني، وأساطير قديمة، ومقتبسات من كتب تاريخية، ونقوشًا جدارية على الحجارة. والرواية من هذه الزاوية تشكل كتابًا جامعيًا، يحوي بين دفتيه شطرًا من نصوص وطن. هذه النصوص المتنوعة يُعاد بناء سياقها في متن سردي منسجم جديد، لتكتسب دلالات ومعان ووظائف جمالية جديدة.

لقد أثرى المؤلف روايته بتناساته العديدة، التي أسهمت في تمثيل الوجوه المختلفة للماضي والوطن معًا. فقد مثلت القصائد والأغاني التجلي العاطفي للماضي والوطن، والتعلق الانفعالي بالأماكن والأشياء، كما أمدت الرواية بتعبيرات مجازية، تعبر عن لحظات الاتحاد الجسدي والعاطفي. أما الأساطير القديمة فقد أسهمت في تشكيل الطابع الأسطوري للبطل المتجاوز للزمن، بواسطة استدعاء أساطير مشابهة، لأبطالٍ آلهة وأنصاف آلهة. وعلى نحو مصاد، أسهمت المقتطفات التاريخية والنقوش الجدارية على الحوائط في إضفاء طابع تاريخي توثيقي على روايته الخاصة للتاريخ. وهكذا لعبت التناسات المختلفة في الرواية، وإعادة بناء سياقاتها داخل متنها السردية دورًا كبيرًا في تشكيل تمثيلات الماضي الوطني في الرواية.

يكشف التحليل السابق لتمثيلات الهزائم الوطنية كيفية انصهار المرويات التاريخية في بوتقة السرد الروائي، ويدلل على أهمية الوعي بالجدل المعقد بين الذات

الفردية والذات الجمعية في صياغة السرديات الكبرى. وسوف نواصل تحليل نوع مقارب من السرديات الكبرى، هو سرديات الاحتلال الأجنبي، وسنرى كيف تتفاوت الاستجابات للهزائم الوطنية؛ ففي حين تبنّى بطل رواية "رجل من زمن منعكس" استراتيجية مقاومة الهزائم الوطنية بالفحولة الفردية، تبنّت بطلة رواية "ذاكرة الرحيل" استراتيجية مقاومة الهزائم الوطنية بامتلاك المعرفة والفن.

(٣) تمثيلات الاحتلال العسكري: الذاكرة بوصفها مقاومةً في رواية "دوامة الرحيل" ١٢

النموذج الثالث لتمثيلات السرديات الكبرى الذي نعالجه هنا هو تمثيل الاحتلال العسكري. وقد عولجت تيمة الاحتلال العسكري على نطاق واسع في الرواية العربية. ويمكن القول إن مقاومة المحتل، ووصف فظائع الاحتلال، وتتبع آثاره على حياة المجتمعات العربية كانت من الموضوعات الأثيرة في الرواية العربية. وما إن ينصرف التفكير إلى روايات الاحتلال حتى تقفز إلى الذاكرة عناوين مثل "ثلاثية" نجيب محفوظ و"الأرض" لعبد الرحمن الشرقاوي، وأعمال غسان كنفاني، وجبرا إبراهيم جبرا، وإميل حبيبي، وسليم بركات، وغيرها أكثر. وفي الصفحات التالية، سوف نحلل تمثيلات الاحتلال العسكري الأمريكي للعراق في رواية "دوامة الرحيل" للروائية العراقية ناصرة السعدون. وسوف نعالج على نحو التحديد بُعدين من أبعاد تمثيل الاحتلال الأمريكي للعراق، يشيران إلى وسيلتين غير تقليديتين للمقاومة: الأولى هي مقاومة الاحتلال بواسطة تنفيذ الصور النمطية التي رسخها الاحتلال للعراق والعراقيين. والثانية: هي مقاومة الاحتلال بواسطة التمسك بالهوية، من حيث

^{١٢} السعدون، ناصرة. (٢٠١٣). دوامة الرحيل. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

هي تفاصيل دقيقة لعيش الحياة. لكن قبل الشروع في ذلك سوف أقدم نبذة عامة عن الرواية.

مدخل إلى دوامة الرحيل

يبدو عنوان "دوامة الرحيل" دقيقاً في الدلالة على محتوى الرواية؛ فقيمة الرواية هي الارتحال. وهو ليس ارتحالا بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان، بل هو اقتلاع من الجذور، وتهويم في السديم، أو بالأحرى ابتلاع في دوامة، تماماً كما وصفته المؤلفة. وعلى الرغم من أن عنوان الرواية يبدو للوهلة الأولى عاديًا بسبب شيوع تعبير "دوامة الرحيل" في لغة الحياة اليومية، فإنه يكتسب طبقات من الدلالة بالتوغل في أحداثها، فالتعبير يتحرك شيئاً فشيئاً من حيز المجاز الميت إلى حيز الاستعارة الحيّة؛ بفضل تراكم وطأة المأساة، لتجعل من دوامة الرحيل تعبيراً مخفياً عن جحيمه وعذابه.

تعالج الرواية تيمة الارتحال القسري، فيما يشبه الاقتلاع اجتنائاً من المكان. يُحفّز الارتحال القسري في الرواية بواسطة المآسي الفردية والوطنية المترتبة على الغزو الأمريكي للعراق. رسمت الرواية صورة كابوسية واقعية للتأثير الفادح لهذا الغزو على حياة أبطالها، في محاكاة تراجمية لتيمة الطرد من الفردوس. لقد فقدت بطلة الرواية والدها وحبيبها وأخاها بسبب الاحتلال. ولم تكن هذه الخسارات نهاية المطاف؛ فالجرح النفسي الغائر الذي أحدثته الجرائم الوحشية في نفس البطلة وشخصيتها، بدا في لحظات كثيرة غير قابل للبرء. والرواية بالفعل سيرة للألام، لكنها في الوقت ذاته سيرة للمقاومة، وقصيدة في عشق الحياة، وفي تجليل الإرادة الإنسانية. فالبطلة التي عانت من فظائع الاحتلال مثلما لم تعان شخصية أخرى فيما

قرأت في الأدب المعاصر، تواجه العالم متسلحة بإرادتها ووعيتها وعلمها فقط. وتتجح في تأسيس عالم جديد، انتقته بعناية ليتلاءم مع هويتها.

لقد كانت المؤلفة موفقة للغاية في اختيارها لنمط الراوي العليم^{١٣}. فرواية "دوامة الرحيل" رواية بطولة شبه ملحمية، وصوت الراوي العليم يتيح الولوج إلى ذات الشخصية/ البطل، واستكشاف مكنوناتها، وإجلاء ما يعتمل داخلها. وعلى النحو ذاته، فقد كانت المؤلفة ناجحة إلى حد كبير في رسم ملامح شخصيات الرواية بغض النظر عن كثافة حضورها. ومما يُحسب للمؤلفة أن عنايتها برسم ملامح مميزة للشخصيات الفرعية والهامشية لم يقلّ بحال عن عنايتها برسم ملامح الشخصيات المحورية الرئيسية. وهي توظف ببراعة السمات الجسمية للشخصية وسماتها الانفعالية والاجتماعية في دفع عجلة السرد للأمام.

هذه الرواية هي الخامسة للمؤلفة في مسيرة مهنية طويلة بدأت منتصف ثمانينيات القرن العشرين. ويتجلى في تشكيل الرواية تراكم الخبرات الفنية، خاصة ما يتعلق بتدفق السرد، وتشديد بنیان محكم. فالرواية تركز على عدد محدود من الشخصيات، لكنها تتقصى الأبعاد المختلفة لعلاقتهم بالعالم. وهي تقدم تتبعًا كاشفًا للعلاقات الوثيقة بين ما هو فردي وما هو جماعي؛ لتكشف عن تأثيرات الأحداث العامة في السلوك الشخصي، وترصد بكاميرا بصيرة انعكاسات الأحداث الكبرى في مفردات الحياة اليومية. وتحفظ طوال الوقت بقدرة استثنائية على الإمساك بالخيط الأساسي للحكي، وتسخير كل التفاصيل في خدمته.

^{١٣} لتمييز دقيق بين أنواع الراوي في الرواية، ووظائف كل نوع، يمكن الرجوع إلى: العيد، يُمنى. (٢٠١٣). الراوي: الموقع والشكل "بحث في السرد الروائي"، دار الفارابي، بيروت.

تقدم "دوامة الرحيل" نموذجًا للرواية الإنسانية، التي تُعلي من قيم محبة الحياة، وإرادة البقاء النبيل، في مواجهة شرور العالم الغامرة. ويزداد تقدير الرؤية الإنسانية والقيمية التي تشع عبر صفحات الرواية، حين ندرك أن هذه الرؤية الإنسانية قُدمت بأدوات جمالية شديدة الإتقان والبراعة، فلم تقع، إلا نادرًا، في شرك الخطابية أو المباشرة. لقد خلقت الرواية شخصيات من لحم ودم، وجعلت منها نموذجًا لصراع الإنسان ضد القبح والعدوان. والرواية، من زاوية أخرى، تقدم رؤية شديدة العمق لصراع الهويات، وتنتصر - فنيًا - لمقاومة ذوبان هويتها العربية الإسلامية (هوية المهزوم، حضاريًا وعسكريًا من منظور تاريخي) في بوتقة الهوية الأمريكية (هوية المنتصر، حضاريًا وعسكريًا من منظور تاريخي). وهي بذلك تمثل مقاومة رمزية شديدة الدلالة والأهمية لقانون ابن خلدون القائل بأن "المغلوب مولع أبدًا بالاقْتداء بالغالب". لتبرهن - فنيًا - على أن المغلوب يمكنه أن ينتصر - ولو بشكل فردي أو رمزي - حين يقاوم الاقْتداء بالغالب، ويستمسك بقيمه النبيلة والإيجابية.

سوف أعالج، هنا، في تحليلي تمثيلات المقاومة الفردية لخطابات الاحتلال كما تُقدم في هذه الرواية. تُنجز هذه المقاومة عبر حزمة من الدلالات الرمزية، والنصوص الفنية والعلمية، والحوارات العقلانية التي تقوض شرعية خطاب الاحتلال، وتكشف تهافته وتناقضاته، وتعريه من الثوب الكاذب الذي يرتديه. وكما نتوقع فإن المتن السردي للرواية يُقدّم طرقًا عديدة لمقاومة خطابات الاحتلال وتقنيدها، غير أنني سأتوقف عند اثنتين منها؛ الأولى هي أرشفة فضاء الاحتلال، والثانية هي تقنيد الصور النمطية.

أولاً: أرشفة الفضاء: الرواية بوصفها ذاكرة الأمم^{١٤}

تفتح الرواية مزلاق بوابتها على حُلم وردي يتماهى مع واقع حياة البطلة قبل الاحتلال الأمريكي للعراق، حيث ترُقُص بطلة القصة ومحورها "إباء"، في قاعة عرس، محفوفة بالفرح، مُحاطة بالأهل والحبيب. غير أن الحُلم الوردي سرعان ما تقتله فظائع الاحتلال وجرائمه، لِيُلقي بها في واقع كابوسي أليم، فقدت فيه أباه وأخاها وحبيبها ووطنها، وأوشكت أن تفقد أمها ونفسها. وعلى مدار صفحات الرواية توثق المؤلفة وقائع هذا الفقد، وتبرز فظائع الاحتلال.

تحفر الرواية جرائم الاحتلال الأمريكي بسكين الألم في جسد الذاكرة العربية؛ لتصنع وشماً لا ينمحي. وعبر فقرات مطولة تسرد بعض أبشع ممارساته، التي طالت البطلة، بما فيها وقائع الاختطاف والقتل الجماعي والتعذيب الممنهج وتدمير البنية التحتية بشكل متعمد، وانتهاك المقدسات، واغتصاب الأطفال والقصر، ونهب الآثار الوطنية، وتشكيل العصابات، ودهس النساء والعجائز في الطرقات، وإحراق المنازل، وقصف الأحياء السكنية العزلاء، وغيرها من الجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب والإبادة التي مارسها الاحتلال الأمريكي تحت لافتة ديمقراطيته الشريرة.

لقد اختارت الرواية أن تكون ذاكرة حية للمأساة، لأنها تدرك أن ذاكرة الأدب قد تكون أكثر طهارة من ذاكرة التاريخ. وأن الحكى ربما يكون في بعض الأحيان أقوى من البندقية. إنها تقاوم مخطط فرض النسيان؛ فلم تكن وحشية الغزو الأمريكي تتجسد في تدمير العراق تدميرًا كاملاً فحسب، بل كانت وحشيته أكبر في تدمير

^{١٤} حظيت العلاقة بين الرواية والذاكرة الجمعية باهتمام بحثي كبير. للاطلاع على تحليل معمق لأوجه العلاقة بين التاريخ والرواية يمكن الرجوع إلى: توفيق، مجدي. (٢٠١٢). الرواية والتاريخ: تحليلات من منظور التناص. دراسات عربية وإسلامية، مجلد، ٢، عدد ٦، ص ١-٥٢.

الذاكرة البشرية أيضًا. لذا أخذت الرواية على عاتقها مقاومة النسيان، وأنجزت هذه المقاومة عبر وسائل منها:

أ. إبقاء ذاكرة جرائم الاحتلال حيّة في نفوس ضحاياها

إن ذاكرة البشر الذين يتعرضون لجرائم حرب تأبى الاستسلام بسهولة ليد النسيان. فالأحداث التي تقع في دقائق أو ساعات أو أيام معدودة تشغل مساحة هائلة من الذاكرة، وتكتسب حيوية وأنية سرمدية. تبدو هذه الذاكرة في بعض الأحيان ضرورية؛ كي لا ننسى؛ لكي يكون هناك سعيّ حثيث للقصاص. لكن هذه الذاكرة تصبح عبئًا هائلًا على صاحبها؛ لأنها تتحول إلى قيد هائل، يسجن الحاضر والمستقبل في قمقم الماضي المفزع. لقد عالجت رواية "دوامة الرحيل" مأساة الذاكرة المقيدة، حين يُصبح النسيان، بكل ما يجلبه من راحة، مستحيلًا:

"هل تستطيع أن تتسى الدمار والحرائق التي أشعلوها في بغداد، أو منظر المدرعات وهي تخترق شوارع بغداد بكل عنجبية الغزاة؟ هل تتسى السيارات التي سحقتها المدرعات الأمريكية لأنها صادفت مرورها في شارع ينوي جند الاحتلال المرور منه؟ هل تتسى ساعات منع التجوال ومنظر الجنود الذين احتلوا دارهم ذات ليلة؟ هل تتسى منظر بارق وباسل مقيدين والأكياس تغطي رأسيهما؟ هل تتسى صورة والدها الوسيم قيس السالم، وقد انتفخ وجهه، والمجندة ترفع شارة النصر عند رأسه وهو ممدد في كيس الجثث؟"، ص ١٦٠.

إن فخ الذاكرة الذي تعبر عنها الفقرة السابقة يرجع إلى مفارقة تخص ذاكرة ضحايا الحروب. هذه المفارقة منبعا أن النسيان يتحول إلى حُلم للخلاص من آلام

الماضي، لكنه في الوقت نفسه يُصبح خيانة للنفس وللآخرين وربما الوطن ذاته. وقد أمسكت مؤلفة الرواية بلمح من ملامح تلك المفارقة:

"عليها أن نقايض المستقبل بالماضي. سعادتها على حساب نسيان أبيها وشقيقها وكل من راحوا ضحايا لشهوة استعباد الآخر، واجتثاثه من الحياة. نعم قد يكون الحاضر مع لينك ألقى من ماضيها، لكن ماضيها بعض منها، ذاكرتها الحية، وأحب الناس إليها، فهل يجب عليها أن تنسى والدها وشقيقها، ووطنها، لكي تحيا بسلام مع لينك إيستوود؟" ص ٣٦٠.

لقد اختارت النص عن وعي استعارة المقايضة للتعبير عن مفارقة ذاكرة ضحايا الحروب، حيث يكون الاختيار بين البقاء في الماضي بآلامه، أو محاولة النسيان الممزوجة بمشاعر التقصير والخيانة. وكان هذا الصراع هو محور الثلث الأخير من الرواية.

ب. تأبيد الجريمة: النحت في ذاكرة الفن والعلم:

حرصت بطلة الرواية على توثيق جرائم الاحتلال الأمريكي سواء بحق أسرته أم وطنها. فاحتفظت بصور تعذيب والدها في سجن أبو غريب، وتقارير تشريحه، وصور المنازل المهتمة... إلى آخره، غير أن الرواية تكشف عن وعي بأن التوثيق وحده لا يكفي، وأنه يجب أن تتحول أدلة الجريمة إلى عمل جمالي أو إبداعي؛ حتى يكتسب قوة تمكنه من البقاء. وكان سعي البطلة إلى فعل ذلك منسجماً مع تطور السرد الروائي. فقد اختارت البطلة موضوعاً لأطروحتها للمجستير يتيح توثيق الدمار الذي أحدثه الاحتلال الأمريكي في مدينة بغداد، وتدمير معمارها شديد الثراء، الذي تمتد جذوره في التاريخ لآلاف السنين. هذه المعالجة العلمية للذاكرة

المادية لجرائم الحرب الأمريكية يُضفي عليها مشروعية، ويمدها بقوة عارمة، هي قوة المعرفة. وبالمثل حوّلت البطلة موهبتها في الرسم إلى أداة لتحويل أدلة الجريمة إلى أعمال فنية خالدة، ولنقرأ هذا المقتطف من الرواية:

"رسمتُ الشجرة وقد احترقت تمامًا، وما يزال الجمر يشتعل في جذعها، وإلى جوارها جثمان رجل وطفل متفحمين، يتمددان على العشب المحروق..."

قال أستاذها (مسيو جاك): هذه لوحة مخيفة، كأنها كابوس. من يجرؤ على حرق كل هذا الجمال؟! .. قالت: "من أحرق بلدًا بأكمله لا يتوانى عن إحراق شجرة معمرة"، تنهدت، وقالت: "الكوابيس جزء من حياتنا مسيو جاك، رسمت حريق الشجرة من بعض ذاكرتي" ص ٢٥٠.

ت. نحت الجرائم في جدران ذاكرة العدو

يُعدُّ الصراع على تمثيلات الحروب أحد أبرز تجليات الحروب ذاتها. وكثيرًا ما تكون تمثيلات الحروب عنصر حسم في ترجيح كفة أحد الطرفين المتصارعين، خاصة في ظل صعود قوة الرأي العام، وقوة وسائل الدعاية في العصر الحديث. لقد أُطلق على الحرب الأمريكية على العراق تعبير "الحرب التلفزيونية"، وكانت ترسانة الصور والمعلومات الأمريكية المفبركة، أكثر إجمالًا من صواريخها وقاذفاتها. وكان التمثيل العراقي للحرب واهن الصوت، محدود الانتشار، في ظل سياسة السماوات المغلقة، التي تضمن الهيمنة الغربية على سوق إنتاج الأخبار والمعلومات وتداولها. وقد أدركت بطلة الرواية أهمية تقديم تمثيلات أيقونية، لجرائم الاحتلال، وبالفعل قامت بذلك مدفوعة برغبة عارمة في كسر التمثيلات المزيفة:

في حوار متخيل بين البطلة وأخيها المقتول غدراً نتيجة للاحتلال تسأل طيف أخيها:

"ما رأيك يا بارق أن أرسمك وبابا لتكونا شوكة في

أعين الجميع؟"

وفي يوم عرض لوحاتها في معرض الجامعة، يدور هذا الحوار بينها وبين أحد الأمريكيين:

" - هذا الرجل الوسيم ..من يكون؟

- هل تراه وسيماً مستر إيستوود؟

- بالتأكيد، ولكن من هو؟

بلعت ريقها لتمنع الدمع من الهطول، "أبي ..وذاك

أخي.. كلاهما قُتل في العراق عندما حررته أمريكا من

أهله..". ص ٣٧٥.

ويكشف استخدام التعبير الاصطلاحي "شوكة في العين" عن وعي بضرورة خلخلة الصورة النمطية المرسومة للحرب في عيون الأمريكيين. وقد اختارت بطلة الرواية أسلوب المكاشفة طريقة لإحداث هذه الخلخلة، على نحو ما نقرأ في هذا المقتطف من حوار دار بينها وبين مسئول الالتحاق ببرنامج الماجستير بجامعة دنفر:

"- ثمة ظروف خاصة وعامة أدت إلى هذه النتيجة

(في امتحاناتي)...

- الظروف العامة يعرفها الجميع، ماذا عن

الظروف الخاصة؟

فوجئت، ارتبكت، ثم قررت أن الصراحة هي السبيل
الوحيد أمامها، وإلى الجحيم كل فرص الحياة. لن تجامله
على حساب ذكرى والدها،

- في ٢٠٠٣ ألقى القوات الأمريكية القبض على
والدي، وتعرض أثناء التحقيق معه في سجن أبو غريب إلى
تعذيب أدى إلى وفاته في سنة تخرجها.. سألتها بحذر: هل
لديك إثبات لتعرضه للتعذيب؟ عزمت أمرها على الصراحة
إلى آخر مدى، وليكن ما يكون، "أجل.."، وفتحت اللابتوب
الذي لا يُفارقها، وعرضت عليه صور المجندة مع جثمان
والدها، "هذه المجندة سعيدة بوفاة والدي .. الذي تراه في
الصورة..". حذق في الصورة التي سبق له رؤيتها، "هل
لديك إثبات أن هذا الشخص هو والدك؟"

- "بالاستعانة بخبير .. طابق هذه الصورة مع
صوره القديمة .." وعرضت عليه المطابقة، "ومع أن شهادة
وفاته التي سلمتنا إياها القوات الأمريكية مع جثمانه، نقر أنه
توفي نتيجة عجز كلوي"، وعرضت عليه صور شهادة
الوفاة، "قام عدد من أساتذة كلية الطب بجامعة بغداد بتشريح
الجثمان، وكتابة هذا التقرير.."، وعرضت عليه تقرير
الأطباء العراقيين، "وأثبتوا فيه تعرضه للتعذيب...". ص
١٧١.

ثانياً: المقاومة بالتفنيد: صورة العراقي(ة) والأمريكي نموذجاً

أصبحت الصور النمطية التي تُرسم وتُروج عن أشخاص أو شعوب عُدّة من عتاد الحروب المعاصرة. ومن الجلي أن تفنيد مثل هذه الصور يُشكل في المقابل جزءاً من آلية رد العدوان. وتتضمن رواية "دوامة الرحيل" أمثلة متنوعة على المقاومة بالتفنيد، ظهرت بخاصة في الحوارات المتواصلة بين البطلة ولينك، والممتدة عبر صفحات الرواية. لكن أبرز سبل مقاومة الصور النمطية للعراق والعراقيين، أُنجزت في الرواية بواسطة أفعال البطلة، على خلاف تفنيد صورة الجنود الأمريكيين والغزو الأمريكي التي أنجرت عبر الخطاب.

أ. تفنيد صورة البدوي الذي يلهو بالقنابل

لقد كان التلاعب بصورة الشعب العراقي، وصورة العراق، جزءاً من القصف الحربي الأمريكي عليها. فعبر أفلام هوليوود، وصحف أباطرة الهيمنة على وسائل الإعلام، والقنوات التلفزيونية المُدارة من البنّاجون، وغيرها من منصات التلاعب بال جماهير - رُسمت وروجت تمثيلات شديدة السلبية للعراق شعباً ووطناً. قدمت هذه التمثيلات العراق بوصفه بلداً بدوياً، يتكون من واحات تعيش خارج الحضارة، لا ترى فيها إلا البدوي بجمله وخيمته وصحرائه. هذه الصورة الاستشراقية منتشرة بفجاجة مقرزة في بعض أشهر أفلام هوليوود التي صوبت لقطاتها نحو عقول الأمريكيين والعالم، في الوقت نفسه الذي صوبت فيه الطائرات الأمريكية صواريخها نحو القرى والعزاء. أما العراقيون فقد قُدموا بوصفهم شعباً دموياً، متعطشاً للقتل؛ تمهيداً لإضفاء شرعية على المذابح التي سوف يرتكبها جنود الاحتلال بحق الأطفال والنساء والشيوخ، أو محاولة لتبرير جرائمهم، وإفلاتهم من العقاب بعد ارتكاب المذابح.

بالطبع فإن تنفيذ هذه الصور التي تروج على نطاق كوني، بواسطة أحد أقوى أنظمة الدعاية في العالم هو أمر صعب. وقد اختارات الرواية أن يكون التنفيذ بالأفعال غالبًا لا بالأقوال. ففيما يتعلق بتنفيذ الصورة النمطية للخيمة والجمال، أنجزت بطله الرواية أطروحتها حول العمارة في مدينة بغداد قبل القصف الأمريكي لها، وعرضت في افتتاح مناقشة أطروحتها صورًا مأخوذة بواسطة الأقمار الصناعية الأمريكية نفسها، تُقدِّم صورة البداوة المزعومة. أما فيما يتعلق بالبشر فقد كانت البطله وأهلها تقنيات حيّة لأسطورة مزعومة. فقد جسدت قيم التحضر الأصلية بسلوكها، وعلمها، وتفوقها، وانفتاحها على ما هو مفيد، وتقديرها الراسخ للذات والوطن، ومعرفتها العميقة بجذور حضارتها، وتمسكها بهويتها، وشجاعتها في التعبير عن آرائها ومواقفها. وكانت تثير تقدير الآخرين وإعجابهم حينما حلّت، وبالطبع فإن النماذج الفردية يمكن أن تُقدِّم الصور النمطية، غير أن مدى هذا التأثير سوف يظل محدودًا، ويُمكن أن يُهمش بواسطة القول بأن سلوك الأفراد هو استثناء. وفي الحقيقة فإن نجاح أبناء شعب ما في تنفيذ الصور النمطية السلبية عنهم، لا يُمكن أن يُنجز إلا بواسطة امتلاك كفاءة ومقدرة إعلامية مؤثرة.

ب. تنفيذ صورة الجندي الطيب الذي يحمل وردة الحرية

فيما يتعلق بتنفيذ خطاب التلاعب الأمريكي بشأن جرائم الحرب، وصورة الجنود الأمريكيين الذين ارتكبوها، استخدمت الرواية تقنيات متنوعة للتنفيذ؛ منها تصحيح المعلومات المغلوطة، والكشف عن الأسباب الحقيقية للأفعال، وربط الأفعال بسياقاتها الأصلية، وتنفيذ النتائج الواهية، وقلب حجة الخصم، وغيرها. هذه التقنيات تتجسد، على سبيل المثال، في الفقرة الآتية التي تقدِّم فيها حجة ندم بعض الجنود الأمريكيين على ما اقترفوه من جرائم حرب في العراق:

"بدأت حديثها بهدوء معلق سياسي يظهر على شاشة التلفزيون: "باختصار، الجنود الذين ذهبوا إلى العراق وغيره، ذهبوا بمحض إرادتهم. وهناك قتلوا ودمروا وسرقوا ونهبوا. إنهم لم يحاربوا جيش العراق، بل دخلوا من دون قتال تقريباً، أليس هذا ما تباهى به قادتكم؟ من هم الذين قتلهم الجنود إذن؟ أليسوا جميعاً من المدنيين؟ .. هل ستقول لي إنهم خدعوهم لكي يرتكبوا كل هذا؟ لا أحد يمكنه خداع أو إجبار غيره على ارتكاب القتل والتدمير والسرقة. فعلوا ذلك لأنهم مجموعة من القتلة واللصوص والمجرمين" ص ٢٣٥-٢٣٦.

فالسطور القليلة السابقة تتضمن حزمة من التقييدات لبعض أكثر الأساطير رواجاً عن جرائم الاحتلال؛ من قبيل أن قتل مئات الآلاف من العراقيين كان دفاعاً عن النفس، أو أن الجنود الذين اغتصبوا القاصرات وقتلوا أسرهم فعلوا ذلك رغماً عن إرادتهم، وغيرها من الحجج التي استُخدمت بهدف إفلات مجرمي الحرب من العقاب.

شهر زاد: إعادة إنتاج الأسطورة

لقد استطاعت "إباء" أن تواجه القتل والنفي الذي تعرضت له أسرتها، بواسطة المعرفة والفن. تماماً مثل جدتها القديمة "شهرزاد"، التي قاومت الطغيان بالمعرفة؛ فحققت كلتاهما الانعتاق، فيما يشبه إعادة إنتاج للأسطورة القديمة. ولم يكن من الغريب أن يُطلق "جاك"، أستاذ الرسم بالجامعة، على بطلة الرواية اسم "شهرزاد"، معزراً ملامح التشابه بينهما. وعلى نحو مغاير سوف نرى كيف يختار

بعض البشر العيش في سجن عبودية متخيلة؛ بسبب الاستسلام لتمثيلات سلبية للذات والجماعة التي ينتمون إليها، كما يتجلى ذلك في رواية "جارية".

(٤) تمثيلات التمييز: عقدة اللون وسرديات ما بعد العبودية في رواية "جارية" ١٥

يعالج هذا القسم تمثيلات التمييز على أساس اللون، وما يرتبط به من خطاب العنصرية، من خلال تحليل إحدى سرديات ما بعد العبودية، هي رواية "جارية" للكاتبة البحرينية منيرة سوار. أقصد بسرديات ما بعد العبودية النصوص القصصية والروائية والتاريخية التي تتناول حياة شخصيات ما تزال ذاكرتها حية فيما يتعلق بتاريخها القريب أو البعيد في العبودية. لقد مثلت روايات العبودية بكل تجلياتها الأساسية تيارًا مهمًا في الرواية العالمية. عالجت هذه الروايات موضوعات شتى مثل تجربة العيش في العبودية، والهرب منها، ومقاومتها، والاستسلام لها. وعادة ما تجاوزت هذه الروايات حيوات الأجيال التي عاشت في العبودية إلى سرد حيوات الأجيال التالية لها التي انعتقت منها.

تتناول الرواية عقدة اللون عند فتاة سمراء عاشت أسرتها في العبودية حتى الجد الثاني في البحرين. يتكون عنوان الرواية من كلمة واحدة هي "جارية"، وهي ذات دلالة مزدوجة؛ فهي من ناحية تشير إلى اسم البطلة الرسمي، وهي من ناحية أخرى تتضمن دلالات وإيحاءات ثقافية وحضارية وعنصرية تتصل بالرق، وتدور حولها تيمة الرواية. فالبطلة (التي تعاني من عقدة سواد اللون، وتاريخ أسرتها في العبودية)، تخوض معارك عاصفة في مواجهة اسمها الذي يلخص بالنسبة إليها كل ما تنبذه. والرواية رحلة في سبيل التصالح مع الاسم/الذات/التاريخ.

^{١٥} سوار، منيرة. (٢٠١٤). جارية. دار الآداب، بيروت.

تقدم رواية "جارية" مغامرة روائية على مستوى البنية؛ فالرواية تدور وقائعها في فضاءات زمنية ومكانية محدودة. فباستثناء استرجاعات قليلة لزمّن طفولة "جورية/جارية" بطلة الرواية، فإن الرواية تقع في غضون أسابيع قليلة. أما فيما يتعلق بالمكان فيبدو أكثر محدودية، فمعظم أحداث الرواية تقع في صالون تجميل مغلق تمتلكه البطلة، بالإضافة إلى منزلها الذي تقطن فيه مع عائلتها. إن ضيق الفضاء المكاني ومحدودية الزمن الروائي يرفعان من سقف التحديات السردية التي واجهت مؤلفة العمل، من زاوية القدرة على الاحتفاظ بالتشويق والتعقيد والتشابك. غير أن الرواية تُفلح في مواجهة هذه التحديات، فمحدودية المكان الفيزيقي عوّضته المؤلفة ببراعة رسم تفاصيل الأمكنة الداخلية، وتحويلها إلى محرك مهم من محركات السرد، وتكثيف طاقاتها الرمزية، لتصبح مفاتيح لقراءة الشخصيات؛ على نحو ما نرى مثلاً في حضور اللون الأبيض في الفضاء المحدود لصالون التجميل. أما قصر المدى الزمني لأحداث الرواية فيعوضه الحس البروستي في التعامل مع الزمن¹⁶، حين تُصنّف عصاره اللحظات، وتتبلور في سرد موحى.

إن رواية "جارية" هي رواية شخصية بامتياز؛ يهيمن عليها ضمير الأنا الساردة، التي تفتح بابها أمام البوح؛ بواسطة استبطان الذات، وكشف إدراكات السارد/المتكلم لذوات الشخصيات الأخرى في. وتحفر الرواية ببراعة في ذات البطلة، وتستكشف التحولات الجذرية التي تطرأ على إدراكها لذاتها، وتقديرها لنفسها، وتوجهاتها نحو أسرتها، ونحو الآخرين.

¹⁶ Bersani, L. (2013). *Marcel Proust: the fictions of life and of art*. Oxford: OUP.

لقد رُسمت شخصيات الرواية بدقة، واحتفظت المؤلفة بالقدرة على الإمساك بخيط التشويق المعزز لانتباه القراء حتى السطور الأخيرة منها، على الرغم من أن أحداث الرواية لا تتضمن وقائع عاصفة، ولا تعاني شخصياتها من تحولات جذرية، وما يساعد المؤلفة في تحقيق ذلك هو آلية الاكتشاف والتأويل التي يتغير فيها إدراك البطلة لوضعيتها، نتيجة تفنق الوعي الذاتي بالعالم وبماضيها، بمعاونة بعض الرموز والإشارات.

تبدو الرواية عملاً مشيداً ببراعة منذ لحظة الافتتاح، الذي يلعب فيه الإهداء دوراً قرآنيًا؛ لكونه ينشط توقعات القراء، ويوجهها وجهة ما، سرعان ما تتناقض معها أحداث الرواية واعترافات البطلة، حتى الصفحات الأخيرة من الرواية، حين تستعيد عبارة الإهداء صدقيتها من جديد. يقول الإهداء: "إلى أبي: انتمائي واستقامة ظهري، وإلى أكثر الناس بياضاً أصحاب البشرة السوداء". والعبارة التي تلخص حبكة الرواية، وتختزل محاورها، تتعاضد مع فصول الرواية وخاتمتها المثيرة في تشكيل أسس البناء السردي فيها؛ إذ تُغلق الرواية دفتيها على تغير جذري في شخصية البطلة، التي غدت فخورة باسمها "جارية"، معتزة بلونها "الأسود"، متصالحة مع ماضيها (الأم والجد)، وحاضرها ومستقبلها (ابن الخال/الحبيب/الزوج).

تقوم حبكة الرواية على صراع عاصف داخل نفس البطلة، بين (الأسود) لون جلدها الذي تمقته، و(الأبيض) لون الآخرين، الذي تتوق إليه. وثمة صراع آخر موازٍ بين ماضيها الذي يخلو من الأب، وتقيدته ذكريات الرق من ناحية، وراهنها الذي يقوم على ملاحقة حثيثة لطيف أبٍ منتظر، ورغبة عارمة في التحرر من قيد اللون الأسود، من ناحية أخرى. وتصل الرواية إلى ذروتها حين

تلوح في الأفق إمكانية استعادة الأب المفقود، وتراودها في الوقت ذاته أحلام اقتناص حبيب "أبيض"، يحقق الحلم المستحيل. غير أنها تكتشف عبر سلسلة من الأحداث والتبصرات المكتوبة برهافة وعمق ما يمكن أن نسميه "مفارقة اللون"؛ حيث بياض جلد الأب، يوازيه سواد القلب واللسان؛ أما بياض جلد الحبيب المشتى، فيوازيه غياب الرجولة ذاتها. ويؤدي ذلك إلى تغير مفهوم العبودية ذاته لتصبح ماثلة في التقدير السلبي للذات، وليس في الامتثال المذعن للآخرين.

هذه الرواية - من وجهة نظري - إنسانية بامتياز، تسرد رحلة تصالح ذات معذبة بلونها وماضيها مع النفس والعالم؛ حين تُدرك أن سطح الأشياء لا يمكن أن يكون هو ذاته جوهرها، وأن خلف القشور الخارجية الزائفة تقبع عادة متون أصيلة مغايرة.

سمات تمثيلات الذات والجماعة في سرديات ما بعد العبودية

تُعد الرواية نموذجًا لسرديات ما بعد العبودية؛ ويمكن أن نحدد أهم سمات تمثيل الذات والجماعة فيها بحسب ما تقدمه الرواية فيما يأتي:

أ. الإدراك السلبي للذات

تكشف سرديات ما بعد العبودية عن كون الإدراك السلبي للذات هو المعضل الأساس الذي يواجه جيل ما بعد العبودية، وليس التمييز المؤسسي أو العرقي أو التمييز المجتمعي. فالرواية تركز بشكل أساسي على عقدة الدونية المرتكزة إلى سواد اللون، بوصفها عقدة نفسية محضة. وقد صاغت الرواية هذا الإدراك السلبي للذات في صورة عبارات قيمية سلبية، تنعت بها البطلة نفسها، ومن يشاركونها لونها. فهي تقول صراحة: "أتأمل نفسي في المرآة. ولا يعجبني في النهاية

ما أراه. لا يُعجبني أبداً. أين أنا من ... منهم. من الآخرين. أولئك الذي ولدوا ببشرة بيضاء" (ص ٢٧). ويتحول الرفض المطلق للون الأسود إلى التصاق لا إرادي بنقيضه الذي يُصبح حُلماً مبتغى: "لم يكن ممكناً أن يصطبغ حلمي الكبير بافتتاح صالون تجميل راق سوى باللون الأبيض. الجدران كلها بيضاء، ناصعة البياض" (ص ٣٢). وحين تقارن لون بشرتها بلون بشرة الشاب الذي تقع في هواه من طرف واحد تقول: "يا رب لم خلقته بكل هذا الجمال، وخلقته بهذه البشاعة". وفي عبارة دالة تلخص الرواية مأزق الإدراك السلبي للذات في عبارة كاشفة: "بين عالم من البياض أحلم بالانصهار فيه، وعالم من السواد أحلم بالانسلاخ عنه، تتشتت مشاعري بين نقيضين. بين جوري التي خلقتها، وجارية التي خلقها القدر، تنقسم هويتي بين امرأتين" (ص ٧٩).

ب. الخطاب العنصري الموجه نحو الذات والجماعة المماثلة

عرفت سرديات العبودية أشكالاً من الخطاب العنصري الموجه نحو العبيد. ولأن العبودية اقترنت في المخيلة الغربية باللون (الأسود) غالباً، فقد اكتسب اللون دلالات وإيحاءات تمييزية وعنصرية في كثير من الأحيان، وكان الخطاب العنصري والتمييزي يُنتج من خارج جماعة السود out-group، ويوجه إليها. إن ما يميز سرديات ما بعد العبودية، كما تظهر في رواية جارية، هو أن الخطاب التمييزي والعنصري يُنتج من داخل الجماعة ويوجه إلى أعضاء فيها. فيما يُعد تجاوزاً للتقدير السلبي للذات الفردية إلى التقدير السلبي للذات الجمعية. وعلى سبيل المثال، فإن بطلنة الرواية تُطلق عبارات عنصرية باتجاه أفراد أسرتها المقربين. وكان لابن خالتها، المتميم بها، النصيب الأكبر من تلفظات هذا الخطاب العنصري. فهي، على سبيل المثال، تصفه مرة بأنه "عبد ابن عبد، ماذا أقول غير ذلك". وهي أيضاً تستخدم آلية

بلاغية للتحقير؛ هي تغيير التسمية فتطلق عليه "العبيد"، بدلا من اسمه "عبيد"، بإضافة "أل" الجنس، التي تفيد شمول الصفة. هذا الخطاب العنصري الموجه لأفراد من الجماعة التي تنتمي إليها، يُمكن فهمه في إطار حُلم البطلة بالانسلاخ منها، والانتماء إلى آخرين:

"لم يفهمني قط هذا العبيد. لم يفهم أن مثلي لا يمكن أن ترتبط برجل أسود البشرة مثله. يذكرها أبد الدهر بنفسها. يكفي أن أصطحب بوجهه كل يوم لأرى انعكاس وجهي من خلاله قبل أن أراه منعكسا على المرآة .. لا .. لا .. مستحيل. كلما أتصور أن يكون عبيد في يوم من الأيام زوجي، تتتابني رغبة حقيقية في الاستفراغ!" ص ٤٣.

ت. الذاكرة المشحونة بآثار الخطاب العنصري.

عادة ما تكون ذاكرة أجيال ما بعد العبودية مشحونة بآثار بقايا العبودية، وخطاب العنصرية. خاصة تلك الآثار التي تعود إلى فترات الطفولة؛ بسبب ميل الأطفال إلى إعادة إنتاج الخطاب العنصري السائد في المجتمع، في ظل غياب أشكال الضبط التي تقيد إنتاجه بين البالغين. ومن ثم، تتضمن مثل هذه الروايات استرجاعات عدّة تخص ماضي الشخصيات. وفي حالة بطلة رواية "جارية" فإن عقدة لونها تشكلت في فترة مبكرة حين كانت طفلة في المدرسة، "الهررة (الطفلات) الصغيرة الناعمة التي نشبت مخالباها في جسدي الضئيل استطاعت بمنتهى اليسر أن تحفر ببضع كلمات جوفاء آثارا فوق جلدي. كسراب جراد تجمع حولي يتآكلني من كل الجهات. من يدي، من ذراعي، من رأسي، من بطني، من قدمي، من

تتطلب تضافراً منهجياً؛ حتى يُكشف عن أبعادها المتنوعة. إضافة إلى البرهنة على أن التحليل البلاغي ربما يكون مفيداً، بالتعاقد مع مداخل أخرى، في تحليل جماليات النصوص الروائية ووظائفيتها. أما فيما يتعلق بالنتائج المباشرة لهذه الدراسة فيمكن حصرها فيما يأتي:

١. تكشف الدراسة عن التداخل بين السرديات الكبرى (التاريخية والوطنية)

وسرديات الحياة اليومية في الأعمال الروائية المدروسة. وعلى تعقد العلاقات بينهما، بحسب رؤية الروائي، وموقفه منهما.

٢. تُبرهن التحليلات السابقة عن أن الرواية تُنازع التاريخ في القدرة على

تقديم تمثيلات متبصرة للماضي. وفي الحقيقة فإن الرواية تبدو أصدق أنباءً من التاريخ، حين يتعلق الأمر بالصراعات الكبرى، التي تؤول إلى انتصار طرف على آخر بشكل حاسم. فالتاريخ، الذي يكتبه المنتصرون عادة، يتحول في هذه الحالة إلى خطاب دعائي، في حين تظل الرواية، غالباً، محتفظة ببصيرتها وإنسانيتها.

٣. تكشف النماذج المدروسة في هذا البحث عن دور الرواية في تعرية واقع

التلاعب والهيمنة والتمييز، سواء أكانت تُمارسه قوى خارجية بهدف السيطرة، أم تمارسه الذات على نفسها بسبب تشوه الوعي بالذات والتاريخ. وفي الحالتين، يمكن للرواية أن تكون وسيلة تحرر على المستويين الفردي والجمعي.

٤. تُبرز الروايات المدروسة، والتحليلات المنجزة حولها، التلازم بين

تمثيلات السرديات الكبرى ومأزق الهوية، الفردية والجمعية على حد سواء. فالروايات الأربعة يمكن النظر إليها بوصفها مقارنة سردية

لهويات مأزومة؛ فهي تُعالج تشكل الهويات الطائفية (مدائن الالتهاب)، والقومية (رجل من زمن منعكس)، والوطنية في عصر الاحتلال (دوامة الرحيل)، والعرقية (جارية). وتشارك الروايات في أنها تتطرق جميعاً من لحظة أزمة عاصفة، وتخوض مأساة. ويبدو هذا البُعد في الروايات المدروسة انعكاساً مباشراً لأزمات الهوية في العالم العربي الراهن من ناحية، وإشارة جليّة إلى الدور الذي يمكن أن يلعبه الأدب عمومًا، والرواية خصوصًا، في استكشاف هذه الأزمات، واقتراح مسارات لاجتيازها من ناحية أخرى. فالعالم العربي، حاليًا، يتخبط في شرانق هوياته وصراعاته المذهبية الضيقة، ولعل فن الرواية، حين ينشد النبل، أن يقدم بصيصًا من نور يلوّح بالأمل للقابعين في أعماق النفق الطويل.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: مراجع عربية ومترجمة:

بابكر، سيف الدين حسن. (٢٠١٤). رجل من زمن منعكس، المصرية للنشر والتوزيع، مصر.

بدوي، محمد. (٢٠٠٦). بلاغة الكذب: نصوص على نصوص. الهيئة العامة لقصور الثقافة. القاهرة.

توفيق، مجدي. (٢٠١٢). الرواية والتاريخ: تحليلات من منظور التناص. دراسات عربية وإسلامية، مجلد، ٢، عدد ٦، ص ١-٥٢.

السعدون، ناصرة. (٢٠١٣). دوامة الرحيل. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان.

- سوار، منيرة. (٢٠١٤). جارية. دار الآداب، بيروت.
- سيزا قاسم، المفارقة في القص العربي المعاصر. مجلة فصول في النقد الأدبي، مجلد ٢، عدد ٢، ١٩٨٢، ص ١٠٥-١٢٠.
- عبد اللطيف، عماد. (٢٠١٢). "اللغة والثورة: نقد الخطاب السياسي في أعمال جورج أرويل". مجلة نزوى، سلطنة عُمان، عدد ٦٩، يناير، ص ٤٥-٥٢.
- عمر، فتح الله. (٢٠١٤). مدائن الالتهاب، دار الفرات، لبنان.
- العيد، يُمنى. (٢٠١٣). الراوي: الموقع والشكل "بحث في السرد الروائي"، دار الفارابي، بيروت.
- همفري، روبرت. (٢٠٠٠). تيار الوعي في الرواية الحديث، ترجمة محمود الربيعي، دار غريب، القاهرة.

ثانياً: مراجع أجنبية:

- Allen, G. (2011). Intertextuality. London and New York: Routledge.
- Bersani, L. (2013). Marcel Proust: the fictions of life and of art. Oxford: OUP.
- Lyotard, J. F. (1984). The Postmodern Condition: A Report on Knowledge (Vol. 10). U of Minnesota Press.
- Orwell, G. (1984). New York: New American Library.
- Orwell, G. (2003). Animal farm. London: Penguin.
- Orwell, G. (2013). Politics and the English language. London: Penguin.
- Sentences (Routledge Revivals): Narration and Representation in the Language of Fiction. London and New York, Routledge.
- Young, J. O. (2011). Representation in Literature. Literature & Aesthetics, 9, pp 127-143.

حكم النيابة فى الصيام دراسة فقهية مقارنة

مقدم من الباحثة

سمر عبد الحفيظ بركات عبد الحفيظ

يناير ٢٠١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد، الذى عم بحكمته الوجود، والذى شملت رحمته كل الوجود، نحمد سبحانه وتعالى ونشكره بكل لسان محمود، ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو الغفور الودود، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله المطهرين، وأصحابه الكرام الطيبين.

فقد فرض الله تبارك وتعالى على عباده فرائض، هي بمثابة الرابطة الوثيقة التي تربطهم بربهم ﷻ؛ فلا يجوز تركها أو التقصير فيها؛ لأنها تحقق معنى العبودية لله رب العالمين، حيث إن الغاية من خلق الإنسان هي عبادة الله عزوجل، قال ربنا فى كتابه العزيز: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (١)، و قال سبحانه " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" (٢) فقد خلق الله الإنسان وجعله خليفته فى الأرض حتى يعبده حق عبادته، وذلك حق الله على العباد.

فرض الله الصيام على عباده وهو الركن الرابع فى الإسلام، كما ورد فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بنى الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا" (٣)

^١ - سورة الذاريات الآية ٥٦

^٢ - سورة البقرة الآية ٣٠

^٣ - صحيح البخارى : كتاب الإيمان : باب قول النبى صلى الله عليه وسلم بنى الإسلام على

خمس : ج ١ : ص ١١ : رقم ٨

- وهو من العبادات البدنية وقد يتعرض الإنسان إلى مرض أو عجز يجعله غير قادر على الصيام، ففي هذا البحث أتتناول الحديث عن حكم النيابة في الصيام وأسأل الله عزوجل التوفيق .
- سوف اعرض في البحث تعريف النيابة والفرق بينها وبين الوكالة والإيصاء، ثم اتحدث عن الحكم الفقهي للنيابة في الصيام ويكون كالاتى:
- المبحث الأول : تعريف النيابة والوكالة والإيصاء .
- المبحث الثانى : الحكم الفقهي للنيابة في الصيام

المبحث الأول: تعريف النيابة والوكالة والإيصاء

- تعريف النيابة :
- أولاً: تعريف النيابة لغة:
- هي مصدر للفعل أناب،نوبا ومنابا:أى قام مقامه، وتقول: ناب عنى فى هذا الأمر نيابة:إذا قام مقامك، ونقول: ناب عنى فلان أى قام مقامى.
- وكذا نقول أناب وكىلا عنه فى كذا: فهو منيب،والوكيل مناب، والأمر مناب فيه، وناب الوكيل فى كذا، ينوب نيابة، فهو نائب، وجمع نائب:نواب^(١)

ثانيا: تعريف النيابة اصطلاحا:

- لم أجد فى الكتب الفقهية تعريفا مستقلا للنيابة، وكذلك لم أجد بابا مستقلا تحت عنوان النيابة، كما هو شأن الأبواب الفقهية الأخرى، كالوكالة

^١لسان العرب: لابن منظور الأنصارى: (ت ٥٧١١هـ) الناشر : دار صادر بيروت ٢ الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ):مادة : نوب : ج ١ ص ٧٧٤

والحوالة والرهن وغيرها من الأبواب الفقهية، وإنما ورد مصطلح النيابة في بعض المسائل الفقهية وضمن تعريفات الأبواب الفقهية الرئيسية، وإنما يذكر ضمن عنوان الحج عن الغير أو الصوم عن الغير ونحو ذلك.

- ولكن يوجد معنى مرادف للنيابة في الأبواب الفقهية، ألا وهو لفظ (الوكالة).

ثالثا: تعريف الوكالة لغة :

- الوكالة بفتح الواو وكسرها، معناها التفويض، ونقول وكلته إليه: أى فوضته إليه، ووكيل الرجل: هو الذى يقوم بأمره، وسمى وكيلاً؛ لأن موكله قد وكل إليه القيام بأمره، فهو موكل إليه الأمر. (١)

اصطلاحاً:

- هى عبارة عن استتابة الغير فيما تدخله النيابة، وكل حق جازت فيه النيابة جازت فيه الوكالة. (٢)

- قال الجرجاني - رحمه الله -: الوكيل: هو الذى يتصرف لغيره لعجز موكله. (٣)

رابعا: تعريف الايضاء:

- لغة: من وصيت الشئ بالشئ: أى وصلته. (٤)

^١المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير: لأحمد بن محمد بن على المقرئ الفيومى: (ت ٥٧٧٠) الناشر: المكتبة العلمية- بيروت: مادة "وكل" ج ٢: ص ٦٧٠

^٢الإنصاف فى معرفة الراجح من الخلاف : للمرداوى : (ت ٥٨٨٥) الناشر: دار إحياء التراث العربى: الطبعة الثانية : بدون تاريخ: ج ٥ : ص ٣٥٣

^٣انظر التعريفات :لعلى بن محمد بن على الزين الشريف الجرجانى: (ت ٥٨١٦) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣ - ١٩٨٣م (ص: ٢٥٤)

^٤المصباح المنير : ج ٢: مادة "وصى" : ص ٦٦٢

- اصطلاحاً:

- إثبات تصرف مضاف لما بعد الموت، كالإيصال بقضاء الدين ورد المظالم، وتنفيذ الوصية.^(١)
- يلاحظ من هذه التعريفات أن النيابة أوسع من الوكالة والإيصال؛ وذلك لأن الوكالة لا بد فيها من إيجاد الوكيل، ولا بد فيها أيضاً من إرادة الموكل وقصده في أن يقوم مقامه أثناء حياته، ولكن الإيصال التصرف فيه مضاف لما بعد الموت.
- والمقصود بالنيابة في هذا البحث معناها اللغوي الواسع الذي يشمل الوكالة والإيصال، وأيضاً التبرع عن الغير بفعل العبادة من غير توكيل منه ولا إرادة، خاصة إذا كان ميتاً.

المطلب الثاني : الأدلة على مشروعية النيابة :**الكتاب :**

- قوله تعالى: " فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتطلف ولا يشعرن بكم أحداً" (الكهف: ٩١)
- قال تعالى: " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله فريضة من الله والله عليم حكيم" (التوبة: ٦٠)

السنة :

- فقد رويت أحاديث كثيرة منها عن عائشة- رضى الله عنها- قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من مات وعليه صيام صام عنه وليه."^(١)

^١ حاشيتنا قلوبى وعميرة : لأحمد سلامة القلوبى وأحمد البرلسى عميرة :الناشر :دار الفكر بيروت : بدون طبعة : ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م : ج ٣ : ص ١٧٥

- عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنَ الْأَسَدِ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللَّثِيئَةِ - قَالَ عَمْرُو: وَابْنُ أَبِي عُمَرَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمْ أَقْدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا لِي، أَهْدِي لِي، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: مَا بَالُ عَامِلِ أْبَعْتُهُ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أَهْدِي لِي، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ، حَتَّى يَنْظُرَ أَيُّهُدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةٌ لَهَا خُورٌ، أَوْ شَاةٌ تَتَّعِرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْتَا عُنُقِي إِبْطِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ، هَلْ بَلَّغْتُ؟» مَرَّتَيْنِ (٢)
- توكيله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري في نكاح أم حبيبة. (٣)

الجامع الصحيح للإمام البخارى (ت ٢٥٦هـ) : للمحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر: الناشر: دار طوق النجاة: الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ : كتاب الصوم :باب من مات وعليه صيام : ج ٣ : ص ٣٥ رقم ١٩٥٢

٢ صحيح مسلم : للإمام مسلم (ت: ٢٦١هـ): للمحقق: محمد فؤاد عبد الباقي: الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت : كتاب الإمارة : باب تحريم الهدايا للعمال (٣/ ١٤٦٣)

٣ وفيه أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَلَّ عَمْرُو بْنَ أُمِّيَةَ الضَّمْرِيِّ فِي قَبُولِ نِكَاحِ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ.

قال النُبَيْهِيُّ فِي الْمَعْرِفَةِ رَوَيْنَا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّهُ حَكَى ذَلِكَ وَلَمْ يَسْنِدْهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْمَعْرِفَةِ، وَكَذَلِكَ فِي الْخُلَافِيَّاتِ بِإِسْنَادٍ وَأَحْرَجَهُ فِي السُّنَنِ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمْرُو بْنَ أُمِّيَةَ الضَّمْرِيِّ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَرَوَّجَهُ أُمَّ حَبِيبَةَ ثُمَّ سَاقَ عَنْهُ أَرْبَعِمِائَةَ دِينَارٍ، وَاشْتَهَرَ فِي السِّيرِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ عَمْرُو بْنَ أُمِّيَةَ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَرَوَّجَهُ أُمَّ حَبِيبَةَ وَهُوَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْوَكِيلُ فِي الْقَبُولِ أَوِ النَّجَاشِيِّ، انظر السنن

- الإجماع^(١):

- انعقد الإجماع على جواز الوكالة؛ لقوله تعالى: "والعاملين عليها" أي الزكاة، حيث جوز العمل عليه، وهو بحكم النيابة عن المستحقين، ولفعله صلى الله عليه وسلم حيث كان يبعث عماله لقبض الصدقات وتقريقها؛ إذ لا يمكن لكل أحد فعل ما يحتاج إليه بنفسه، وقد يعجز عن قيامه بمصالحه كلها.
- قال ابن المنذر رحمه الله: "وأجمعوا على أن الحج الرجل عن المرأة، والمرأة عن الرجل: يجزئ"
- وتصح الوكالة في كل حق لله تدخله النيابة من العبادات، كتقريق الصدقة والزكاة والنذر والكفارة وذبح الهدى، وكذا الرمي بمنى، وصب الماء على أعضاء المتطهر، وكذا الحج والعمرة عند العجز، وصوم الولي عن الميت.^(٢)

الكبرى لأبي بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م: كتاب النكاح: باب الوكالة في النكاح ج ٧: ص ٢٢٥: رقم ١٣٧٩٦

١مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: للخطيب الشربيني: (ت ٩٧٧هـ): دار الكتب العلمية / الطبعة: الأولى: ج ٢: ص ٢١٧، وانظر: الإجماع لابن المنذر (ص: ٦٠)

٢بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: لكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ): الناشر: دار الكتب العلمية: الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م: ج ٧: ص ٣٧١

- والعبادات، من حيث ما تقبل النيابة فيها وما لا يقبل، ثلاثة أنواع :
- **النوع الأول:** عبادات بدنية محضة، كالصلاة، والصوم، فهذا النوع لا يقبل النيابة فيه مطلقا في حال الحياة، أما بعد الممات فللعلماء تفصيل في ذلك كما سأبينه في موضعه من البحث إن شاء الله.
- **النوع الثاني:** عبادات مالية محضة، كالزكاة والذور وذبح الأضحية والهدى وجمع وتفریق الصدقات، فلا خلاف في جواز النيابة في الحياة وبعد الممات.
- **النوع الثالث:** عبادات بدنية مالية، كالحج، فهذا النوع اختلف الفقهاء في صحة النيابة في الحياة وبعد الممات، فمنهم المانع ومنهم المجيز وسيأتي بيانه في هذا البحث.(١)

المبحث الثاني: النيابة في الصيام.

- لاخلاف بين العلماء أن الصوم من العبادات البدنية، فلا يجوز صيام أحد عن أحد- حال حياته- وسواء كان عاجزا عن الصيام، أو قادرا عليه.
- فإن كان سبب العجز عن الصيام كبير سن، أو مرض مزمن لا يُرَجَبُزُؤُهُمَنه، فعليه أن يطعم عن كل يوم مد طعام؛ وذلك لقول ربنا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ

أسنى المطالب في شرح روض الطالب: زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ): الناشر: دارالكتاب الإسلامي: الطبعة: بدون طبعة: ج ١: ص ٣١
 كشف القناع عن متن الاقناع: للبهوتي الحنبلي (المتوفى: ١٠٥١هـ): الناشر: دارالكتبة العلمية
 ج ٢: ص ٢٤٥

تَصُومُوا حَيْزْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۗ آ ل بقرة : ٤٨١، فإن عجز عن الإطعام سقط عنه الصوم، إلى غير بدل.

- وكذلك لا خلاف بين الجمهور الفقهاء:-

- أن من مات، وعليه صوم، لم يتمكن من صيامه، بسبب مرض، أو
حيض، أو رضاع، أو سفر، أو إغماء، واتصل مرضه أو عذره إلى
الموت؛ فلا يجب على ورثته الصوم، ولا الإطعام؛ نيابة عنه، وبه قال ابن
عباس والحسن البصرى^(١) والنخعي^(٢) وعطاء^(٣)

- وإليه ذهب الحنفية^(٤) والمالكية^(٥) والشافعية^(٦) والحنابلة^(٧) والظاهرية^(٨)
والإمامية^(٩) والزيدية^(١٠) والإباضية^(١١)

^١ - هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصرى، من سادات التابعين، وجمع كل فن
من علم، وزهد وورع وعبادة، قال عنه: أبو عمرو بن العلاء: "ما رأيت أفصح من الحسن
البصرى والحجاج بن يوسف". (وفيات الأعيان : ج ٢: ص ٦٩، ٧٠)

^٢ - هو شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي: ولد ببخارى سنة ٩٥هـ، ومات بالكوفة
سنة ١٩٧هـ، وولي القضاء بالكوفة، قال سفيان بن عيينة: ما أدركت بالكوفة أحضر جواباً
من شريك بن عبد الله. (طبقات الفقهاء: ج ١: ص ٨٦)

^٣ - هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح اليماني المكي تابعي فقيه، مفتي مكة ومحدثها، من أجل
التابعين وفقهائهم ثقة عالم بالحديث توفي سنة ١١٤هـ (تهذيب التهذيب : ج ٧: ص ١٩٩)

^٤ - المبسوط : ج ٣ : ص ٩٠

^٥ - مواهب الجليل شرح مختصر الخليل : ج ٣ : ص ٩٠

^٦ - المجموع شرح المهذب : ج ٦ : ص ٤١٤ - ٤٢٠

^٧ - المغنى : ج ٣ : ص ١٥٢

^٨ - المحلى : ج ٤ : ص ٤٢٧

^٩ - الروضة البهية : ج ٢ : ص ١٢٢

^{١٠} - البحر الزخار : ج ٣ : ص ٢٥٦٨

^{١١} - شرح النيل وشفاء العليل : ج ٣ : ص ٣٨٢

- وقد اختلف العلماء فيمن مات، وعليه صوم تمكن من قضائه، ولم يصمه حتى مات، إلى مذاهب متعددة، وهذا تفصيلها:

- المذهب الأول: لا تصح النياية في الصيام عن الميت، وإنما يطعم عنه إذا أوصى بذلك، وهو المروى عن عمر، وعائشة، وابن عباس رضى الله عنهم، وبه قال أبو عبيد^(١) والليث بن سعد^(٢)، وإليه ذهب الحنفية^(٣) والمالكية^(٤) والمالكية^(٤) والشافعية في الجديد^(٥) والحنابلة^(٦) والزيدية^(٧).

وقد استدلوا بالآتى:

- عن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم " من مات وعليه صيام شهر، فليطعم عنه - مكان كل يوم - مسكينا "^(٨).

^١ - أبو عبيد القاسم بن سلام - بتشديد اللام - البغدادي إمام مشهور ثقة فاضل، مات سنة ٢٢٤ هـ. (ينظر الطبقات الكبرى - متمم الصحابة - الطبقة الخامسة: ج ١: ص ١٧٤)

^٢ - هو أبو الحارث الليث بن سعد عبد الرحمن الفهمى بالولاء: إمام أهل مصر فى عصره، حديثاً وفقهاً، قال عنه ابن تغربردى: " كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها فى عصره ولد سنة ٩٤ هـ، وتوفى سنة ١٧٥ هـ (ينظر الأعلام: ج ٥: ص ٢٤٨)

^٣ - المبسوط: ج ٢: ص ٨٩

^٤ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ج ٢: ص ٦٢

^٥ - الحاوى الكبير: ج ٢: ص ٤٥٣

^٦ - المغنى: ج ٣: ص ٣٩

^٧ - البحر الزخار: ج ٣: ص ٢٥٦-٢٥٧

^٨ - سنن ابن ماجة: كتاب الصيام: باب من مات وعليه صوم: ج ١: ص ٥٥٨ رقم: ١٧٥٧ قال عنه الترمذى: وهذا الحديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه والصحيح عن ابن عمر موقوفاً

- **وجه الدلالة:** هي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالإطعام عن الميت الذى عليه صوم، ولم يقضيه، ولم يأمر بالصيام نيابة عنه؛ وذلك لأنه عبادة لا تدخلها النيابة حال الحياة؛ فلا تدخلها بعد الموت كالصلاة.^(١)

وروى الإمام مالك-رضي الله عنه- أن عبد الله بن عمر -رضى الله عنهما- كان يسأل: هل يصوم أحد عن أحد، أو يصلى أحد عن أحد؟ فيقول: لا يصوم أحد عن أحد، ولا يصلى أحد عن أحد".^(٢)

- وجه الدلالة:

- هنا الدلالة على النهى عن الصوم نيابة عن الغير، وسواء كان الذى عليه الصوم حيا أوميتا؛ لأنه عبادة اختصت بالبدن؛ ولأن التكليف امتحان وابتلاء؛ فلا تقبل البدل، فإن المقصود منها عين المكلف العامل بالمأمور؛ فلا يبذل المكلف الممتحن بغيره، ولا ينوب غيره عنه فى ذلك.^(٣)

- عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: " لا يصلى أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد، ولكن يطعم عنه- مكان كل يوم- مدا من الحنطة".^(٤)

- وجه الدلالة:

١- المهذب : ج ١ : ص ١٨٧

٢- موطأ مالك : رقم ١٣٠٣

٣- الروح : لابن القيم ص ١٢٣

٤- السنن الكبرى للنسائى:كتاب الصيام :باب صوم الحى عن الميت: ج٣:ص٢٥٧:

رقم ٢٩٣٠

- فى هذا الأثر دلالة على وجوب الإطعام عن الميت الذى عليه صوم، ولم يقضه؛ وذلك لأنه عبادة لا تدخلها النيابة فى حال الحياة، مع العجز؛ فوجب أن لا تدخلها النيابة بعد الوفاة، أصله الصلاة، وعكسه الحج، ولأن الصوم إذا فات انتقل إلى المال، لا إلى النيابة، كالشيخ الهرم^(١)
- **المذهب الثانى** : تصح النيابة فى الصوم عن الميت، فمن مات وعليه صوم من رمضان، أو صيام نذر أو كفارة، صام عنه وليه، سواء أوصى الميت بذلك، أم لم يوص، وبه قال حماد^(٢) والحسن^(٣) وطاوس^(٤) وأبو ثور^(٥).
- وذهب إليه الشافعية فى القديم، وقالوا: الولى مخير بين الصيام والإطعام، وإن أجر أجنبيافصام عنه بأجرة أو بغير، أجزاء كالحج^(٦).

^١ - الحاوى الكبير : ج٢:ص٤٥٣

^٢ - حماد: هو أبو إسماعيل حماد بن أبى سليمان مسلم الأشعري. تابعى فقيه كوفى من شيوخ أبى حنيفة ، روى له الخمسة (ينظر تهذيب التهذيب : ج٣ : ص١٦)

^٣ - محمد بن الحسن بن فرقد أبو عبد الله الشيباني مولاهم صاحب أبى حنيفة وإمام أهل الرأي، أصله دمشقي من أهل قرية تسمى حرسنا. ولد بواسط ونشأ بالكوفة، وسمع العلم بها من أبى حنيفة، ومسعر بن كدام، وسفيان الثوري، وعمر بن ذر، ومالك بن مغول. وقد روى عنه محمد بن ادريس الشافعى وهشام بن عبيد الله الرازى وتوفى بالرى ودفن بها بخراسان. (تاريخ بغداد / ج٢ / ص ٥٦١)

^٤ - طاووس: هو أبو عبد الرحمن طاووس بن كسيان اليماني، تابعى فقيه، من أكابر التابعين فى الفقه والحديث توفى فى ١٠٥هـ (تهذيب التهذيب: ج٥: ص٨)

^٥ - أبو ثور: هو إبراهيم بن خالد الكلبى البغدادى، كان حنفى المذهب فى بداية أمره، ثم أخذ الفقه من الشافعى فى بغداد، وتبعه ونشر مذهبه (ت: ٢٤٠هـ) (طبقات السبكي: ج٢: ص٧٢)

^٦ - المجموع شرح المذهب: ج١: ص١٨٧، ج٦: ص٤١٤ - ٤١٥

- وذهب الحنابلة واسحق بن راهويه إلى صحة النيابة عن الميت، في صوم النذر.^(١)
- وقال ابن حزم: "إن لم يكن له ولي استؤجر عنه- من رأس ماله- من يصوم عنه، ولا بد إن أوصى بذلك أولم يوص.^(٢)
- وقال الإمامية بوجود صيام الولي عن الميت^(٣)
- وقد استدلووا بالآتي :
- عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول إن أمى ماتت، وعليها صوم شهر، أفأقضيه عنها؟ فقال: لو كان على أمك دين أكننت قاضيه عنها؟ قال نعم، قال فدين الله أحق أن يقضى " ^(٤)
- عن عائشة رضى الله عنها قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من مات وعليه صيام صام عنه وليه . " ^(٥)
- أى من مات وعليه صوم لم يقضيه حال حياته صام عنه وليه نيابة عنه سواء كان صياما من رمضان أو غيره ، وذلك لأن لفظ صيام جاء عام فى النص.
- وعن عبدالله بن بريدة، عن أبيه قال: بينما أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتته امرأة، فقالت: "إني تصدقت على أمى بجارية، وإنها

^١- المغنى: ج٣ ص: ٣٩ ، كشف القناع عن متن الاقناع :ج٢ ص: ٣٣٥

^٢- المحلى: ج٤ ص: ٤٢٠

^٣- شرائع الإسلام: ج١ ص: ١٨٤

^٤- صحيح مسلم : كتاب الصوم : باب قضاء الصيام عن الميت : ج٢ ص: ٨٠٤ : رقم ١١٤٨

^٥- صحيح البخارى : كتاب الصوم : باب من مات وعليه صوم : ج٣ ص: ٣٥ : رقم ١٩٥٢

- ماتت، قال: وجب أجرك، وردها عليك الميراث، قالت يا رسول الله: إنه كان عليها صوم شهر، أفاصوم عنها؟ قال: صومي عنها، قالت: إنها لم تحج قط، أفأحج عنها؟ قال حجى عنها".^(١)
- عن عائشة رضى الله عنها قالت : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من مات وعليه صيام فليصم عنه وليه إن شاء".^(٢)
- لفظ إن شاء فى الحديث تصرف الدلالة من الوجوب إلى الندب فإن صام الولي جاز له.
- وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- "أن امرأة ركبت البحر، فنذرت -إن نجاها الله- أن تصوم شهرا، فنجاها الله، فلم تصم حتى ماتت، فجاءت بنتها أو أختها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها أن تصوم عنها".^(٣)
- **وجه الدلالة:**
- إن دلالة الحديث على جواز النيابة فى صوم النذر ، لأنه ثبت فى نمة الميت فوجب على الورثة إبراء الذمه ، لأنها عبادة يدخلها الجبران بالمال فجاز أن تدخلها النيابة كالحج .
- عن ابن عباس أيضا قال: "جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن أمى ماتت وعليها صوم نذر افاصوم عنها؟ قال :

^١ - صحيح مسلم : كتاب الصوم : باب قضاء الصوم عن الميت : ج٢: ص٨٠٥: رقم ١١٤٩

^٢ - صحيح مسلم : كتاب الصوم : باب قضاء الصيام عن الميت : ج٢: ص٨٠٣: رقم ١١٤٧

^٣ - مسند أحمد: مسند عبد الله بن العباس: ج٣: ص٣٥٦: رقم ١٨٦١ حديث صحيح

أفرايت لو كان على أمك دين ففضيته أكان يؤدي ذلك عنها؟ قالت: نعم، فقال: فصومي عن أمك." (١)

- دلالة الحديث تشبيه قضاء من كان عليه صوم بقضاء الدين فلا بد من قضاء الدين لإبراء ذمة الميت وكذلك من كان عليه صوم وذلك لأن دين الله أحق أن يقضى .

المذهب الثالث:

- يصوم الولي؛ نيابة عن الميت، إذا لم يجد ما يطعم عنه. وهو قول الأوزاعي (٢) والثوري (٣). (٤) والإباضية (٥)

- وقد استدلوا بالآتي :

- وعن ابن عمر -رضى الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه مكان كل يوم مسكيناً". (٦)

- عن عائشة رضى الله عنها قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من مات، وعليه صيام، صام عنه وليه ". (٧)

^١ - رواه مسلم: كتاب الصوم: باب قضاء الصيام عن الميت: ج٢: ص٨٠٤: رقم ١١٤٨

^٢ - الأوزاعي: هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، إمام أهل الشام فقيه عالم ثقة. (ت: ١٥٨هـ): (تهذيب التهذيب: ج٦: ص٢٤٢)

^٣ - الثوري: هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، تابعي كوفي فقيه. من أئمة الحديث (ت: ١٦١هـ) (تذكرة الحفاظ: ج١: ص٣٠٢)

^٤ - الفروع لابن مفلح: ج٣: ص٩٦

^٥ - شرح النيل وشفاء العليل: ج٣: ص٣٨٢

^٦ - سنن الترمذي: كتاب الصيام: باب من مات وعليه صيام: ج٣: ص٨٧: رقم ٧١٨ قال: حديث ابن عمر لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، والصحيح عن ابن عمر موقوف قوله.

- وجه الدلالة :

- إن دلالة الحديث هي جواز النيابة في الصيام، أي من كان عليه صوم، ولم يقضه، يصوم عنه وليه.
- الدلالة تكمن في الجمع بين النصين، بحيث يمكن الاستدلال على جواز الإطعام أو الصيام نيابة عن الميت، وإذا كان للميت مال فإنه يخرج من ماله للإطعام؛ بدلا عن الصوم، وإن لم يكن له مال صام عنه وليه؛ نيابة عنه .

- الترجيح :

- من خلال عرض الأدلة يتبين أن القول الراجح هو ما ذهب إليه الأوزاعي والثوري، وهو المذهب الثالث من جواز الإطعام، أو صيام الولي؛ نيابة عن الميت، أوصى الميت بذلك أو لم يوص، والمقصود من الإطعام أو الصيام نيابة عن الميت إنما إبراء لذمته من الدين المتعلق بربقته، كما وصفه رسول الله - صلى الله عليه وسلم بقوله: فدين الله أحق بالقضاء، أما المراد بالولي فهو كل قريب في أرجح الأقوال، وإن تبرع الأجنبي جاز؛ قياسا على تبرعه بأداء الديون عن الميت.

فهرس المصادر**فهرس المصادر**

- صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر: الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن

^١ - صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب من مات وعليه صوم : ج ٣ : ص ٣٥:

- السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي): الطبعة: الأولى،
١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى:
٢٦١هـ)
- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- سنن ابن ماجه: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم
أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ): تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: الناشر: دار
إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي
- سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك،
الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ): تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر
(ج ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في
الأزهر الشريف (ج ٤، ٥): الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي
الحلبي - مصر: الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
- سنن النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني،
النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ): تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة: الناشر: مكتب
المطبوعات الإسلامية - حلب
الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
- السنن الكبرى: لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردي
الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ): تحقيق: محمد عبد القادر
عطا: الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان: الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤
هـ - ٢٠٠٣ م.

- المبسوط: لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)
- الناشر: دار المعرفة - بيروت: الطبعة: بدون طبعة
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: لعلاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ): الناشر: دار الكتب العلمية: الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)
- الناشر: دار الحديث - القاهرة: الطبعة: بدون طبعة: تاريخ النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م
- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ)
- الناشر: دار الفكر: الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م
- المجموع شرح المذهب (مع تكملة السبكي والمطيعي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ): الناشر: دار الفك
- حاشيتا قليوبي وعميرة: لأحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة: الناشر: دار الفكر - بيروت: الطبعة: بدون طبعة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥
- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ): الناشر: دار الكتب العلمية: الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

- أسنى المطالب في شرح روض الطالب: لزكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ): الناشر: دار الكتاب الإسلامي: الطبعة: بدون طبعة.
- المغني لابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) الناشر: مكتبة القاهرة: الطبعة: بدون طبعة
- كشاف القناع عن متن الإقناع: لمنصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: ١٠٥١هـ): الناشر: دار الكتب العلمية
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: لعلاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ): الناشر: دار إحياء التراث العربي الطبعة: الثانية - بدون تاريخ
- المحلى بالآثار: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ): الناشر: دار الفكر - بيروت: الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ
- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية : للشهيد السعديين: محمد بن جمال الدين المكي العاملي وزين الدين الجبعي العاملي: تحقيق: محمد كلانتر: الناشر منشورات مؤسسة الأعلمی للمطبوعات - بيروت لبنان الطبعة الأولى

- البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار: للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى: الناشر مكتبة اليمن
- شرح النيل وشفاء العليل: لمحمد بن يوسف أطفيش: الناشر: دار الفتح بيروت-مكتبة الإرشاد-جدة: الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
- لسان العرب: لابن منظور الأنصاري: (ت ٧١١هـ) الناشر: دار صادر - بيروت: الطبعة: الثالثة: (١٤١٤هـ)
- المصباح المنيرفي غريب الشرح الكبير: لأحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي: (ت ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.

مسائل خلافية بين ابن الطرواة والنحويين

الطالبة

دعاء محمود محمد أبو عيشة

يناير ٢٠١٨

لا شك أن علم النحو من أعظم العلوم وأجلها ، وذلك لأنه هو المفتاح الأول والأصح لفهم التنزيلين (القرآن والسنة) وهو الطريق الموصل إلى الاستنباط من الوحيين . وقد أدرك علماء العربية أهمية هذا العلم وضرورته الملحة ، لذا فقد أكبوا على دراسته ، ووضع قواعده وضوابطه منذ القدم .

وبناء على ذلك فقد كثرت التأليف في هذا المجال ، مما أدى إلى ظهور المذاهب واختلاف الآراء ، ومن ثم كثرت الاعتراضات والتعقبات بين النحويين وبعضهم . وقد لقيت الاعتراضات النحوية اهتماما كبيرا من قبل النحاة قديما وحديثا ، فسيبويه مثلا - وهو أمام النحاة - قد اعترض على استاذه الخليل في عدة مسائل ، كما ظهر نحويون آخرون اعترضوا على سيبويه .

وابن الطراوة (ت ٥٢٨ هـ) الذي هو محط الدراسة نجده قد سار على درب هؤلاء النحويين ، فعلى الرغم من اهتمام ابن الطراوة الشديد بكتاب سيبويه ، حيث كان " معنيا عناية شديدة بكتاب وملحوظة بكتاب سيبويه ، عارفا بمنزلته الرفيعة في النحو " (١) . " فقد سمع ابن الطراوة كتاب سيبويه على الأعمى يوسف بن سليمان (ت ٤٧٦ هـ)" (٢)

كما اعترض ابن الطراوة أيضا على أبي القاسم الزجاجي ، ولكن اعتراضاته على الزجاجي " ليست في أهمية اعتراضاته على سيبويه ، فلم تحظ بالعناية والتبنيه عليها ، وردها بمثل ما حظيت به تلك ، ..." (٣)

(١) ابن الطراوة النحوي. تحقيق ودراسة/ عياد عيد الثبتي. ص ٢١٣.

(٢) أبو الحسين بن الطراوة وآراؤه في النحو والصرف. د/مزيد نعيم روفائيل مرجان .

(٣) ابن الطراوة النحوي. ص ٢١٩.

(١)

وهنا عرض مبسط للمسائل التي اعترض فيها ابن الطراوة على بعض النحويين :
 أولاً: مسألة حذف خبر المبتدأ الواقع بعد "لولا" الامتناعية:
 لولا الامتناعية هي حرف لا عمل له ،يستدعي جملتين : الأولى إسمية(من مبتدأ
 وخبر)، والثانية (من فعل وفاعل)
 وقد اتفق الجمهور ومعظم النحويين على أن الاسم الواقع بعد "لولا" الامتناعية هو
 المبتدأ ، ولكن هناك خلاف بين النحاة حول خبر هذا المبتدأ ، فخير "لولا" الامتناعية
 يجري عليه ما يجري على سائر الأخبار من جواز الحذف وعدمه .وجمهور النحاة
 على أن خبر "لولا" الامتناعية واجب الحذف مطلقا ، لأنه عندهم لا يكون ألا كونا
 عاما ، ويكون التقدير حينئذ في الوجود .
 ويوافق سيبويه جمهور النحاة في وجوب حذف خبر المبتدأ الواقع بعد "لولا" الامتناعية
 ، ويعلل ذلك بأن جواب "لولا" قد سد مسد هذا الخبر المحذوف ، قال سيبويه : "
 ولكن الفراء لا يتفق مع النحويين في أن أن الاسم الواقع بعد "لولا" الامتناعية يكون
 مبتدأ ، ولكنه يرى أنه اسم مرفوع ب"لولا: لاستغنائه بها ، كما يرتفع الفعل بالفاعل
 .ولكن رد قوله هذا بأن " لولا" لو كانت عاملة لكان الجر بها أولى من الرفع
 لاختصاصها بالاسم، وذهب الكسائي إلى أنه مرفوع بفعل بعدها تقديره(لولا وجد زيد
)ونحوه "

يقول ابن مالك في ألفيته:

وبعد " لولا" غالبا حذف الخبر حتم وفي نص يمين ذا

استقر . (١)

وهنا يتفق ابن مالك مع رأي سيبويه والجمهور في أن خبر المبتدأ الواقع بعد "لولا" الامتناعية واجب الحذف ، فقوله (غالبا) يوحي أن الخبر واجب الحذف في أغلب حالاته ، ويتضح هذا الحكم بالوجوب من قوله (حتم) .

(١) ألفية ابن مالك. ص ١٦ .

(٢)

ويعلل ابن مالك حذف الخبر بعد "لولا" الامتناعية بقوله : " وإنما وجب حذف الخبر بعد "لولا" الامتناعية ، لأنه معلوم بمقتضى لولا ، إذ هي دالة على امتناع لوجود ، والمدلول على امتناعه هو الجواب ، والمدلول على وجوده هو المبتدأ ."

(١)

ولكن ابن مالك يقيد حذف الخبر بعد "لولا" الامتناعية بأن يكون الإخبار بكون عام مطلق، أي لا يتقيد بمعنى معين زائد على وجود المبتدأ ، نحو : لولا زيد لأكرمتك ، فالذي منع إكرامي لك إنما هو زيد . والخبر هنا محذوف وجوبا تقديره: (لولا زيد موجود أو حاضر) ف(موجود) هنا هو الخبر المحذوف وجوبا ، وهو كون عام ، وذلك لأن الخبر هنا مفهوم ومتضمن في "لولا" ، وأما إذا كان الإخبار بكون خاص أو مقيد ، فابن مالك يرى أن الخبر في هذه الحالة يجوز فيه الأمران : الثبات والحذف معا .

وأوضح الأشموني ذلك بقوله : " إن كان الإخبار بكون مقيد ، وكان الالمبتدأ الجواب مشعرا به ، جاز الثبات والحذف معا ، مثل قوله : لولا أنصار زيد حموه ما سلم . وإن كان الإخبار بكون مقيد ولم يشعر به المبتدأ والجواب ، ففي هذه الحالة لم يجز الحذف . " (٢)

وقد مثل ابن مالك للكون الخاص أو المقيد بقول أبي العلاء المعري في وصف سيف :

• يذيب الرعب منه كل عضب فلولا الغمد يمسكه

لسالا . (٣)

فابن مالك يرى أن جملة (يمسكه) هنا هي خبر المبتدأ بعد "لولا" والمبتدأ هو (الغمد) ، فالخبر (يمسكه) مقيد بالإمساك ، والمبتدأ (الغمد) هو الدال عليه ، حيث أن من شأن غمد السيف إمساكه ، ويكون حكم الخبر في هذه الحالة هو جواز الأمرين : الثبات والحذف .

ومثل ابن مالك أيضا لما لا يجوز فيه حذف الخبر بقول النبي صلى الله عليه وسلم - للسيدة عائشة : " لولا قومك حديثو عهد بكفر ، لبنيت الكعبة على قواعد إبراهيم . " (٤)

(١) شرح التسهيل. لابن مالك. تحقيق: د. عبد الرحمن السيد. مكتبة الأنجلو المصرية. ج. ١. ص. ٢٦٧.

(٢) شرح الأسموني على ألفية ابن مالك. ج. ١. ص. ١٠٦.

(٣) البيت من الوافر، وهو لأبي العلاء المعري، في ديوانه ص ، وأوضح المسالك ١/٢٢١، والجنى الداني ص ٦٠٠، والدرر ٢/٢٧، وورصف المباني ص ٢٩٥ .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في العلم ٤٨، والحج ٤٢، ومسلم في الحج ٣٩٩، ٣٩٨، والنسائي في المناسك ١٢٨، ١٢٥، وابن ماجة في المناسك ٣١، والموطأ في الحج ١٠٤، وأحمد ٤/٥٧، ١٠١.

فالخبر هنا الذي هو (حديثو) لا يجوز حذفه ، وذلك لأنه كون مقيد بالحدائثة ، فلا يجوز حذف الخبر هنا لأنه لو حذف لفهم منه أن المقصود (لولا قومك موجودون) ولا شك أن هذا ليس المعنى المقصود .

ولكن ابن الطراوة يعترض على ما ذهب إليه الجمهور وسيبويه وغيرهم ، فهو يرى أن خبر المبتدأ الواقع بعد "لولا" الامتناعية إنما هو جوابها ، أي الجواب الواقع في الجملة الثانية ، حيث قال : " جواب لولا هو خبر المبتدأ الواقع بعد لولا . " (١) ولكن المرادي حكم على هذا القول بالضعف . ومع هذا فابن الطراوة يتفق معهم في أن الاسم الواقع بعد "لولا" الامتناعية يكون مبتدأ .

ولعل ما ذهب إليه ابن الطراوة هنا نابع من إيمانه السابق في قضية الخبر بأن الخبر عموماً هو ما نريد إثباته ، قال : " الذي لا تريد إثباته تجعله المبتدأ ، والذي تريد إثباته تجعله الخبر . " (٢)

فهو يقر بأن خبر لولا الامتناعية إنما هو جوابها لأنه هو الفائدة الحاصلة نت وراء الكلام ، ولعل هذه الفائدة تكون هي الإثبات الذي يقصده ابن الطراوة . ولكن هناك من رد قول ابن الطراوة السابق بأن " خبر "لولا" والجواب الواقع بعد "لولا" لا رابط بينهما ."

وملخص المسألة السابقة : أن جمهور النحاة على أن خبر لولا الامتناعية محذوف دائماً وحكم حذفه هو الوجوب المطلق ، حيث إنه لا يكون عندهم إلا كونا مطلقاً (عاماً) ، نحو : لولا قيام زيد لأتيتك ، ولا يجوز : لولا زيد قائم " وهذا الرأي هو الأشهر الأعم لدى النحويين ، ورأى ابن الطراوة أن خبر "لولا" الامتناعية هو جوابها ، ولكن المرادي ضعف هذا الرأي ، ورده آخر بأنه لا رابط بين خبر "لولا" وبين الجواب الواقع بعدها .

- (١) ارتشاف الضرب من لسان العرب. لأبي حيان الأندلسي/دار الكتب ص ١٠٩٠، والجنى الداني في حروف المعاني /للمرادي /ص ٥٩٩.
- (٢) انظر رأي ابن الطراوة في ارتشاف الضرب/ص ١١٧٦.

(٣)

وبناء على ما سبق فإن النحويين من عادتم الاعتداد بقواعدهم ، وحينما يطرأ على هذه القواعد أمر جديد ، فإنهم يحاولون تأويل هذا النص الجديد ويحاولون أن يجدوا مخرجا لهذا الاستعمال الجديد قيل : " ولكن كان عليهم أن يعترفوا أن كلام العرب كثير ، وقد وصلهم منه شيء وغابت عنهم أشياء ،...، فهم يؤلون ذلك النص الجديد وما يكشف عنه . " (١) ، لذلك نجد أن النحويين قد لحنوا أبا العلاء المعري في قوله: (فلولا الغمد يمسه لسالا) لأنه ذكر خبر المبتدأ بعد "لولا" الامتناعية ، وخبرها عندهم واجب الحذف مطلقا ، لأنه لا يكون عندهم إلا كونا عاما وأما حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - فأولوه بأنه إما أن يكون مرويا بالمعنى لا باللفظ ، أو أن الذي رواه أحد المولدين أو العجم ، فيحتمل فيه اللحن .

والرأي الراجح في نظري هو رأي سيبويه والجمهور على أن خبر المبتدأ بعد "لولا" الامتناعية واجب الحذف مطلقا ، ويكون التقدير : موجود أو حاضر أو حاصل أو غيره ، وأوضح دليل على ذلك قوله تعالى : " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض " (٢)

فالمبتدأ بعد "لولا" هنا هو كلمة (دفع) ، وخبر هذا المبتدأ واجب الحذف وتقديره (لولا دفع الله الناس موجود) ، وقد وجب هذا الحكم بالحذف لأن معنى الوجود هذا متضمن في "لولا" .

مسألة مجيء خبر " عسى " مجردا من "أن" المصدرية :

"عسى" فعل من أفعال الرجاء والإشفاق ، وهو فعل ماض جامد ، ويعمل عمل "كان" حيث يرفع الاسم وينصب الخبر ، ولكن بالنسبة لخبر عسى ، فقد اختلف النحاة فيه من حيث اقترانه ب"أن" وتجرده منها ، فعند الجمهور وأغلب النحويين : خبر عسى لا يكون إلا فعلا مستقبلا ، ويجب اقترانه ب"أن" المصدرية ، ولكننا نجد أنه قد وردت بعض الشواهد على مجيء خبر "عسى" جملة فعلية فعلها مضارع ، وليس مقترنا ب"أن" ، ولكن هذا يعد أمرا نادرا .

(١) قواعد اللغة العربية. الكفاف. ص ٣٨١.

(٢) سورة البقرة. الآية ٢٥١

ولكن "أن" المصدرية هذه قد تحذف ويجيء الفعل مجردا منها ، وقد أجاز بعض النحويين ذلك لورود ما يدل عليه من كلام العرب ، قال سيبويه : "و اعلم أن من العرب من يقول: عسى يفعل، يشبهها بكاد يفعل، فيفعل حينئذ في موضع الاسم المنصوب في قوله: عسى الغوير أبؤساً. فهذا مثل من أمثال العرب أجروا فيه عسى مجرى كان." (١)

وهنا نجد سيبويه يجيز مجيء خبر "عسى" فعلا مضارعا مجردا من "أن" ، ويؤكد أن هذا من كلام العرب ، وأنهم بذلك يجعلون عسى بمنزلة كان ، كما في (عسى

الغويرة أبؤسا) وهو من أمثال العرب، ف (الغوير) هو اسم عسى و (أبؤسا) هي خبر عسى وهما بمثابة اسم كان وخبرها.

"غير أن المبرد والفارسي خالفاً سيبويه في هذه المسألة ، وزعما أن "عسى" لا تكون إلا فعلاً عاملاً عمل "كان" ،...، وهذا الزعم فاسد لأنه يلزم جعل خبر عسى مفرداً ، وهو نادر أو ضرورة . " (٢)

و من هنا فسبويه قد ذهب إلى أن "أبؤسا" في المثل: "عسى الغوير أبؤسا" هي خبر لعسى، ولكن ذهب الكوفيون ومعهم ابن هشام إلى أن "أبؤسا" خبر لكان أو يكون محذوفة أي: عسى الغوير يكون أبؤسا، والجملة الفعلية هنا خبر عسى وقد استدلت سيبويه على جواز مجيء خبر عسى جملة فعلية مجردة من "أن" بقول هذبة :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه
يكون وراءه فرج

قريب (٣)

وهنا نجد أن خبر عسى قد جاء جملة فعلية فعلها مضارع مجرد من أن المصدرية وهو جملة (يكون وراءه فرج قريب) وهذا مثل هذا يكون حكمه الجواز مع القلة . وقد ذكر سيبويه أن ذلك لا يحدث إلا في الشعر على الضرورة ، فالتجريد من أن كما أقر سيبويه وجمهور البصريين هو خاص بالشعر فقط .

(١) الكتاب لسبويه. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ج ٣. ص ١٥٩. وخزانة الأدب للبيدائي. ج ١. ص ٣٢٨

(٢) شرح التصريح على التوضيح/لخالد الأزهرى/دار الباز-مكة المكرمة/١/ ٢١٤

(٣) البيت لهذبة بن خشرم العذري، البيت لهذبة بن خشرم في ديوانه ص ٥٤، والكتاب ٣ / ١٥٩، وخزانة الأدب ٩ / ٣٢٨، ٣٣٠، وشرح أبيات سيبويه ١ / ١٤٢،

وقد اعترض ابن الطراوة على ما قاله سيبويه وما رآه النحويون بالنسبة لـ "عسى" قال: "اقتصر في هذا الباب

على الخطأ في رفع الاسم ب(عسى) ، والخبر عنه بالمصدر ،...، واستظهر على دعواه بقول الزبأء: "عسى الغوير أبؤسا" (١). ثم أنكروا على أبي علي ذلك الاستعمال فقال: "وأي تناسب بين هذا وما تقدم؟ وكيف خرج من المعلوم الذي لا يجوز غيره إلى الشاذ الذي لا يطلق لأحد قوله؟ ... لأنها قالت: عسى الغوير أبؤسا في أمر ما تحزره، ثم ثبت عندها ذلك المتوقع، فأعملت في بقية كلامها (صار) ، فكأنها قالت: صار الغوير أبؤسا ، وهذا التحول في المقام الواحد من حال إلى حال في كلام العرب ، واستعمال العامة أكثر من أن يحصى ، وأعم وأشهر من أن يشهر وينمى". (٢)

فابن الطراوة في النص السابق يستنكر نصب "أبؤسا" على أنها خبر لـ "عسى" و يستفهم من قول الزبأء أنها حين قالت هذا المثل كانت تظن شيئاً ، وحين تيقنت منه أعملت (صار) في بقية كلامها، وكان قصدها: (صار الغوير أبؤسا) ، وهويستنكر بذلك رأي أبي علي وغيره من كون (أبؤسا) خبر لـ (عسى) .

وقال الفراء مؤكداً ذلك: "عسى لا يقاس ، ولا يستحسن إلا مع أن" فلا يجوز عند الفراء : عسى الغوير أبؤسا" والعرب ترفع بها الاسم، وتجعل خبرها أن والفعل، وهما في تأويل المصدر، ولا يجعلون خبرها المصدر نفسه، ولا اسماً غيره، إلا أنه قد جاء في بعض أمثالهم: "عسى الغوير أبؤسا". فجعلوا الخبر ههنا المصدر بعينه، وهو البأس،

وجمعوه على أبؤس. وإنما حكمه أن يقال: عسى الغوير أن يبأس، أو يبئس بأساً، وقد نصب بها بعضهم أيضاً في ضرورة الشعر اسمها. (٣)

(١) الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في كتاب الإيضاح. أبو الحسين ابن الطراوة.
ص ٤٢ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) تصحيح الفصح وشرحه. لابن درستويه. ص ٤٢ .

ولكن البعض لم يتفق مع تقدير الكوفيين فقال: " وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَقْدَرُ ب (أَنْ يَكُونَ
أَبُوسًا) لَمَا فِيهِ مِنْ حَذْفِ الْمَوْضُولِ وَإِبْقَاءِ صِلَتِهِ . (١)
وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: عَسَى الْغُؤَيْرُ أَبُوسًا فَشَادُّ نَادِرٌ وَضِعَ مَوْضِعَ الْخَبْرِ . وَقَدْ يَأْتِي فِي الْأَمْثَالِ
مَا لَا يَأْتِي فِي غَيْرِهَا . وَرَبَّمَا شَبَّهُوا عَسَى بِكَادَ وَاسْتَعْمَلُوا الْفِعْلَ بَعْدَهُ بِغَيْرِ أَنْ فَقَالُوا:
عَسَى زَيْدٌ يَنْطَلِقُ" . (٢)

ونجد أيضا أنه قد وردت شواهد على أن خبر "عسى" يجوز أن يأتي اسما مفردا كما
جاء في قول الزبائ السابق ، فضلا عن جواز مجيئه جملة فعلية مجردة من "أن" ،
ومن ذلك قول الشاعر (من الرجز):

أكثرت في العذل ملحا دائما
لا تكثرن إني عسيت صائما

. (٣)

وهنا نرى أن خبر "عسى" جاء مفردا أي ليس جملة ألا وهو (صائما) ، ولكن هذا
ستعمال نادر وشاذ .

وقد فسر ابن مالك في ألفيته الحالات التي يجيء عليها خبر " عسى " ، قائلا:

وكونه بدون "أن" بعد عسى
نزر و"كاد" الأمر فيه

عكسا (٤)

" فذكر ابن مالك هنا أنه يكثر اقتران خبر "عسى" ب"أن" ويقل التجرد .
ومعنى ذلك أن ابن مالك يرى أن الأمر في الأصل على وجوب اقتران خبر عسى
بأن المصدرية ، وأما تجردها من أن فهو أمر نادر وشاذ .
وفيما يلي ملخص صغير لما ورد من آراء حول خبر "عسى" في قول الزبائ: (عسى
الغوير أبؤسا)

- (١) اللباب في علل البناء والإعراب. لأبي البقاء العكبري. ١/١٩٣.
- (٢) مختار الصحاح. لأبي بكر الرازي. ص ٢٠٩.
- (٣) البيت من الرجز ، وهو لرؤبة ، في ملحقات ديوانه ، ص ١٨٥
والمقرب ١/١٠٠، والمغني ص ١٦٤ ، ومعجم الشواهد العربية ص ٥٣٣ .
- (٤) ألفية ابن مالك. مكتبة الآداب. ص ١٨ .

فسيبويه يرى أن في هذا المثل قد أجرى العرب فيه عسى مجرى كان وهو شاذ ولا
يقاس عليه.

وقال الأصمعي: خبر "يصير" محذوفة. وقيل: مفعول به، والتقدير عسى الغوير
يأتي بأبؤس، فحذف الناصب والجار توسعاً، وتلخص أن "أبؤسًا" خبر لعسى أو لكان
أو لصار أو مفعولاً به. قال الموضح في شرح الشواهد: والأحسن من ذلك كله. أن
يقدر ببأس أبؤسًا،

وذهب الكوفيون إلى أن التقدير : عسى الغوير أن يكون أبؤسا . (١)

ولكن ابن هشام يرى أنه مفعول مطلق لعامل محذوف ، على حد " طفقا مسحا"

فالخبر محذوف، أي: يمسح مسحا. (٢)

، ويرى في "المغني": أن الصواب أنه مما حذف فيه يكون، أي يكون أبوساً لأن في ذلك إبقاء لها على الاستعمال الأصلي) ، والغالب اقتران الخبر بـ "أَنْ" بَعْدَ عَسَى. (٣)

(
 وذهب ابن الأعرابي إلى أن "أبوساً" منصوب بفعل محذوف ، والتقدير : عسى
 الغوير يصير أبوساً . (٤)

والرأي الراجح في نظري هو أن خبر "عسى" إن جاء جملة فعلية ، فيجب في هذه الحالة أن يقترن بـ "أَنْ" وخير دليل على ذلك : أن القرآن الكريم لم تأت فيه عسى إلا وكان خبرها مقترنا بأن ، ومن ذلك قوله تعالى: " عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً " (٥) ، وقوله تعالى " عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها " (٦)

(١) شرح التصريح على التوضيح. لخالد الأزهرى. ج ١. ص ٢٠٣.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. لابن هشام. ج ١. ص ٢٩٢.

(٤) شرح التصريح على التوضيح. ١/٢٠٤.

(٥) سورة الطلاق. الآية ٥.

(٦) سورة القلم. الآية ٣٢.

وهذا الضرب في القرآن كثير . وما جاء خلاف ذلك تكون فيه "عسى" فعلاً تاماً وليست ناقصة كالتي نحن بصددنا هنا . ومثالها : قوله تعالى : " وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم " (١)

مسألة إعمال " ظن " وأخواتها متأخرة

ظن فعل من أفعال القلوب (أفعال الشك واليقين) التي تدخل على المبتدأ والخبر ،فهي تنصب مفعولين يكون أصلهما المبتدأ والخبر ، وأخواتها :
(حسب،زعم،خال،وجد،ورأى) .

وهذه الأفعال كما تعمل في الجملة الاسمية، فترفع المبتدأ ويكون اسمها وتنصب الخبر ويكون هو مفعولها الأول وتستدعي مفعولا آخر ، فهي يجوز إلغاء عملها هذا في مواضع أخرى وفي هذه المسألة خلاف بين النحويين .

حيث ذكر سيبويه في باب (الأفعال التي تستعمل وتلغى) قائلاً: "فإذا جاءت مستعملة ، فهي بمنزلة رأيت وضربت وأعطيت في الإعمال والبناء على الأول في الخبر والاستفهام وفي كل شيء ، وذلك قولك : أظن زيدا منطلقا ،وأظن عمرا ذاهبا ، ومن قال : عبد الله ضربته نصب فقال : عبد الله أظنه ذاهبا .وتقول: أظن عمرا منطلقا وبكرا أظنه خارجا ، كما قلت : ضربت زيدا وعمرا كلمته ، وإن شئت رفعت على الرفع في هذا" . (٢)

وفي النص السابق سيبويه يرجح إعمال ظن وأخواتها ولكن ذلك يشترط بأن تنصدر ظن أو إحدى أخواتها الجملة ،ومن هنا فهو لا يجيز إلغائها إذا تلاها المفعولان .

ومعناه أن ظن إذا جاءت في موضعها الصحيح في أول الجملة وسبقت مفعولها ، فهي تقوم بعملها من رفع الاسم ونصب المفعولين .

وأما إذا توسطت هذه الأفعال (جاءت في وسط الجملة) فإن سيبويه يجيز إعمالها وإلغائها معا ،

(١)سورة النساء. الآية١٩ .

(٢) كتاب سيبويه. ١/١١٩.

قال: "فإن ألغيت قلت: عبد الله أظن ذاهب، وهذا إخال أخوك، وفيها أري أبوك، وكلما أردت الإلغاء فالتأخير أقوى، وكل عربي جيد." (١)

فهو يجيز الإعمال والإلغاء معا إذا توسطت هذه الأفعال بين معموليها، والدليل على ذلك قوله (وكل عربي جيد).

وقد أجاز سيبويه إعمال هذه الأفعال متأخرة أيضا، ولكنه يحكم على هذا التركيب بالضعف والقبح. قال: "وكلما طال الكلام ضعف التأخير إذا عملت، وذلك قولك: زيدا أذاك أظن، فهذا ضعيف كما يضعف زيدا قائما ضربت، لأن الحد أن يكون الفعل مبتدأ إذا عمل." (٢)

ويرجح الفراء إلغاءها إذا تأخرت، قال: "إذا توسطت أو تأخرت، جاز الإعمال مع التوسط، وينبغي إذا تأخرت أن تلغى، ولا يقدم على الإعمال إلا بسماع وإن كان القياس يقتضيه." (٣)

ويوافق أبو على الفارسي رأي سيبويه، فهو يخير بين الإعمال والإلغاء في حال توسطها أو تأخرها، يقول: "وإذا ابتدأت بهذه الأفعال، فقلت: ظننت زيدا منطلقا، عملتها في المفعولين، وإن وسطتها أو أخرتها كنت بالخيار في الإعمال والإلغاء، وذلك قولك: زيد ظننت منطلق وبكرا حسبت شاخصا، قال الشاعر:

أبالأراجيز يا بن اللؤم توعدني وفي الأراجيز خلت اللؤم

والخور. (٤)

وهنا جاء الفعل (خلت) متوسطا بين معموليه فيجوز فيه الإعمال والإلغاء معا على رأي سيبويه والفارسي.

(١) كتاب سيبويه. ١/١١٩.

(٢) السابق. ١/١٢٠.

(٣) انظر رأي الفراء في ارتشاف الضرب من لسان العرب. لأبي حيان الأندلسي. ص. ٢١٠٩.

(٤) الإيضاح. لأبي علي الفارسي. تحقيق: د. كاظم بحر المرجان. ص ١٣٠ و ١١٣١. والبيت ينسب للعين المنقري ، في كتاب سيبويه ص ١٢٠ ، وابن يعيش ٨٤، ٨٥/٧، والمفصل ٦١. وعجزه في الشواهد الكبرى (رأس اللؤم والفشل).

ولكن ابن الطراوة لم يرق له ما قاله سيبويه من جواز إعمال ظن وأخواتها متأخرة ، فقال : " ويتم الكلام من فعل واسمين ، ولا يكون من اسمين وفعل ، نحو : زيد عمرا قصد ، ولا عمرا زيد قصد ، وقد ألم سيبويه بشيء من هذا في قوله : زيدا منطلقا ظننت ، وهذا من الوهم الذي لا يخلو منه بشر ، وما كان من عند غير الله وجد فيه اختلاف كثير . " (١)

فابن الطراوة في هذا النص يرى أنه لا يجوز أن تعمل ظن وأخواتها إذا تأخرت ولم تأت في صدر الجملة ، وإذا حدث وتأخرت وسبقها أي من معموليها ، فيجب إلغاؤها ، حيث يرى ابن الطراوة أنه إذا تقدم أحد معمولين على عامله وكان منصوبا ، فإنه يكون منصوبا بالقصد إليه (٢) ، ففي نحو : زيدا ظننت قائما يرى أن الاسم المنصوب الذي تقدم إنما هو منصوب بالقصد إلى ذكره ، وإذا تقدم معمولين معا على الفعل ، فلا بد من رفعهما على الابتداء وإلغاء الفعل .

ومما يؤكد موقف ابن الطراوة أيضا من عدم جواز إعمال ظن وأخواتها متأخرة ، قوله في باب (ظننت) : " وأجاز في هذا الباب نصب الاسمين متقدمين اغترارا بجوازهما

مرفوعين ، وهذا مرفوع عنه لأن غيره قد ألم به ، وقد أشرنا إلى منعه فيما مضى .
" (٣)

ويلخص السيوطي الخلاف حول هذه المسألة في قوله : " أما إذا تصدر الفعل ، فلا يجوز فيه الإلغاء عند البصريين ، وجوزه الكوفيون والأخفش ، وأجاز ابن الطراوة إلا أن الأعمال عنده أحسن . " (٤)

(١) الإفصاح.ص ٦-٧.

(٢) هو عامل جديد أضافه ابن الطراوة إلى العوامل النحوية، وهو عامل معنوي كالابتداء، فالمنادى -مثلا- عنده منصوب بالقصد إلى ذكره، وما يراه النحويون مفعولا مقديا منصوبا على الاشتغال، هو عند ابن الطراوة منصوب بالقصد إلى ذكره وليس له علاقة بالعوامل بعده .

(٣) الإفصاح.ص ٥٧.

(٤) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. لأبي بكر السيوطي. ج.٢. ص.٢٢٩.

ولكن البصريين يرون أيضا أنه إذا ورد من كلام العرب ما يوهم إلغاءها متقدمة ، فإنهم في هذه الحالة يؤولون ذلك على إضمار ضمير الشأن ، وقد استدل البصريون على قولهم بقول الشاعر :

أرجو وأمل أن تدنو مودتها
وما إخال لدينا منك تنويل . (١)

(

فالتقدير هنا عند البصريين : (وما إخاله لدينا منك تنويل) ، فالهاء هنا ضمير الشأن وهي المفعول الأول ، وجاءت جملة (لدينا منك تنويل) فسدت مسد المفعول الثاني ، وهنا لا يجوز الإلغاء لأن الفعل قد عمل . كما يؤول البصريون ذلك أيضا على تقدير لام الابتداء ، ومثلوا له بقول الشاعر :

كذلك أدبت حتى صار من خلقي أني وجدت ملاك الشيمة

الأدب). (٢)

فالتقدير هنا عند البصريين فالتقدير هنا عند البصريين : (أني وجدت لملاك الشيمة الأدب).

أما الكوفيون فقد استدلوا على رأيهم من جواز إلغاء هذه الأفعال متقدمة بالبيتين السابقين ، ولكن بدون أي تأويلات ، فهم يرفعون كلا من (ملاك - الأدب) بإلغاء عمل الفعل (وجد) فيهما ، كما يرفعون كلا من (لدينا - تنويل) بإلغاء عمل (إخال) فيهما .

ثالثا: مسألة "بلى" لا تستعمل مكان "نعم"

ذكر سيبويه قائلا في باب (ما يجري عليه صفة ما كان من سببه) : " وإن زعم زاعم أنه يقول: مررت برجل مخالط بدنه داء ، ففرق بينه وبين المنون ، قيل له :

ألست تعلم أن الصفة إذا كانت للأول ، فالتنوين وغير التنوين سواء

(١) البيت من البسيط، وهو لكعب بن زهير، في ديوانه ص ٦٢، وفي التذييل والتكميل ٥٨/٦، والكتاب ١١٩/١.

(٢) هذا البيت مما اختاره أبو تمام في حماسته ونسبه إلى بعض الفزاريين ، وفي

التذييل ٥٨/٦، والخزانة ٣/٣١٨، وفي شرح ابن عقيل ٤٩/٢، والكتاب ١١٩/١.

، إذا أردت بإسقاط التنوين معنى التنوين ، نحو قولك : مررت برجل ملازم أبيك ، أو ملازمك ، فإنه لا يجد بدا من أن يقول : نعم ، وألا خالف جميع العرب والنحويين .

فإذا قال ذلك قلت : أفلمست تجعل هذا العمل إذا كان منونا وكان لشيء من سبب الأول أو التبس به ، بمنزلته إذا كان للأول ؟ فإنه قائل : نعم . " (١)

وفي هذا النص قد ذهب سيبويه مذهباً يختلف عما ذهب إليه النحويون وما قاله العرب ، فهو قد استعمل " نعم" في موضعين لا يصلح فيهما إلا " بلى " ، لأنه أجاب بـ"نعم" على سؤال منفي ، ولا يصلح للإجابة عن السؤال المنفي إلا بـ "بلى" إذا أردت التصديق على ما يقال . قال الدكتور عياد الثبتي: "وفي هذا النص استعمل سيبويه "نعم" مكان "بلى" في موضعين ."

ولكن سيبويه نجده في موضع آخر من كتابه يصرح برأي يناقض هذا الرأي تماماً ، قال في باب (الإشباع في الجر والرفع) : " وأما "بلى" فتوجب به بعد النفي ، وأما "نعم" فعدة وتصديق ، تقول : قد كان كذا ، فيقول: نعم ، وليسا اسمين ،...، فإذا استقهمت فقلت: أتفعل؟ أجبت بنعم ، فإذا قلت : أأنت تفعل؟ قال: بلى ، يجريان مجراهما قبل أن تجيء الألف . " (٢)

وقد فسر النحويون عبارة سيبويه (وأما "نعم" فعدة وتصديق) بأنها "إن كان قبلها طلب ، فهي عدة لا غير ، وإن كان قبلها خبر ، فهي تصديق لا غير . " (٣)
وهنا نجد سيبويه قد رجع لما أقر به النحاة وما اتفقوا عليه من الخلاف بين استعمال "بلى" واستعمال "نعم"
وفرق بين استعمال "بلى" واستعمال "نعم" .

(١) الكتاب ٢/٩ و ٢٠٠.

(٢) السابق ٤/٢٣٤.

(٣) الجنى الداني في حروف المعاني. للمراي المالكي. ١/٥٠٦.

ولكن لم يرتض ابن الطراوة ما قاله سيبويه ، ولم يعجبه خلطه بين موضع "بلى" وموضع "نعم" ، قال أبو حيان في تذكرته بعد أن نقل كلام سيبويه : " قد لحن ابن

الطراوة سيبويه في استعماله نعم في هذين الموضعين ، وقال :إنما هو موضع "بلى"
لا موضع "نعم" . " (١)

فابن الطراوة في هذه المسألة يتفق مع رأي الجمهور وأغلب النحويين ويختلف مع
سيبويه ، ويؤكد أن "بلى" تستعمل في مواضع لا يصح فيها استعمال "نعم" .

وقد اتفق الفراء مع رأي الجمهور وابن الطراوة في عدم جواز الخلط بين
"بلى" و"نعم" قائلا: " وإنما امتنعوا أن يقولوا في جواب الجحد "نعم" ، لأنه إذا قال
الرجل : ما لك علي شيء ، قلو قال الآخر : نعم كان قد صدقه ، كأنه قال :نعم
ليس لي عليك شيء ، وإذا قال :بلى ،فإنما هو رد لكلام صاحبه، أي: بلى لي عليك
شيء ، فهذا اختلف بلى ونعم . " (٢)

وعلى الفراء ارتباط "بلى" بالنفي قائلا : " وإنما صارت "بلى" تتصل بالجحد، لأنها
رجوع عن الجحد إلى التحقيق ، فهي بمنزلة "بل" ، و"بل" سبيلها أن تأتي بعد جحد .
" (٣)

ولكن ما ذكره الفراء من أن "بلى" تكون بمنزلة "بل" العاطفة قد رد بأن " بلى" حرف
للجواب أصلي الألف ، وليس أصلها "بل" العاطفة . " (٤)

(١)خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب.للبيدادي.١١/٢٠٢،ومغني اللبيب عن كتب
الأعاريب.لابن هشام ص ٤٥٣.

(٢)الفروق اللغوية.للعسكري.ج ١.ص ٦٦،٦٧.

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس.٢/٥٠.

(٤) همع الهوامع.السيوطي.٢/.

الله عليه وسلم- أنه قال للمهاجرين: " أستم تعرفون لهم ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال: فإن ذلك ،أي فإن ذلك شكر لهم." (١)

وهنا ذكرت "نعم" في موضع لا يصح فيه إلا الإجابة بـ "بلى" وهو الإجابة عن السؤال المنفي .ومنه أيضا قول النبي -صلى الله عليه وسلم- : " أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟(٢) قالوا: بلى .ووقعت "بلى" هنا جوابا لاستفهام مثبت ، وهذا موضع "نعم" .

ومما ورد من ذلك في الشعر قول جحدر :

أليس الليل يجمع أم عمرو وإيانا فذاك بنا تداني

نعم، وترى الهلال كما أراه ويعلوها النهار كما علاني. (٣)

وهنا جاءت "نعم" جوابا لاستفهام منفي ، وكان لا بد هنا منا لإجابة بـ "بلى" ، لأن السؤال هنا جاء منفيًا.

ولكن النحاة حينما يطرأ شيء جديد على قواعدهم التي درجوا عليها ، فإنهم يحاولون تأويل هذا الأمر الجديد ، وما يكشف عنه ، فقد ذكر السهيلي في توجيه البيت السابق أن قوله "نعم" ليس جوابا للتقرير ، وإنما هو جواب لقوله : " فذاك بنا تدان" (٤)

وقال أبو حيان : " والأولى عندي أن يكون جوابا لقوله " فذاك بنا تدان" لأنها جملة خبرية ، ولا تحتاج إلى شيء من هذه التكلفات ."(٥)

(١) الحديث في أمالي السهيلي ص ٤٦، وشرح الجمل لابن عصفورل ٢٢٢، ومغني اللبيب ص ٤٥٣.

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب الدعوات باب (كيف الحشر)، ومسلم في الإيمان باب (كون هذه الأمة نصف أهل الجنة) رقم ٧٧٣، وأحمد في المسند ١/٣٨٦.

(٣) البيتان من الوافر، وهما لجحدر بن مالك في أمالي القالي ١/٨٢٢، والجنى الداني ص ٤٣٢، ٤٢٢، والخزانة ١١/٢٠١، ٢٠٢، ١٠٤، وشواهد المغني ١/٤٠٨..

(٤) أمالي السهيلي. لأبي القاسم السهيلي. ت: د. محمد إبراهيم البنا. ص ٤٧.

(٥) التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل. لأبي حيان. ٥/١٩٦.

ولهذا السبب علق السيوطي على الأمثلة السابقة قائلاً: " هو إما قليل ، أو

من تغيير الرواة." (١)

والرأي الراجح في نظري هو رأي الجمهور وابن الطراوة ، الذي مفاده أن كلا من "بلى" و"نعم" له استعماله المستقل عن الآخر . والدليل على ذلك قول الله -عز وجل

أليس هذا بالحق؟ قالوا: بلى" (٢)

، وقوله -جل شأنه- " أيعسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بلى" (٣) ،

وقوله أيضا " ألم يأتكم نذير؟ قالوا بلى " (٤) وقوله سبحانه " ألسنت بربكم؟ قالوا بلى

" (٥) . وقد علق ابن عباس على هذه الآية قائلاً: " لو قالوا : نعم كفروا . " (٦)

وهذا أوضح وأسلم دليل على أن " بلى" لا يجاب بها إلا عن السؤال المنفي ، إذا

أردنا التقرير . ومما جاء في " نعم" قوله تعالى " فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ قالوا

نعم " (٧) وهنا أجيب ب" نعم" لأن السؤال جاء مثبتا لا نفي فيه ، وهو الصحيح .

وما ورد خلاف ذلك ، فهو كما قال السيوطي من القلة بحيث لا يجوز استغاسته

والقياس عليه .

- (١) همع الهوامع. السيوطي. ٥٩٢/٢.
- (٢) سورة الأنعام. الآية ٣٠. وسورة الأحقاف. الآية ٣٤.
- (٣) سورة القيامة. الآية ٣-٤.
- (٤) سورة الملك. الآية ٨-٩.
- (٥) سورة. الأعراف الآية ١٧٢ .
- (٦) همع الهوامع. ٥٩٢/٢. وقواعد اللغة العربية (الكفاف) ٢٦١/١.
- (٧) سورة الأعراف. الآية ٤٤ .

الخاتمة

هذا البحث كما يتضح من عنوانه (مسائل خلافية بين ابن الطراوة والنحويين) يهدف إلى محاولة جمع آراء ابن الطراوة في المسائل النحوية والصرفية التي خالف فيها كثيرا من النحويين وذكر ما استند إليه ابن الطراوة من دلائل وشواهد في هذه المسائل، ودراستها دراسة وافية، مع عرض آراء هؤلاء النحويين آخرين ومحاولة ترجيح أي من هذه الآراء. ومن النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث :

أولاً : أن ابن الطراوة هو أبو الحسين سليمان بن محمد على الراجح .
ثانياً : أن ابن الطراوة أحد لأبرز النحاة الذين عرفتهم الأندلس، وهو تلميذ الأعمى الشنتمري .

ثالثاً : أنه أديب بارع بالإضافة إلى أنه شاعر مبدع وله شعر كثير .
رابعاً : أنه من النحويين القلائل الذين يمتلكون الجرأة في عرض الآراء، وإيضاح الدلائل عليها .

خامساً : أنه أضاف عاملاً جديداً إلى عوامل النحو، ألا وهو (القصد إليه) وهو ما لم يسبقه إليه غيره من النحويين. سادساً : أن ابن الطراوة لم يكن من النحويين المقلدين

لمن سبقهم ، ولم يكتف بما ورد عن العرب من ميراث واسع ، بل أنه كان يمتاز بشخصية مستقلة جعلته يدرس هذا التراث جيدا ويعترض عليه.

سابعاً : بالنسبة لمسألة(خبر المبتدأ بعد "لولا" الامتناعية) ، فالراجح لدى الجمهور وأغلب النحاة: أنه محذوف وجوباً، لأنه كون عام، ورجح ابنم الطراوة أن يكون خبره هو الجواب، ولكن النحاة ضعفوه.

ثامناً : بالنسبة لمسألة(استعمال"بلى" مكان"نعم") فالراجح لدى النحويين أنه لا يجوز الخط بينهما، ووافقهم ابن الطراوة على ذلك .

تاسعاً : بالنسبة لمسألة(إعمال ظن وأخواتها متأخرة)فسيبويه قد أجاز إعمالها متوسطة ومتأخرة، ولكن ابن الطراوة لم يوافق على ذلك .

أوضح المسالك الى الفيه ابن مالك . لابن هشام

ألفيه ابن مالك . مكتبه الاداب

ارتشاف الضرب من لسان العرب . لأبى حيان الأندلسى

الإيضاح لآبى على الفارسى .ت.د/ كاظم بحر المرجان

أمالى السهلى لآبى القاسم السهلى .ت.د/ محمد إبراهيم البنا

الإفصاح ببعض ماجاء من الخطا فى كتاب الإيضاح لابن الطراوة

أبو الحسين بن الطراوة وآرؤه فى النحو والصرف د/ مزيد روفائيل مرجان

التذيل والتكميل فى شرح كتاب التسهيل . لآبى حيان

تصحيح الفصيح وشرحه . لابن درستويه

الجنى الدانى فى حروف المعانى . للمرادى المالكى

- خزانه الأدب ولب لباب لسان العرب . للبيغدادى
- شرح التسهيل لابن مالك تحقيق د / عبد الرحمن السيد . مكتبه الأنجلو المصرى
- شرح التصريح على التوضيح . لخالد الأزهرى
- ابن الطراوة النحوى تحقيق ودراسة د/ عياد الثببتى
- الفروق اللغويه . للعسكرى
- قواعد اللغة العربيه (الكفاف)
- الكتاب لسبويه . تحقيق . عبد السلام هارون
- اللباب فى علل البناء والإعراب لأبى البقاء العكبرى
- مغنى اللبيب عن كتب الأعراب . لابن هشام
- مختار الصحاح . لأبى بكر الرازى
- همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع . للسيوطى

الفعلُ بين التذكيرِ والتأنيثِ في القرآنِ الكريمِ عند النُّحاةِ والمُفسِّرينَ ومُعربي القرآنِ دراسةٌ وصفيةٌ تحليليةٌ

إعداد الدكتور

عزّت توفيق مصطفى الجريتلي

أستاذ النُّحو والصَّرْف المساعد

ورئيس قسم اللُّغة العربيَّة في كليَّة الآداب

جامعة الفيوم

يناير ٢٠١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ وَاتَّبَعَ سُنَّتَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَمَّا بَعْدُ.

- مشكلة البحث:

فقد أورد القرآن الكريم بعض الآيات القرآنية مرةً بتذكير الفعلٍ وأخرى بتأنيثه مثل: الفعل (جاء) فقد ورد بالتذكير في بعض الآيات القرآنية وفاعله كلمة (البيئات) كما في قوله تعالى:

- [وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ] [آل عمران: ٨٦]، وقوله تعالى: [مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ] [آل عمران: ١٠٥]، وقوله تعالى: [عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ] [طه: ٧٢]، [لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ] [غافر: ٦٦]. وقد ورد الفعل (جاء) بالتأنيث وفاعله (البيئات) أيضاً في مواطن منها قوله تعالى: [مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ] [البقرة: ٢٠٩]، وقوله [مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ] [البقرة: ٢١٣]، وقوله [مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ] [البقرة: ٢٥٣]، وقوله [مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ] [النساء: ١٥٣].

- كما ورد نفس الفعل (جاء) وفاعله كلمة (بيئة) مرةً بالتذكير وهي قوله تعالى [فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ] [الأنعام: ١٥٧]. وورد في موضعين بالتأنيث وهما قوله تعالى: [جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ] [الأعراف: ٧٣]، وقوله [فَقَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ] [الأعراف: ٨٥].

وورد الفعل (جاء) وفاعله كلمة (موعظة) مرةً بالتذكير وهي قوله تعالى [فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ] [البقرة: ٢٧٥]، ومرةً بالتأنيث وهي قوله [فَقَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ] [يونس: ٥٧].

وكذلك ورد الفعل (كذَّب) وفاعله كلمة (قوم) وهي اسم جمع، في أغلب المواطن القرآنية بالتأنيث، حيث قال تعالى: [كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ] [الحج: ٤٢]، وقوله [كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ] [الشعراء: ١٠٥]، وقوله [كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ]

{الشعراء: ١٦٠}، وقوله [كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمَ نُوحٍ] {ص: ١٢}، وقوله [كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمَ نُوحٍ] {غافر: ٥}، وقوله [كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمَ نُوحٍ] {ق: ١٢}، [كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمَ نُوحٍ] {القمر: ٩}، وقوله [كَذَّبَتْ قَوْمَ لُوطٍ بِالَّذِينَ] {القمر: ٣٣}. وورد نفس الفعل (جاء) وفاعله كلمة (قوم) بالتذكير في موطن واحد، وهو قوله تعالى [وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَنْ أَنصُرَ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ] {الأنعام: ٦٦}. وخص بكلمة (قوم) الرجال في قوله تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ] بديل قوله تعالى في نفس الآية (وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ) {الحجرات: ١١}.

وكذلك ورد الفعل (وكذب) مبنياً للمجهول مرةً بالتذكير، ومعه كلمة (رسل) نائب فاعل، وهي قوله تعالى [فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ] {آل عمران: ١٨٤}، ومرةً بتأنيث الفعل مع بنائه للمجهول أيضاً في قوله تعالى [وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ] {الأنعام: ٣٤}، وقوله [وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ] {فاطر: ٤}.

وجاءت كلمة (رسل) فاعلاً وفعلها مؤنثاً في قوله تعالى [لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ] {الأعراف: ٤٣}، وقوله [قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ] {الأعراف: ٥٣}. ووردت كلمة (رسل) فاعلاً وفعلها مذكراً في عدّة مواضع منها قوله تعالى [قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ] {آل عمران: ١٨٣}، و[أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ] {الأنعام: ١٢٤}، و[أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ] {الأنعام: ١٣٠}، و[إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ] {الأعراف: ٣٥}، و[أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ] {الزمر: ٧١}.

ووردت كلمة (الرسل) فاعلاً وفعلها جاء مؤنثاً في عدّة مواطن منها قوله تعالى [قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ] {آل عمران: ١٤٤}، و[قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ] {المائدة: ٧٥}، و[إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ] {فصلت: ١٤}، و[وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتَتْ] {المرسلات: ١١}، وقال

{تِلْكَ الرُّسُلُ} [البقرة: ٢٥٣]، وورد الفعل معها مُذَكَّرًا في عدّة أماكن منها {حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ} {يوسف: ١١٠}، و {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ} {المؤمنون: ٥١}. وكلمة (طائفة) جاء الفعل معها مرّة مُذَكَّرًا وهي قوله تعالى {الرَّانِيَةُ وَالرَّانِي... وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} {النور: ٢}. وفي بقية المواطن جاء الفعل معها مؤنثًا، وهي قوله تعالى: {يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ} {القصص: ٤}، وقوله {وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ} {الأحزاب: ١٣}، وقوله {فَأَمَنْتُ طَائِفَةٌ} {الصف: ١٤}

وكلمة (آية) وردت فاعلاً، ونائباً للفاعلِ وفعلها ورد مُذَكَّرًا في عدّة مواطن هي قوله تعالى {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ} {آل عمران: ١٣}، و {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ} {الأنعام: ٣٧}، و {وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ} {يونس: ٢٠}، و {لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ} [الرعد: ٢٧]، و {أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ} {الشعراء: ١٩٧}، و {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ} [سبأ: ١٥].

ووردت كلمة (آية) فاعلاً وورد فعلها مؤنثًا في عدّة أماكن منها قوله تعالى {أَوْ تَأْتِيَنَا آيَةٌ} [البقرة: ١١٨]، و {جَاءَتْهُمْ آيَةٌ} [الأنعام: ١٠٩]، و {وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ} [الأنعام: ١٢٤].

ووردت كلمة (شفاعة) نائباً للفاعلِ وفعلها مُذَكَّرًا في قوله تعالى {وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ} [البقرة: ٤٨]. ووردت فاعلاً وفعلها مُذَكَّرًا كما في قوله تعالى {وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ} [البقرة: ١٢٣]، و {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} [المدثر: ٤٨].

وكذلك وردت كلمة (نسوة) فاعلاً وورد فعلها مُذَكَّرًا في قوله تعالى {وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ} [يوسف: ٣٠]. ووردت كلمة (الرُّوم) نائباً للفاعلِ وفعلها ورد مؤنثًا في قوله تعالى {غُلِبَتِ الرُّومُ} [الرُّوم: ٢]. ووردت كلمة (المؤمنات) فاعلاً وورد فعلها مُذَكَّرًا في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ}

{الممتحنة: ١٠}، و قوله [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] {الممتحنة: ١٢}

كلُّ هذه الآيات وغيرها يعرضُ لها البحثُ بالتفصيلِ في الجانبِ التطبيقي من البحثِ في الفصلِ الثالثِ. ويبين أسبابَ مجيء الفعلِ مرَّةً بالتذكيرِ وأخرى بالتأنيثِ وأقوال النُّحاةِ والمفسِّرينِ ومعربي القرآن في هذه المسائل.

وقد عرضَ العلماءُ لهذه الظاهرة بالدرسِ في أماكنٍ متفرقةٍ في مؤلفاتهم اللغوية والبلاغية والتفسيرية. وهذا البحثُ يستعرضُ هذه الجهودَ العلميةَ بُغيةَ الوصولِ إلى الرأْيِ الصَّوابِ أو الرأْيِ الرَّاجِحِ، واستخلاصاً للقاعدة التي سارَ عليها القرآنُ الكريمُ في التعبيرِ القرآنيِّ من أجلِ التَّعرُّفِ على المعنى الصَّحيحِ في تفسيرِ الآيةِ القرآنيَّةِ.

- عنوان البحث:

ومن هنا جاء البحثُ موسوماً بعنوانه وهو: (الفعلُ بينَ التَّذكيرِ والتَّأنيثِ في القرآنِ الكريمِ عند النُّحاةِ والمفسِّرينِ ومعربي القرآنِ دراسةً وصفيةً تحليليةً).

- أهداف البحث:

يسعى البحثُ إلى تحقيقِ مجموعة من الأهدافِ على النحو التالي:
أولاً: التَّعرُّفُ على حدِّ المُذَكَّرِ وحدِّ المَوْثُثِ عند النُّحاةِ. وبيان أقسامهما من حيث الحقيقة والمجاز.

ثانياً: بيان حالات تذكير الفعل وتأنيثه مع فاعله عند النُّحاةِ وجوباً وجوازاً.

ثالثاً: بيان دور القراءات القرآنيَّةِ في توجيه الدلالة للفعل تذكيراً وتأنيثاً.

رابعاً: بيان منهج العرب وسننهم في المسائل الآتية:

أ - مسألة الحملِ على اللفظِ والحملِ على المعنى عند تذكير الفعل وتأنيثه

ب - مسألة تغليب المذكَر على المؤنَّث إذا اجتمعا.

ج - مسألة تذكير الفعل وتأنيثه عندما يكون فاعله جمعاً.

خامساً: بيان موقف العلم الحديث و إعجاز القرآن الكريم في تذكير الفعل وتأنيثه.

الدِّراسات السَّابِقة:

لم تُفرد لدراسة تذكير الفعلِ وتأنيثه في القرآنِ الكريمِ عند النُّحاةِ والمُفسِّرينِ ومُعربي القرآنِ دراسةً خاصَّةً، في أيِّ من الدِّراسات السَّابِقة أو القائمة، وإنَّما هُنَاكَ دراسات خاصَّة بالفعل من حيثُ اللزوم والتَّعدي، ومن حيث التَّمَامِ والتَّقْصَانِ، ومن حيث البناء للمعلوم والبناء للمجهول... إلخ.

- مادَّة البحث ومصادره:

يرجعُ هذا البحثُ في مادتهِ الأساسِيَّةِ إلى القرآنِ الكريمِ، كما يرجعُ في مصادره إلى مجموعة من المصادر النَّحْوِيَّةِ، والتَّفْسِيرِيَّةِ، وكتب معاني القرآن وإعرابه ومشكله، وكتب التَّذْكِيرِ والتَّأْنِيثِ، وكتب القراءات القرآنيَّةِ، على النَّحو الآتي:

أ - المصادر النَّحْوِيَّة:

يرجعُ البحثُ في مصادره الأساسِيَّةِ إلى المصادرِ العامَّةِ التي توضِّحُ مدارس النَّحوِ المُختلفةِ، وأهمُّ هذه المصادر: (الكتابُ) لسيبويه، و (المُقْتَضِب) للمبرِّد، و (الأصول في النَّحو) لابن السَّرَّاج، و (الجُمْل في النَّحو) للزَّجَاجي، و (المفصَّل) للزَّمخشَري، و (أسرار العربيَّة) لابن الأنباري، و (شرح المفصَّل) لابن يعيش، و (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) لابن مالك، و (ارتشاف الضَّرْب من لسان العرب) لأبي حَيَّان الأندلسي، و (همع الهوامع) للسيوطي، و (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)

لابن عقيل، و (مغني اللبيب) لابن هشام الأنصاري، وغيرها من أمثال تلك الكتب الأمهات في مدارس النحو المختلفة.

ب - المصادر التفسيرية:

- جامع البيان في تأويل آي القرآن: لمحمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة (٣١٠ هـ).

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة (٥٢٧ هـ).

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد محمد بن عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المتوفى سنة (٥٤٣ هـ).

- زاد المسير في علم التفسير: لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المتوفى سنة (٥٩٧ هـ).

- مفاتيح الغيب: لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي، المتوفى سنة (٦٠٦ هـ).

- البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، المتوفى سنة (٧٥٤ هـ).

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمن الحلبي، المتوفى سنة (٧٥٦ هـ).

ج - كتب معاني القرآن وإعرابه ومشكله وغريبه:

- معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، المتوفى سنة (٢٠٧ هـ).

- معاني القرآن: لسعيد بن مسعدة، المعروف بالأخفش الأوسط، المتوفى سنة (٢١٥ هـ).

- إعراب القرآن: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النَّحَّاس، المتوفى سنة (٣٣٨ هـ).
- التَّبَيَان في إعراب القرآن: لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَرِي، المتوفى سنة (٦١٦ هـ).
- مُشْكَل إعراب القرآن: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، المتوفى سنة (٤٣٧ هـ).
- البيان في غريب إعراب القرآن: لأبي البركات بن الأنباري، المتوفى سنة (٥٧٧ هـ).

د - كتب التذكير والتأنيث:

- المذكَر والمؤنَّث: للمبرِّد محمد بن يزيد.
- المذكَر والمؤنَّث: لأبي بكر بن الأنباري، المتوفى سنة (٣٢٨ هـ).
- المذكَر والمؤنَّث: لأبي الحسين سعيد بن إبراهيم التُّسْتَرِي الكاتب، المتوفى سنة (٣٦١ هـ).
- البُلْغَة في الفرق بين المذكَر والمؤنَّث: لأبي البركات بن الأنباري، المتوفى سنة (٥٧٧ هـ).
- المعجم المفصَّل في المذكَر والمؤنَّث: للدكتور: إميل بديع يعقوب.

هـ - كتب القراءات:

- الحَجَّة للقراء السَّبْعَة: أئمة الأمصار والعراق والشَّام الَّذِينَ ذكروهم أبو بكر بن مجاهد: لأبي علي بن أحمد بن عبد الغفَّار الفارسي (٢٨٨ - ٣٧٧ هـ).
- الكشف عن وجوه القراءات السَّبْع وعلاها وحججها: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي.

- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٤ هـ).

- فصول البحث:

يتكون هذا البحث من مُقدِّمة، وثلاثة فصول، وخاتمة مُوزعة على النحو التالي: المُقدِّمة: تحدّث فيها عن مُشكلة البحث وأهميته، وأهدافه، الدِّراسات السابقة فيه، ومادّة البحث ومصادره، وفصوله، ومنهجه... إلخ.

الفصل الأوّل: وعنوانه: تعريف المُذكّر والمؤنّث، وأقسامهما. ويشملُ مبحثين: المبحث الأوّل: تعريف المُذكّر وأقسامه.

المبحث الثاني: تعريف المؤنّث وأقسامه.

الفصل الثاني: وعنوانه: تأنيث الفعل للفاعل المؤنّث. ويشملُ مبحثين:

المبحث الأوّل: تأنيث الفعل للفاعل المؤنّث وجوباً.

المبحث الثاني: تأنيث الفعل للفاعل المؤنّث جوازاً.

الفصل الثالث: وعنوانه: الفعل بين التذكير والتأنيث في القرآن الكريم.

الخاتمة: وتشتمل على النتائج التي حقّقها البحث.

- منهج البحث وإجراءاته:

يوظفُ البحث - تحقيقاً لأهدافه - المنهج الوصفيّ التحليليّ الذي يصلُ إلى المستوى الدلاليّ حتّى لا يتحوّل إلى وصفٍ شكليّ لا يكشفُ عن الوظائف الدلاليّة المختلفة للفعل في القرآن الكريم تذكيراً وتأييماً، ويوظفُ البحثُ منهجه عبر مجموعة من الإجراءات تتلخّص في الآتي.

١ - تعريف المُذكّر والمؤنّث وبيان أقسامهما عند النُحاة حقيقةً ومجازاً.

٢ - تأنيث الفعل للفاعل المؤنّث وجوباً وجوازاً.

- ٣ - اختيار نماذج تطبيقية من آيات القرآن الكريم جاء فيها الفعل مرةً بالتذكير وأخرى بالتأنيث.
- ٤ - استقراء آراء النحاة والمفسرين ومعربي القرآن حول مسألة تذكير الفعل وتأنيثه في الآيات المختارة.
- ٥ - بيان دور القراءات القرآنية في توجيه دلالة الفعل تذكيراً وتأنيثاً في بعض الآيات المختارة.
- ٦ - بيان المعاني الدلالية للفعل عند تذكير الفعل وتأنيثه.
- ٧ - بيان دو العلم الحديث ومدى اتفاه مع الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في بعض الآيات القرآنية مثل مسألة تأنيث الفعل في قوله تعالى [مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ] {العنكبوت: ٤١}، حيثُ أثبت العلم الحديث أن أنثى العنكبوت هي المسئولة عن بناء البيت، وهو ما يتفق مع مجيء الفعل مؤنثاً (اتَّخَذَتْ). وسوف يُعرض لهذه المسألة بالتفصيل في موطنها من البحث.
- ٨ - الاستعانة بمجموعة من المصادر النحوية التي تنتمي إلى مدارس النحو المختلفة حتى تمثل المواقف المختلفة للنحاة وتوجهاتهم وما بينهم من اتفاق أو اختلاف. وكذا المصادر التفسيرية، والبلاغية، وكتب إعراب القرآن، ومعانيه، ومشكله، وغريبه، وكتب القراءات القرآنية، كما هو موضح في مادة البحث ومصادره. وهناك ثبت بهذه المصادر في نهاية البحث.
- هذا وهدفي في نهاية الأمر أن أرفد المكتبة الإسلامية بهذا البحث، عسى أن يكون به إسهام بسيط في نشر علوم الدين الإسلامي الحنيف، وعملاً بقول الرسول صلى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً "، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ... " وَعَدَّ مِنْهَا " عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ".

جزى الله خيراً من نظر في بحثي هذا فدلّني على ثغرة خفيت عليّ، أو رأيي فيما قلت غير الذي رأيت، فأهداه إليّ. اللهم اجعلنا من عبادك الذين يبلغون رسالاتك ولا يخشون أحداً سواك. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

العبدُ الفقيرُ إلى عفو ربّه

عزّت توفيق مصطفى الجريتلي

الفصل الأوّل

تعريف المذكر والمؤنث

تمهيد:

حظيت بعض الموضوعات النحويّة بعناية فائقة من علماء اللّغة، فأفردوها بالتأليف في كتبٍ مُستقلّةٍ مثل: المقصور، والممدود، والهمز، والمصادر، وفعل وأفعل. وكان من بين هذه الموضوعات " المذكر والمؤنث ". قال أبو بكر بن الأنباري في صدر كتابه: " اعلم أنّ من تمام معرفة النحو والإعراب معرفة المذكر والمؤنث: لأنّ من

ذَكَرَ مؤنَّثاً، أو أَنْتَ مُذَكَّرًا، كَانَ العَيْبُ لازماً لَهُ كَلزومه مَنْ نَصَبَ مرفوعاً، أو حَقَصَ منصوباً...^(١)

وبيَّن أقسام الأسماء المؤنَّثة وأنها تنقسم على أربعة أقسام، حيثُ قال في باب (تفصيل الأسماء والنُّعوتِ المؤنَّثة ويذكر ما يجري منها وما لا يجري): " اعلم أنَّ الأسماء المؤنَّثة تنقسم على أربعة أقسام:

أحدهنَّ: أن يكونَ الاسمُ المؤنَّثُ فيه علامةً فاصلةً بينه وبينَ المُذَكَّرِ كقولك: خديجة وفاطمة وأمامة ولىلى وسُعدى وعَفراء. الهاء، والياء، والمدُّ فواصلُ المُذَكَّرِ والمؤنَّثِ. **القسمُ الثَّاني:** أن يكونَ الاسمُ مُستغنىً بقيامِ معنى التَّأنيثِ فيه عن العلامةِ كقولك: زينب ونوار وهند ودَعْدُ وفَجْدُ وما أشبه ذلك. معنى التَّأنيثِ قائمٌ فيهنَّ، ولا علامةٌ للتَّأنيثِ في لفظهن.

والقسمُ الثَّالثُ: أن يكونَ الاسمُ المؤنَّثُ مُخالفاً لفظه لفظَ ذَكَرِه، مصوغاً للتَّأنيثِ، فيصيرُ تَأنيثُه معروفاً؛ لمخالفته لفظَ ذَكَرِه مُستغنىً فيه عن العلامةِ؛ كقولهم: جَدِي وَعِناقُ وَحَمَلُ وَرَحْلُ، وَحمارُ وَأتانُ، فَصارَ هذا المؤنَّثُ لمخالفته المُذَكَّرَ معروفاً يُغني عن العلامةِ، كقولهم: جَدِي وَعِناقُ، وَحَمَلُ وَرَحْلُ، وَحمارُ وَأتانُ، فَصارَ هذا المؤنَّثُ لمخالفته المُذَكَّرَ معروفاً يُغني عن العلامةِ وَربَّما مالوا إلى الاستيثاقِ، وإزالةِ الشَّكِّ عن السَّامِعِ، فأدخلوا الهاءَ في المؤنَّثِ الَّذِي لفظُه مُخالِفٌ لفظَ ذَكَرِه. فَمِنَ ذلك قولهم: شَيْخَةٌ، وَعجوزَةٌ. أدخلوا الهاءَ على جهةِ الاستيثاقِ. والأكثرُ في كلامهم عجزُ بغيرِ هاءٍ، لخلافِ لفظِ الأنثى لفظَ الذَّكَرِ... ومثُلُ هذا قولهم: رَجُلٌ وامرأةٌ. أدخلوا الهاءَ في

(١) المُذَكَّرُ والمؤنَّثُ: ١ - ٥٠. لأبي بكر بن الأنباري تحقيق محمَّد عبد الخالق عضيمة، طبعة

المجلس الأعلى للشئون الإسلاميَّة لجنة إحياء التراث بجمهورية مصر العربيَّة ١٤٠١ هـ

١٩٨١ م.

امرأة مع أن لفظها مُخالِفَ لفظِ ذَكَرِها؛ لأنَّ ذَكَرَها رَجُلٌ، ويجوزُ أن تكونَ المرأةُ أنثى المرءِ، فتكونُ حينئذٍ مبنيةً على لفظِ ذَكَرِها. ومن ذلك أيضاً قولهم: غُلامٌ وجاريةٌ. أدخلوا الهاءَ في الجاريةِ على جهةِ الاستيثاقِ؛ إذ كانَ لفظُها مُخالِفاً لفظِ ذَكَرِها. ومن ذلك أيضاً قولهم: تَيْسٌ وَنَعْجَةٌ، وَوَعِلٌ وَأُرْوِيَّةٌ وَالْوَعِلُ: تَيْسُ الْجَبَلِ، وَالْأُرْوِيَّةُ: شَاةُ الْجَبَلِ. قالَ الأعشى:

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيُوهِئَهَا * * فَلَمْ يَصِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلُ (١)

وقالوا: تَيْسٌ وَنَعْجٌ، فلزموا القياسَ، ولم يحتاجوا إلى الهاءِ؛ إذ كانَ لفظُ الأنثى مُخالِفاً لفظِ الذَّكَرِ؛ ولذلك قالوا: فَرَسٌ ذَكَرٌ، وقالوا للأنثى: حِجْرٌ، فلم يحتاجوا إلى الهاءِ للعلَّةِ التي تقدَّمت، وقالوا: جَمَلٌ وَنَاقَةٌ، فأدخلوا الهاءَ في النَّاقَةِ على جهةِ الاستيثاقِ؛ لأنَّ لفظَ الأنثى مُخالِفٌ لفظِ الذَّكَرِ، ورُبَّما بنوا الأنثى على لفظِ الذَّكَرِ في هؤلاءِ الأحرفِ، فقالوا شَيْخٌ وَشَيْخَةٌ، وَغُلامٌ وَغُلامَةٌ، وَرَجُلٌ وَرَجَلَةٌ.

قالَ الفراءُ: قالَ بعضهم: كانتُ عائشةُ - رضي اللهُ عنها - رَجُلَةً الرَّأْيِ، وأنشَدَ الفراءُ وغيره:

وَتَضَحَّكَ مِنِّي شَيْخَةٌ عِبْشَمِيَّةٌ * * كَأَنَّ لَمْ تَرَ قَبْلِي أُسَيْراً يَمَانِيًّا (٢)

عِبْشَمِيَّةٌ: منسوبةٌ إلى عبدِ شمس...

القسمُ الرَّابِعُ: أن يكونَ الاسمُ الَّذِي فِيهِ علامةُ التَّأْنِيثِ واقِعاً على المذَكَّرِ والمؤنَّثِ، كنعامةٍ للذَّكَرِ والأنثى، وكذلك بقرةٌ وجرادةٌ. قالَ الفراءُ: لم تُردِّ بالهاءِ هُنا التَّأْنِيثُ

(١) من قصيدته المشهور: ودع هريرة إنَّ الرُّكْبَ مُرتحلَ الدِّيوَانِ ص ٥٥ - ٦٣، ويستشهدُ بالبيتِ

النَّحويون على عمل اسم الفاعل النَّصَبِ لاعتماده على موصوفٍ محذوفٍ.

(٢) في شرح المفضَّلِيَّاتِ لِلأنباري ص ٣١١ " ويُروى كأن لم تَرَ قَبْلِي أُسَيْراً... قالَ الفراءُ: أبقى

من الهمزة خلفاً، والرِّوَايَةُ هي الأولى "

المحض، إنَّما أرادوا الواحدَ، فكُرهوا أن يقولوا: عندي شاء، وبقَر، وجرادٌ، وهم يريدون الواحدَ، فلا يقعُ بينَ الواحدِ والجميعِ فصلٌ، فجُعِلتِ الهاءُ دليلاً على الواحدِ. وقد يكونُ الاسمُ واقِعاً على المُذكَّرِ والمؤنَّثِ ولا علامةٌ للتأنيثِ فيه، كقولهم: عَقِبْتُ دَكْرًا، وَعَقِبْتُ أَنْثَى، ويُقالُ: رأيتُ عَقِيباً على عَقِبٍ... " (١)

وقد أثار سعيدُ بن إبراهيم التستري الكاتب الشُّكوكَ حولَ العلاماتِ القياسيةِ التي تُميِّزُ المُذكَّرَ من المؤنَّثِ فقال: " ليسَ يجري أمرُ المُذكَّرِ والمؤنَّثِ على قياسِ مُطرِدٍ ولا لهما بابٌ يحصرُهما، كما يدَّعي بعضُ النَّاسِ؛ لأنَّهم قالوا إنَّ علاماتِ المؤنَّثِ ثلاثٌ: - الهاءُ في قائمة وراكبة. - والألفُ الممدودة في حَمراء وخُنفساء. - والألفُ المقصورة في مثل حُبلى وسَكزى. وهذه العلاماتُ بعينها موجودةٌ في المُذكَّرِ: أمَّا الهاءُ ففي مثل قولك: رَجُلٌ باقِعَةٌ ونَسَابَةٌ وغلَامةٌ ورَبعةٌ، وراويةٌ للشَّعرِ... وأمَّا الألفُ الممدودُ مثل: رَجُلٌ عَياءٌ وطَباقاءٌ... وأمَّا الألفُ المقصورةُ ففي مثل: رَجُلٌ حُنْثَى، ورَبَعْرَى للسِّيءِ الخُلُق... ووصفوا أنَّ المُذكَّرَ: هو الَّذي ليسَ فيه شيءٌ من هذه العلاماتِ، مثل زيدٍ وسَعْدٍ، وقد يُوجدُ على هذه الصُّورةِ كثيرٌ من المؤنَّثِ مثل هُنْدٍ ودَعْدٍ، وأتانٍ ورَحْلٍ وعنزٍ، وكَنَفٍ ورجلٍ وساقٍ، وعِناقٍ... إلى أن يقول: فلهذه العلَّةُ قلنا إنَّه ليسَ يجبُ الاشتغالَ بطلبِ علامةٍ تُميِّزُ المؤنَّثَ من المُذكَّرِ؛ إذ كانا غيرَ منقاسين، وإنَّما يُعملُ فيهما على الرِّوايةِ، ويُرجعُ فيما يجريانِ عليه إلى الحكايةِ " (٢).

(١) المُذكَّرِ والمؤنَّثِ: لأبي بكر بن الأنباري: ١ - ٥٢ - ٥٨.

(٢) المُذكَّرِ والمؤنَّثِ: لابن التستري الكاتب: ٤٧ - ٥٦. حَقَّقَه وقَدَّمَ له وعلَّقَ عليه د. أحمد عبد

المجيد هريدي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الزفاعي بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ

١٩٨٣ م.

وقد ذكر ابنُ يعيش في (شرح المفصل)^(١) أنَّ الهاء تدخلُ على الاسمِ للتأنيثِ وأيضاً تدخلُ عليه لغيرِ تأنيثٍ على وجوه:

١ - للفرقِ بينَ المُذكَّرِ والمؤنَّثِ في الصِّفة: كضاربة ومضروبة وجميلة وهو الكثيرُ الشَّاع.

٢ - للفرقِ بينهما في الاسمِ مثل: إنسانة وغلّامة وحمارة وهو قليل.

٣ - للفرقِ بينَ اسمِ الجنسِ والواحدِ منه: كثمرّة وشجرة وضربة وقتلة.

٤ - للمبالغةِ في الوصفِ كعلّامة ونسّابة وراوية.

٥ - لتأكيدِ التّأنيثِ كناقاة ونعجة.

٦ - لتأكيدِ معنى الجمعِ كحجارة وذكارة.

٧ - للدّلالةِ على النسبِ كالمهالبة.

٨ - للدّلالةِ على التّعريبِ كموازجة.

٩ - للتّعويضِ كفرانزة وجحاجة.

ويذكرُ أبو الحسين بن وهب الكاتب أنَّ التّذكيرَ والتّأنيثَ يكونُ في الأسماءِ على ضربين هما: (٢)

١ - ما استحقَّ التّذكيرَ والتّأنيثَ بالطّبع وهو من الحيوانِ والإنسانِ ويُعرفُ شخصُ

الذّكرِ من الأنثى بالمعينة - وفصلت فيه العربيّة واللغاتُ السّاميةُ بينَ الذّكرِ

والأنثى بمخالفةِ الأسماءِ، فقالوا: رجل وامرأة وحمار وأتان وبيعر وناقاة.

(١) شرح المفصل: لابن يعيش ١٠ - ٩٦. دار الطباعة المنيرية بالقاهرة.

(٢) البرهان في وجوه البيان: لأبي الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، ص

٣٢٧ - ٣٢٩، تحقيق د. أحمد مطلوب، و د. خديجة الحديثي - مطبعة العاني، بغداد

١٩٧٦م.

٢ - ما استحقَّ التَّنْكِيرِ والتَّأْنِيثِ بالوضعِ أو الاصطلاحِ لعدمِ وجودِ أعضاءِ تنكيرٍ وتأنيثٍ به كالجَماداتِ والمعاني.

يقولُ الدكتورُ أحمدُ عبدَ المجيدِ هريدي - مُعلقاً على النَّصِّ السَّابِقِ -: " وفي هذا القسمِ الثَّاني تختلفُ اللُّغاتُ فيما بينها فما يُذكَرُ هنا قد يُؤنَّثُ هناك، بل أنَّ في اللُّغةِ الواحدةِ - مثلَ العربيَّةِ - نجدُ بعضَ القبائلِ تؤنَّثُ شيئاً وتُذكَرُ قبائلَ أخرى. وهذا القسمُ حاولَ بعضُ واضعي قواعدِ النُّحوِ للغاتِ وضعَ قواعدَ قياسيةَّةٍ لضبطه مع النَّظَرِ إلى فكرتهم أنَّ التَّنْكِيرَ في هذه هو الأصلُ، فحاولوا في العربيَّةِ تمييزَ المؤنَّثِ بلا علامة وهو ما يُعرفُ بالتَّأْنِيثِ المجازي فقالوا: كلُّ ما في رأسِ الإنسانِ من اسمٍ لا هاءٍ فيه فهو مُذكَرٌ إلا ثلاثة أحرف. وكلُّ ما في باطنه من اسمٍ لا هاءٍ فيه فهو مُذكَرٌ إلا الكبدُ فإنَّها مؤنَّثة. وأسماءُ البلدانِ كُلُّها مؤنَّثة... الخ." (١)

* دلالة تاء التَّأْنِيثِ:

بيَّنَ أبو البقاء العُكْبَرِيُّ الغرضَ من تاءِ التَّأْنِيثِ بقوله: " إنَّما دلَّتْ تاءُ التَّأْنِيثِ السَّاكنةُ على الفعلِ؛ لأنَّ الغرضَ منها الدَّلالةُ على تأنيثِ الفاعلِ فقط، لا الدَّلالةُ على تأنيثِ الفعلِ، إذ الفعلُ لا يُؤنَّثُ ولا تجدُ تاءَ تأنيثٍ مُتحرِّكةً مُتَّصِلةً بآخرِ الفعلِ، وإنَّما ذلك في الأسماءِ مثل (قائمة)، والحروفِ، مثل (رُبَّت) و (ثَمَّت) (٢)

(١) انظر مقدمة المُذكَرِ والمؤنَّثِ لابن التستري ص ٢٦، وانظر البُرْهان في وجوه البيان: ٤٩، ٥٠، ٥٢.

(٢) اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَرِيِّ، ١ - ٤٩، ٥٠، تحقيق غازي مُختار طليحات، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق سورية، الطَّبعة الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م.

وقال ابن الخشاب في كتابه (المُرتجل): " الأفعال لا يكون منها مُذَكَّرٌ، ومنها مؤنَّثٌ على الحقيقة. فدخلوا التاء الساكنة فيها إنما هو للدلالة على تأنيث فاعلها "(١).

* المبحث الأول: تعريف المذكَر وأقسامه:

عرّف أبو البركات بن الأنباري في كتابه " البلغة في المذكَر والمؤنَّث " المذكَر والمؤنَّث، وجعل المذكَر أصلًا للمؤنَّث، والمذكَر عنده نوعان حقيقي وغير حقيقي، وكذا المؤنَّث، وهو نوعان أيضاً، حقيقي وغير حقيقي، ومقيس، وغير مقيس، حيث قال في صدر كتابه: " فقد ذكرت في هذا المختصر بلغة في الفرق بين المذكَر والمؤنَّث على سبيل الاختصار... اعلم أنّ المذكَر أصلًا للمؤنَّث، وهو ما خلا من علامة التأنيث، لفظاً وتقديراً. وهو على ضربين: أحدهما: حقيقي، والآخر غير حقيقي. فأما الحقيقي، فما كان له فرج الذكَر، نحو: " الرَّجُل " و " الجمل ". وأما غير الحقيقي، فما لم يكن له ذلك؛ نحو: " الجدار " و " العمل ".
والمؤنَّث ما كانت فيه علامة التأنيث، لفظاً أو تقديراً، وهو على ضربين حقيقي، وغير حقيقي. فأما الحقيقي: فما كان له فرج الأنثى، نحو: " المرأة " و " الناقة ".
وأما غير الحقيقي، فما لم يكن له ذلك؛ نحو: " القدر " و " النار ". وهو أيضاً على ضربين: أحدهما: مقيس، والآخر: غير مقيس.
فأما المقيس، فما كان فيه علامة التأنيث لفظاً. وعلامة التأنيث على ضربين: أحدهما ألف، والآخر تاء. فأما الألف، فعلى ضربين: أحدهما: ألف مقصورة؛ نحو " حُبلى " و " بُشرى ". والآخر ألف ممدودة، نحو: " حمراء " و " صحراء ". وأما التاء؛ فنحو " ضاربة " و " ذاهبة ".

(١) المُرتجل: ص ١٩.

وأما غيرُ المقيس، فما لم يُكن فيه علامةُ التَّأنيثِ لفظاً، وإن كانت فيه تقديرًا. وقد جاء ذلك في كلامهم كثيراً، فمن ذلك " السَّماء " الَّتِي تُظَلُّ الأَرْضُ مؤنَّثةً. قال اللهُ تعالى [وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا] {الشمس:٥}، و " الأَرْضِ " الَّتِي تُظَلُّهَا السَّمَاءُ مؤنَّثةً. قال اللهُ تعالى [وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا] {الشمس:٦}... " (١)

وعرّفه الدكتور إميل بديع يعقوب (٢) على النحو التالي:

المُذَكَّرُ بأبسطِ تعريفاته، هو ما يصحُّ أن تُشِيرَ إليه بقولك: " هذا " نحو: " هذا رجلٌ " و " هذا هِرٌّ " و " هذا بابٌ ". والمُذَكَّرُ باعتبارِ حقيقته، قسمان:

١ - المُذَكَّرُ الحَقِيقِي:

وهو الَّذِي لَهُ أنثى من جنسه، أو هو الَّذِي يدلُّ على ذَكَرٍ مِنَ النَّاسِ أو الحَيوانِ، نحو: " مُحَمَّدٌ "، و " رَجُلٌ " و " حِصَانٌ " و " جَمَلٌ ".

٢ - المُذَكَّرُ المَجَازِي:

وهو الَّذِي لَيْسَ لَهُ أنثى من جنسه، أو هو الَّذِي يُعَامَلُ مُعَامَلَةَ الذَكَرِ مِنَ النَّاسِ أو الحَيوانِ، وليسَ منهما، نحو: " لَيْلٌ " و " بابٌ " و " عِلْمٌ ".
والمُذَكَّرُ باعتبارِ تأويله أو ذاتيته ثلاثة أقسامٍ:

١ - المُذَكَّرُ الذَّاتِي:

وهو المُذَكَّرُ في نفسه، بدونِ أيِّ اعتبارٍ خارجيٍّ كالإضافةِ أو التَّأويلِ، نحو: " رَجُلٌ " و " هِرٌّ ".

(١) البلغة في المُذَكَّرِ والمؤنَّثِ، ص: ٦٣، لأبي البركات بن الأنباري (٥١٣ - ٥٧٧ هـ) حَقَّقَهُ وقَدَّمَ لَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ أ.د. رمضان عبد التَّوَّابِ، مطبعة دار الكُتُبِ ١٩٧٠م، الجمهورية العربية المتَّحدة، مركز تحقيق التُّراثِ.

(٢) المعجم المفضَّل في المُذَكَّرِ والمؤنَّثِ: د. إميل بديع يعقوب، دار الكُتُبِ العلميَّةِ، بيروت، لبنان، الطَّبعة الأولى ١٤١٤ هـ ١٩٩٤م.

٢ - المذكّر المكتسب أو الحُكمي:

وهو ما اكتسب التذكير من إضافته إلى اسم مُذكّرٍ، نحو قولِ الشاعِرِ (من البسيط):

إِنَارَةُ الْعَقْلِ مَكْسُوفٌ بطَوْعِ هَوَى * * وَعَقْلٌ عَاصِي الهَوَى يَزِدَادُ تَنْوِيرًا^(١)

حيثُ أعَادَ الضَّمِيرَ مُذَكَّرًا من قولِهِ: " مكسوف " على " إنارة "، وهو مؤنثٌ، والذي سَوَّعَ هذا، مع وجوبِ مطابِقةِ الضَّمِيرِ لمرجعِهِ، كون المرجعُ مُضَافًا إلى مُذَكَّرٍ، وهو قوله: " العقل "، فاكْتَسَبَ التَّذْكَيرَ مِنْهُ.

٣ - المذكّر المؤول:

أو المذكّر تأويلاً، وهو ما اكتسب التذكير عن طريق تفسيره باسم مُذَكَّرٍ، نحو قولك: " ثلاثة أنفس " حيثُ أُنْتُثَ على تأويلِ " النَّفْسِ " المؤنثِ بـ " الرَّجُلِ " المذكّرِ.

* تعريف المؤنث وأقسامه:

المؤنثُ بأبسطِ تعريفاتِهِ، هو ما يصحُّ أن تُشِيرَ إليه بقولك: " هذه "، نحو: " فتاة " و " هرة " و " طاولة ". والمؤنثُ باعتبارِ حقيقته، قسمان:

١ - المؤنث الحقيقي:

وهو الذي له ذكّرٌ من جنسه، أو هو الذي يلدُ أو يبيضُ، نحو: " امرأة " و " بقرة " و " دجاجة ".

٢ - المؤنث غير الحقيقي، أو المجازي:

(١) البيت لبعض المولدين في المقاصد النحوية في شرح الألفية للعيني ٣ - ٣٩٦، وبلا نسبة = في الأشباه والنظائر: ٥ - ٢٦٣، وأوضح المسالك: ٣ - ١٠٥، وخزانة الأدب: ٤ - ٢٢٧، ٥ - ١٠٦، وشرح الأشموني: ٢ - ٣١٠، وشرح التصريح: ٢ - ٣٢، ومعني اللبيب: ٢ - ٥١٢.

وهو الَّذِي لا نَكَرَ لَهُ من جنسه، أو هو الَّذِي لا يلد ولا يبيض، نحو: " طاولة " و " شمس " و " عين ". ولا سبيل لمعرفة هذا النوع من المؤنث إلا عن طريق السماع الوارد عن العرب.

والمؤنث باعتبار علامته، ثلاثة أقسام:

١ - المؤنث اللفظي، أو المقيس:

وهو ما لحقته علامة التأنيث سواءً أدلَّ على مؤنث، نحو: " فاطمة " أم على مُذَكَّر، نحو: " عنتره ".

٢ - المؤنث المعنوي، أو التقديري، أو الحكمي:

وهو ما كان مدلوله مؤنثاً حقيقياً أو مجازياً، ولفظه خالياً من علامة التأنيث، نحو: " زينب " و " سعاد " و " عين " و " بئر ".

٣ - المؤنث اللفظي والمعنوي:

وهو ما دلَّ على مؤنث وفيه علامة تأنيث ظاهرة، نحو: " فاطمة " و " سُعدى " و " هيفاء ".

وكلُّ نوعٍ من هذه الأنواع الخمسة السابقة من المؤنث قد يجتمع فيه نوعان، أو أكثر فيُسمَّى باسمٍ يشمل نوعين أو أكثر، كأن يُقال:

١ - المؤنث الحقيقي اللفظي:

وهو ما له نَكَرٌ من جنسه، وفيه علامة تأنيث، نحو: " فاطمة " و " سُعدى " و " هيفاء ".

٢ - المؤنث الحقيقي المعنوي:

وهو ما له نَكَرٌ من جنسه، وليس فيه علامة تأنيث، نحو: " هند " و " أم ".

٣ - المؤنث المجازي اللفظي:

وهو ما ليس له ذكّر من جنسه، وفيه علامة تأنيث، نحو: " طاوله " و " شجرة " .

٤ - المؤنث المجازي المعنوي:

وهو ما ليس له ذكّر من جنسه، وليس فيه علامة تأنيث، نحو: " الأرض " و " رجل " و " عين " .

والمؤنث أيضاً باعتبار ذاتيته أو تأويله ثلاثة أقسام:

١ - المؤنث الذاتي:

وهو ما كان مؤنثاً في نفسه بدون أيّ اعتبار خارجي كالإضافة أو التأويل نحو: " زينب " و " هرة " .

٢ - المؤنث التأويلي:

وهو ما كانت صيغته مُذكّرة في أصلها، ولكن يُراد لسبب بلاغيّ، تأويلها بكلمة مؤنثة لها المعنى نفسه، فقد كان العرب يقولون: " أتتني كتابٌ سررتُ بها " يُريدون: رسالة، ويقولون: " خذ الكتابِ وقرأ ما فيها "، يُريدون: الأوراق، وأمثالُ هذا كثيرٌ في كلامهم.

٣ - المؤنث الحكمي:

وهو ما كانت صيغته مُذكّرة، ولكنّها أضيفت إلى مؤنث، فاكسبت التانيث بسبب الإضافة، كقوله تعالى: [وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ] [ق: ٢١]، فكلمة " كلّ " مُذكّرة في أصلها، ولكنّها اكتسبت التانيث من المُضاف إليه المؤنث، وهو " نفس " . ومنه قولُ مجنون ليلي:

(من الوافر):

وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغْفَنَ قَلْبِي * * * وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا ^(١).

* الأَصْلُ فِي التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ:

يرى النُّحَاةُ العَرَبُ أَنَّ التَّذْكِيرَ هُوَ الأَصْلُ، حَيْثُ قَالَ سِيبَوِيه: " الأَشْيَاءُ كُلُّهَا أَوَّلُهَا التَّذْكِيرُ ثُمَّ تَخْتَصُّ بَعْدَ " ^(٢). وَيَقُولُ المُبَرِّدُ: " كُلُّ شَيْءٍ كَانَ مُؤَنَّثًا مِنْ غَيْرِ الحَيَوَانِ تَأْنِيثُهُ لَلْفِظَةِ وَلِكَ أَنْ تُدَكِّرَهُ عَلَى مَعْنَاهُ " ^(٣). وَيَقُولُ أَبُو عَلِيٍّ الفَارَسِيُّ: " أَوَّلُ الأَسْمَاءِ التَّذْكِيرُ وَالتَّأْنِيثُ ثَانٍ لَهُ " ^(٤).

وَقَالَ أَبُو البَرَكَاتِ بنُ الأَنْبَارِيِّ: " اعْلَمْ أَنَّ المُذَكَّرَ أَوَّلٌ لِلْمُؤَنَّثِ، وَهُوَ مَا خِلا مِنْ عِلْمَةِ التَّأْنِيثِ، لَفْظًا وَتَقْدِيرًا. وَهُوَ عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا: حَقِيقِيٌّ، وَالأُخْرُ غَيْرُ حَقِيقِيٌّ... " ^(٥)

يَقُولُ د هَرِيدِي: " وَقَدْ حَاوَلَ مَنْ أَلْفَا فِي البَيَانِ وَصَنَعَةَ الكِتَابَةِ أَنْ يَحْصِرُوا لَلْكِتَابِ قَوَاعِدَ تُعِينُ عَلَى مَعْرِفَةِ المُذَكَّرِ وَالمُؤَنَّثِ ^(٦): " وَأَمَّا التَّأْنِيثُ وَالتَّذْكِيرُ بِالأَصْطِلَاحِ وَالمَوْضِعِ فَكَالْجُومِ وَالجِبَالِ وَالشَّجَرِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ فِيهِ ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَى عَلَى الحَقِيقَةِ، وَالأَصْلُ فِيهِ التَّأْنِيثُ، وَالتَّذْكِيرُ دَاخِلٌ عَلَيْهِ. فَإِذَا اجْتَمَعَ المُذَكَّرُ وَالمُؤَنَّثُ مِنْهُ

(١) البَيْتُ فِي دِيوانِهِ ص ١٣١، وَخَزَانَةُ الأَدَبِ ٤ - ٢٢٧، وَبِلا نِسْبَةٍ فِي رِصْفِ المَبَانِي ص

١٦٩، وَمَغْنِي اللِّيبِ ٢ - ٥١٣

(٢) الكِتَابُ: ٢ - ٢٢، طَبْعَةٌ بِبُلاَقِ ١٣١٦ هـ.

(٣) المُذَكَّرُ وَالمُؤَنَّثُ لِلْمُبَرِّدِ ص ١٠٧ - ١٠٨. حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ د. رَمْضَانَ عَبْدِ التَّوَّابِ وَصَلَّاحَ الهَادِي - مَطْبَعَةُ دَارِ الكِتَابِ بِالقَاهِرَةِ ١٩٧٠ م.

(٤) التَّكْمَلَةُ، لأَبِي عَلِيٍّ الفَارَسِيِّ ص ١٠٥، تَحْقِيقُ كَاطِمِ بَحْرِ المُرْجَانِ - رِسالَةٌ مَاجِسْتِيرِ آدَابِ القَاهِرَةِ ١٩٧٢ م.

(٥) البُلْغَةُ فِي المُذَكَّرِ وَالمُؤَنَّثِ: ص ٦٣.

(٦) البَرْهَانَ فِي وَجْهِ البَيَانِ: لِابْنِ وَهْبٍ ص ٣٢٨. وَانظُرْ مَقْدِمَةَ مُحَقِّقِ المُذَكَّرِ وَالمُؤَنَّثِ لِابْنِ النُّسْتَرِيِّ ص ٢٨.

غَلَبَتِ التَّأْنِيثَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ [وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ] {الأعراف: ٥٤}. " وَإِذَا أَتَاكَ مَا لَا يُعْرَفُ أَمْذَكَّرْهُ هُوَ أَمْ مُؤَنَّثٌ وَكَانَ مِمَّا يَسْتَحِقُّ التَّذْكَيرَ وَالتَّأْنِيثَ بِالطَّبَعِ فَارْتَبَهُ بِالتَّذْكَيرِ فَإِنَّهُ الْأَصْلُ، وَإِذَا أَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا تُذَكِّرُهُ وَتَأْنِيثُهُ بِالْوَضْعِ لَا بِالطَّبَعِ فَارْتَبَهُ عَلَى التَّأْنِيثِ لِأَنَّهُ أَصْلُهُ ". وَقَدْ قَسَمَتِ الْعَرَبُ الْمَذْكَرَ وَالْمُؤَنَّثَ الْوَضْعِيَّ فَأَنْتَتَ بَعْضًا وَذَكَرْتَ بَعْضًا وَعَدَلْتَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الشَّيْءِ وَنَظِيرِهِ فَأَنْتَتَ الشَّمْسَ وَذَكَرْتَ الْقَمَرَ وَأَنْتَتَ الْأَرْضَ وَذَكَرْتَ الْجَوَّ.

* اجتماع المذكر والمؤنث:

قَالَ ابْنُ السُّتَيْرِيِّ: " إِذَا اجْتَمَعَ مُذْكَرٌ وَمُؤَنَّثٌ غَلَبَتِ الْمَذْكَرَ فَقُلْتَ: لِفُلَانٍ خَمْسَةٌ بَنِينَ يَعْنِي ذَكَورًا وَإِنَاثًا، وَجَاءَنِي فُلَانٌ وَفُلَانَةٌ ابْنَا فُلَانٍ " (١)

* تأنيث الفعل للفاعل المؤنث:

إِذَا كَانَ الْفَاعِلُ مُؤَنَّثًا فَإِنَّهُ نَوْعَانِ: مُؤَنَّثٌ حَقِيقِيٌّ، وَمُؤَنَّثٌ مَجَازِيٌّ. وَتَلْحَقُ الْفِعْلُ الْمَاضِيَّ الْمُسْنَدَ إِلَى الْفَاعِلِ تَاءً سَاكِنَةً، تُسَمَّى تَاءَ التَّأْنِيثِ، وَجُوبًا وَجَوَازًا. قَالَ ابْنُ مَالِكٍ: "

وَتَاءُ تَأْنِيثٍ تَلِي الْمَاضِي، إِذَا * * كَانِ لِأُنْثَى، كَ " أَبَتْ هِنْدُ الْأَدَى "

وَقَالَ ابْنُ عَقِيلٍ فِي شَرْحِهِ لِهَذَا الْبَيْتِ: " إِذَا أُسْنِدَ الْفِعْلُ الْمَاضِي إِلَى مُؤَنَّثٍ لِحَقَّتْهُ تَاءُ سَاكِنَةٌ تَدُلُّ عَلَى كَوْنِ الْفَاعِلِ مُؤَنَّثًا، وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْحَقِيقِيِّ وَالْمَجَازِيِّ، نَحْوُ: " قَامَتْ هِنْدٌ، وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ "، لَكِنْ لَهَا حَالَتَانِ: حَالَةٌ لِرُومٍ، وَحَالَةٌ جَوَازٍ. " (٢)

* أولاً: تأنيث الفعل للفاعل وجوباً:

(١) المذكر والمؤنث: ٦٩.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: لقاضي الفضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي، المصري، الهمداني (٦٩٨ - ٧٦٩ هـ)، ٢ - ٨٧، ٨٨. الطبعة العشرون ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م، نشر وتوزيع دار التراث بالقاهرة، دار مصر للطباعة سعيد جودة السحار وشركاه.

ويكون ذلك في موضعين:

(١) إذا كانَ الفاعلُ حقيقيَّ التَّأنيثِ، غيرَ مفصولٍ عن الفعلِ بفاصلٍ، مثل: حَصَرَتْ هُنْدُ - نَجَحَتْ فَاطِمَةُ. فالفاعلُ هُنَا مؤنَّثٌ حقيقيٌّ، ولم يُفصلْ عن الفعلِ، فوجبَ تأنيثُ الفعلِ بالتَّاءِ.

قالَ ابنُ هشامِ الأنصاري (١) - عند حديثه عن أحكامِ الفاعلِ ونائبه -: "... الحُكْمُ الرَّابِعُ: أنَّ عاملَهُما يُؤنَّثُ إذا كانا مؤنَّثين، وذلك على ثلاثة أقسامٍ: تأنيثُ واجبٍ، وتأنيثُ راجحٍ، وتأنيثُ مرجوحٍ. فأما التَّأنيثُ الواجبُ ففي مسألتين: ... التَّأنيثُ: أن يكونَ الفاعلُ اسماً ظاهراً مُتصلاً حقيقيَّ التَّأنيثِ: مُفرداً، تثنيةً له، أو جمعاً بالألفِ والتَّاءِ؛ فالمفردُ كقولهِ تعالى: [إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ] {آل عمران: ٣٥}، والمثنى كقولك: قامتِ الهندانِ، والجمعُ كقولك: قامتِ الهنداتُ... "

(٢) إذا كانَ الفاعلُ ضميراً عائداً على مؤنَّثٍ، حقيقيّاً كانَ أو مجازياً، مثل: فَاطِمَةُ نَجَحَتْ - الشَّمْسُ طَلَعَتْ. ففاطمةُ مبتدأ، ونجَحَ فعلٌ ماضٍ، والفاعلُ ضميرٌ مُستترٌ تقديره " هي " يعودُ على فاطمة وهي مؤنَّثٌ حقيقيٌّ، لذلك وجبَ تأنيثُ الفعلِ، وجُملةُ نجحت خبرُ المُبتدأ، وطلعت فعلٌ ماضٍ، وقد لحقته تاءُ التَّأنيثِ وجوباً لأنَّ فاعلهُ ضميرٌ مُستترٌ تقديره " هي " يعودُ على مؤنَّثٍ مجازيٍّ وهو الشَّمْسُ، وجُملةُ طلعت خبرُ المُبتدأ.

قالَ ابنُ مالك (٢): وَإِنَّمَا تَلَزَمُ فِعْلٌ مُضْمَرٍ * مُتَّصِلٍ، أَوْ مُفْهِمٍ ذَاتِ حِرِّ "

(١) شرح شذور الذهب: ١٦٩، ١٧٠.

(٢) شرح ابن عقيل: ٢ - ٨٨.

وقال ابن عقيل عند شرحه لهذا البيت: " تلزم تاء التأنيث الساكنة الفعل الماضي في موضعين... الثاني: أن يكون الفاعل ظاهراً حقيقياً التأنيث، نحو: " قامت هندٌ " وهو المراد بقوله: " أو مفهم ذات جر " وأصل جرٍ حِرْحٍ، فحذفت لام الكلمة. وفهم من كلامه أن التاء لا تلزم في غير هذين الموضعين؛ فلا تلزم في المؤنث المجازي الظاهر؛ فنقول: " طَلَعَ الشَّمْسُ، وطلعتِ الشَّمْسُ " ولا في الجمع... " (١)

* ثانياً: تأنيث الفعل جوازاً:

يجوز تأنيث الفعل للفاعل المؤنث في المواضع الآتية (٢):

(١) إذا كان الفاعل حقيقياً التأنيث مفصلاً عن الفعل: مثل: حَضَرَتِ اليَوْمَ فاطمةُ - حَضَرَ اليَوْمَ فاطمةُ. فقد فصل الظرف (اليوم) بين الفعل وفاعله المؤنث الحقيقي، فيجوز لك إلحاق التاء بالفعل باعتبار أن الفاعل مؤنث، ولك ألا تلحق به التاء باعتبار أن الفاعل قد بعد عن فعله، فتبدأ بالفعل على التذكير. وقد يكون الفصل بالمفعول، فيجوز معه ما جاز مع الفصل بالظرف مثل قوله تعالى [إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ] {الممتحنة: ١٢}، فالكاف ضمير المخاطب مفعول به تقدم على الفاعل، ففصل بينه وبين الفعل، فجاز تجريدُه من التاء، مع أن الفاعل حقيقياً التأنيث وهو (المؤمنات). ويُمكنك القياس على الآية فنقول: جاءتكِ فاطمةُ، وجاءكِ فاطمةُ.

ويقول النحاة إن الظرف والمفعول لما فصل بين الفعل والفاعل، بعد الفاعل فقلت العناية به، أو لم يُدر في البداية أمذكر هو أم مؤنث، فجاء الفعل على الأصل وهو

(١) السابق: ٢ - ٨٨، ٨٩.

(٢) أسس النحو العربي قواعد وتدرجات (١) القواعد، ص ١١، تأليف د. عبد الحميد السيوري، د. محمد خضير، تقديم: أ د محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للنشر والتوزيع الفجالة القاهرة ١٩٩٢ م.

التذكير، وتجرّد من التاء. ويقولون أيضاً إنَّ الفصل بالظرفِ أو بالمفعولِ قام مقام التاء. (١)

قال ابن مالك (٢):

وَقَدْ يُبِيحُ الْفَصْلُ تَرَكَ التَّاءِ، فِي ** نَحْوِ " أَتَى الْقَاضِيَ بِنْتُ الْوَأَقِفِ " قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ (٣): " إِذَا فَصَلَ بَيْنَ الْفَعْلِ وَفَاعِلِهِ الْمُؤَنَّثِ بغيرِ " إِلَّا " جازَ إِثْبَاتُ التَّاءِ وَحذفُها، والأجودُ الإِثْبَاتُ؛ فتقول: " أَتَى الْقَاضِيَ بِنْتُ الْوَأَقِفِ " والأجودُ " أَتَتْ " وتقول: " قَامَ الْيَوْمَ هُنْدٌ " والأجودُ " قَامَتْ " .

وهو ما أكده ابن هشام الأنصاري المصري حينما قال (٤): " وَأَمَّا التَّائِيَةُ الرَّاجِحُ فِيهِ مَسْأَلَتَيْنِ... الثَّانِيَةُ: أَنْ يَكُونَ الْفَاعِلُ ظَاهِرًا حَقِيقِيًّا التَّائِيَةُ مُفَصَّلًا بغيرِ " إِلَّا " كقولك: قَامَ الْيَوْمَ هُنْدٌ، وَقَامَتِ الْيَوْمَ هُنْدٌ، وكقولهِ:

إِنَّ امْرَأً عَرَهُ مِنْكَنَّ وَاحِدَةً * * بَعْدِي وَبَعْدِكَ فَشِي الدُّنْيَا لَمَعْرُورُ

وقال الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد (٥): " الشَّاهِدُ فِيهِ: قَوْلُهُ " عَرَهُ مِنْكَنَّ وَاحِدَةً " حَيْثُ أَسْنَدَ الْفَعْلَ إِلَى اسْمِ ظَاهِرٍ حَقِيقِيٍّ التَّائِيَةِ، وَلَمْ يُوْنِثِ الْفَعْلَ، لَوْجُودِ الْفَاعِلِ بَيْنَ الْفَعْلِ وَفَاعِلِهِ بِقَوْلِهِ " مِنْكَنَّ " وَذَكَرُ عِلْمَةَ التَّائِيَةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ

(١) أسس النحو العربي: ١١٢.

(٢) شرح ابن عقيل: ٢ - ٨٩.

(٣) شرح ابن عقيل: ٢ - ٨٩.

(٤) شرح شذور الذهب في معرف كلام العرب: لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (٧٠٨ - ٧٦١ هـ) ص: ١٧٤. تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد.

(٥) مُنتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب: ص ١٧٤، ١٧٥.

أرجح من حذفها. ومثله في المعنى قولُ حجر آكل المرار في هندِ بنتِ ظالمِ امرأتهِ، وكانت قد أسرها زياد ابن الهبولة في يومِ البردانِ:

إِنَّ مَنْ غَرَّهَ النِّسَاءُ بِشَيْءٍ * * بَعْدَ هِنْدٍ لَجَاهِلٌ مَغْرُورٌ
حُلُوهُ الْعَيْنِ وَالْحَدِيثِ، وَمُرٌّ * * كُلُّ شَيْءٍ أَجَنٌّ مِنْهَا الضَّمِيرُ
كُلُّ أُنْثَى وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا * * آيَةُ الْحُبِّ حُبُّهَا خَيْتَمُورُ

(٢) إذا كانَ الفاعلُ مجازيًّا التَّأْنِيثِ:

مثل: طَلَعَتِ الشَّمْسُ - طَلَعَ الشَّمْسُ.

وهو ما أكَّده ابنُ هشامِ الأنصاريُّ المصريُّ حينما قال (١): " وأَمَّا التَّأْنِيثُ الرَّاجِحُ فِي مَسْأَلَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا: أَنْ يَكُونَ الْفَاعِلُ ظَاهِرًا مُتَّصِلًا مُجَازِيًّا التَّأْنِيثِ، كَقَوْلِكَ: طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: [وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ] {الأنفال: ٣٥} [فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ] {النمل: ٥١} [وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ] {القيامة: ٩}. "

(٣) إذا وقعَ الفاعلُ بعدَ فِعْلِيٍّ المدحِ والدِّمِّ: نِعَمَ وَبِئْسَ، مثل:

نِعَمَ الْمَرْأَةُ فَاطِمَةُ، بِيئْسَ الْفِتَاءُ هِنْدٌ. نِعَمَتِ الْمَرْأَةُ فَاطِمَةُ، بِيئْسَتِ الْفِتَاءُ هِنْدٌ.

مرَّةً بتذكيرِ الفِعْلِ، ومرَّةً بتأنيثه، وإِنَّمَا يُجْرَدُ الْفِعْلُ مِنَ التَّاءِ لِأَنَّ الْفَاعِلَ هُنَا مُرَادٌ بِهِ الْجِنْسُ، وَالْجِنْسُ مُذَكَّرٌ، أَيْ نِعَمَ جِنْسُ الْمَرْأَةِ فَاطِمَةُ، وَبِئْسَ جِنْسُ الْفِتَاءِ هِنْدٌ. لِذَلِكَ دُكِّرَ الْفِعْلُ.

وهو ما أكَّده ابنُ هشامِ الأنصاريُّ حينما قال (٢): " ومن هذا الباب - يقصدُ التَّأْنِيثَ الرَّاجِحَ - أَيْضاً قَوْلُهُمْ: نِعَمَتِ الْمَرْأَةُ هِنْدٌ، وَنِعَمَ الْمَرْأَةَ هِنْدٌ؛ فَالتَّأْنِيثُ عَلَى مَقْتَضَى الظَّاهِرِ، وَالتَّذْكِيرُ عَلَى مَعْنَى الْجِنْسِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَرْأَةِ الْجِنْسُ، لَا وَاحِدَةً مُعَيَّنَةً،

(١) شرح شذور الذهب: ١٧٤.

(٢) شرح شذور الذهب: ١٧٥.

مدحوا الجنسَ عموماً، ثُمَّ حَصُّوا مَنْ أَرَادُوا مَدْحَهُ، وَكَذَلِكَ " بِنْسٍ " بِالنِّسْبَةِ إِلَى الدَّمِّ، كَقَوْلِكَ: بِنْسِ الْمَرْأَةِ حَمَالَةُ الحَطَبِ، وَبِنْسَتِ الْمَرْأَةِ هِنْدٌ. "
 ولذلك قال ابن مالك (١):

وَالْحَذْفُ فِي " نِعَمَ الْفَتَاةُ " اسْتَحْسَنُوا * * لِأَنَّ قَصْدَ الْجِنْسِ فِيهِ بَيِّنٌ وَفِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى قَوْلِ ابْنِ مَالِكٍ قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: " وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ: " وَالْحَذْفُ فِي " نِعَمَ الْفَتَاةُ - إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ " إِلَى أَنَّهُ يَجُوزُ فِي " نِعَمَ " وَأَخَوَاتِهَا - إِذَا كَانَ فاعِلُهَا مُؤَنَّثًا - إِثْبَاتُ التَّاءِ وَحَذْفُهَا، وَإِنْ كَانَ مَفْرَدًا مُؤَنَّثًا حَقِيقِيًّا؛ فَنَقُولُ: " نِعَمَ الْمَرْأَةُ هِنْدٌ، نِعَمَتِ الْمَرْأَةُ هِنْدٌ " وَإِنَّمَا جازَ ذَلِكَ لِأَنَّ فاعِلُهَا مَقْصُودٌ بِهِ اسْتِغْرَاقُ الْجِنْسِ، فَعُومِلَ مُعَامَلَةً جَمَعَ التَّكْسِيرِ فِي جَوَازِ إِثْبَاتِ التَّاءِ وَحَذْفِهَا، لِشَبْهِهِ بِهِ فِي أَنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ مُتَعَدِّدٌ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: " اسْتَحْسَنُوا " أَنَّ الحَذْفَ فِي هَذَا وَنَحْوِهِ حَسَنٌ، وَلَكِنِ الْإِثْبَاتُ أَحْسَنُ مِنْهُ. " (٢)

(٤) إِذَا وَقَعَ الْفَاعِلُ بَعْدَ " إِلَّا " مِثْلُ:

مَا نَجَحَ إِلَّا فَاطِمَةٌ - مَا نَجَحَتْ إِلَّا فَاطِمَةٌ.

وَجازَ تَجْرِيدُ الْفِعْلِ مِنَ التَّاءِ هُنَا، لِأَنَّ الْفَاعِلَ عِنْدَ النُّحَاةِ لَفْظٌ عَامٌّ يَشْمَلُ الْمُنْذَرَ وَالْمُؤَنَّثَ، فَغَلَبُوا الْمُنْذَرَ، وَنَكَّرُوا لَهُ الْفِعْلَ، وَفَاطِمَةٌ بَدَلٌ مِنْ هَذَا الْفَاعِلِ الْمُقَدَّرِ، وَالتَّقْدِيرُ: مَا نَجَحَ أَحَدٌ إِلَّا فَاطِمَةٌ. وَإِذَا أَلْحَقْتَ التَّاءَ بِالْفِعْلِ كَانَ الْفَاعِلُ هُوَ فَاطِمَةٌ. (٣)

(١) شرح ابن عقيل: ٢ - ٩٣.

(٢) السَّابِقُ: ٩٥، ٩٦.

(٣) أسس النحو العربي: ١١٢.

وهو ما أكدّه ابنُ هشام حينما قال ^(١): "وأما التّأنيثُ المرجوحُ ففي مسألةٍ واحدةٍ، وهي أن يكونَ الفاعلُ مفضولاً بإلاً، كقولك: ما قامَ إلاّ هُنْدُ؛ فالتّذكيرُ هنا أرجحُ باعتبارِ المعنى؛ لأنّ التّفديرَ " ما قامَ أحدٌ إلاّ هُنْدُ " فالفاعلُ في الحقيقة مُذَكَّرٌ، ويجوزُ التّأنيثُ باعتبارِ ظاهرِ اللفظِ، كقوله:

مَا بَرَيْتُ مِنْ رِيْبَةٍ وَذَمٌّ * * فِي حَرْبِنَا إِلَّا بَنَاتُ الْعَمِّ

والدليلُ على جوازِهِ في النّثرِ قراءةُ بعضهم [إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً] [يس: ٢٩] برفعِ (صَيْحَةً) وقراءةُ جماعةٍ من السّلفِ [فَأَصْبَحُوا لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ] [الأحقاف: ٢٥] ببناءِ الفعلِ لما يُسمّى فاعلهُ، وبجعلِ حرفِ المضارعةِ التّاءِ المُثناةً من فوقِ. وزعمَ الأَخفشُ أنّ التّأنيثَ لا يجوزُ إلاّ في الشّعرِ، وهو محجوجٌ بما ذكرنا. " وفي تعليقه على البيتِ السّابقِ قال الشّيخُ محيي الدّين عبد الحميد ^(٢): " الشّاهدُ فيه: قوله: "مَا بَرَيْتُ إِلَّا بَنَاتُ الْعَمِّ" حيثُ وصلَ الفعلُ بتاءِ التّأنيثِ، مع كونهِ مفضولاً من فاعلهِ بإلاً، ودخولِ التّاءِ في هذهِ الحالِ مرجوحٌ، على ما ذكره المؤلّفُ تبعاً لابنِ مالكٍ، وحكى ابنُ عقيلٍ أنّ الجُمهورَ لا يجيزون التّأنيثَ في هذهِ الحالِ، كما حكى المؤلّفُ عن الأَخفشِ أنّ التّأنيثَ لا يجوزُ في غيرِ ضرورةِ الشّعرِ، ولكن الذي تنصّره الأدلّةُ هو ما ذكرَ المؤلّفُ، ومن شواهدِ ذلك قولُ ذي الرّمّة:

طَوَى النَّحْرُ وَالْأَجْرَازُ مَا فِي عُرُوضِهَا * * وَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الصُّلُوعُ الْجَرَاشِغُ.

(١) شرح شذور الذهب: ١٧٦.

(٢) منتهى الأرب: ١٧٦. وانظر منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل: ٢ - ٩٠.

قال: الشاهدُ فيه: قوله: " وَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الضُّلُوعُ " حيثُ دخلت تاءُ التَّأْنِيثِ على الفعلِ؛ لأنَّ فاعلهُ مؤنَّثٌ، مع كونه قد فصل بين الفعلِ والفاعلِ بإلّا، وذلك - عند الجمهور - مما لا يجوزُ في غير الشِّعْرِ. " وهو ما ذكره ابنُ مالكٍ حينما قال^(١):
وَالْحَذْفُ مَعَ فَضْلِ بِإِلَّا فُضِّلًا، * * كَ " مَا زَكَاَ إِلَّا فَتَاةُ ابْنِ الْعَلَاءِ " .

وفي تعليقه على قول ابن مالك قال ابن عقيـل^(٢): " وإذا فُصِّلَ بَيْنَ الفِعْلِ والفاعلِ المؤنَّثِ بـ " إلّا " لم يجز إثباتُ التَّاءِ عندَ الجُمهورِ، فتقول: " مَا قامَ إلَّا هِنْدٌ، وَمَا طَلَعَ إلَّا الشَّمْسُ " ولا يجوزُ " مَا قامَتِ إلَّا هِنْدٌ " ولا " مَا طَلَعَتِ إلَّا الشَّمْسُ "، وقد جاءَ في الشِّعْرِ كقولهِ: * وَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الضُّلُوعُ الجَرَّاشِعُ. " فقولُ المُصنِّفِ: " إنَّ الحَذْفَ مُفَضَّلٌ على الإثباتِ " يُشعرُ بأنَّ الإثباتَ - أيضاً - جائزٌ، وليس كذلك؛ لأنَّهُ إن أرادَ به أنَّه مُفَضَّلٌ عليه باعتبارِ أنَّه ثابتٌ في النَّثْرِ والنَّظْمِ، وأنَّ الإثباتَ إنَّما جاءَ في الشِّعْرِ؛ فصحيحٌ، وإن أرادَ أنَّ الحذفَ أكثرُ من الإثباتِ فغيرُ صحيحٍ؛ لأنَّ الإثباتَ قليلٌ جداً. "

وفي دفاعه عن ابن مالك وأنَّ في كلام ابن عقيـل تحاملاً عليه قال الشَّيخُ محيي الدِّين عبد الحميد^(٣): " إنَّ الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّارِحُ - يقصدُ ابنَ عقيـل - تجنُّ على النَّاطِمِ - يقصدُ ابنَ مالك -، وإلزامٌ بمذهبٍ مُعيَّنٍ قد لا يكونُ ذهبَ إليه في هذا الكتابِ، وذلك بأنَّ هذه المسألةَ خلافيَّةٌ بينَ عُلماءِ النَّحوِ، فمنهم مَنْ ذهبَ إلى أنَّ إلحاقَ تاءِ التَّأْنِيثِ وعدمَ إلحاقِها جائزانِ إذا فُصِّلَ بَيْنَ الفِعْلِ وفاعلِهِ المؤنَّثِ بإلّا،

(١) شرح ابن عقيـل: ٢ - ٨٩.

(٢) السَّابِق: ٨٩.

(٣) منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيـل: ٢ - ٩١.

ومع جواز الأمرين حذف التاء أفضل، وهذا هو الذي يصح أن يُحمل عليه كلام الناظم؛ لأنه صريح الدلالة عليه.

ومن العلماء من ذهب إلى أن حذف التاء في هذه الحالة أمر واجب لا يجوز العدول عنه إلا في ضرورة الشعر؛ من أجل أن الفاعل على التحقيق ليس هو الاسم الواقع بعد إلا، ولكنهُ اسمٌ مُذَكَّرٌ محذوفٌ، وهو المُستثنى منه؛ فإذا قلت: "لم يزرني إلا هُنْدٌ"، فإن أصل الكلام: لم يزرني أحدٌ إلا هُنْدٌ، وأنت لو صرحت بهذا المحذوف على هذا التقدير لم يكن لك إلا حذف التاء؛ لأن الفاعل مُذَكَّرٌ، وهذا هو الذي يُريدُ الشارح أن يُلزم به الناظم؛ لأنه مذهب الجمهور، وهو إلزام ما لا يلزم، على أن لنا في هذا التعليل وفي ترتيب الحكم عليه كلاماً لا تتسع له هذه العجالة.

(٥) إذا كان الفاعل جمع تكسير لمُذَكَّرٍ أو مؤنث. وهو ما كُسِرَ فيه بنية المفرد عند الجمع، أو ما لم يُجمع بالواو والنون، والألف والتاء مثل:

جاءَ الرِّجالُ، جاءَ الهُنودُ - جاءَتِ الرِّجالُ، جاءَتِ الهُنودُ.

فالفاعل في هذه الأمثلة يجوز تجريدُه من التاء، على معنى: جاء جمع الرِّجالِ، وجاء جمع الهُنودِ، والجمع مُذَكَّرٌ فلذلك دُكِرَ الفعلُ. ويجوز تأنيثُه بالتاء على معنى الجماعة، والجماعة مؤنثٌ، أي: جاءت جماعة الرِّجالِ، وجاءت جماعة الهُنودِ.

وهو ما ذكره ابن هشام الأنصاري حينما قال^(١): "ومن النوع الأول - أعني المؤنث الظاهر المجازي التانيث - أن يكون الفاعل جمع تكسير، أو اسم جمع، تقول: قامت الرِّيوذُ، وقام الرِّيوذُ، وقامت النساءُ، وقام النساءُ، قال الله تعالى: [قالت الأعرابُ] {الحجرات: ١٤} {وقال نسوة} [يوسف: ٣٠]، وكذلك اسم الجنس، كـ "أورق الشجر" و "أورقت الشجر"؛ فالتأنيث في ذلك كُلِّه على معنى الجماعة، والتذكير على معنى

(١) شرح شذور الذهب: ١٧٤، ١٧٥.

الجمع، وليس لك أن تقول: التَّأْنِيثُ فِي النِّسَاءِ وَالهُنُودِ حَقِيقِيٌّ؛ لِأَنَّ الْحَقِيقِيَّ (١) هُوَ الَّذِي لَهُ فَرْجٌ، وَالْفَرْجُ لِأَحَادِ الْجَمْعِ، لَا لِلْجَمْعِ، وَأَنْتِ إِنَّمَا أَسْنَدْتَ الْفِعْلَ إِلَى الْجَمْعِ لَا إِلَى الْأَحَادِ. " وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ مَالِكٍ حِينَمَا قَالَ (٢):

"وَالنَّاءُ مَعَ جَمْعٍ - سِوَى السَّالِمِ مِنْ * مُذَكَّرٍ كَالنَّاءِ مَعَ إِحْدَى اللَّبَنِ "

وعند شرحه لهذا البيت قال ابن عقيل (٣): " إِذَا أَسْنَدَ الْفِعْلُ إِلَى جَمْعٍ: فِيمَا أَنْ يَكُونَ جَمْعَ سَلَامَةٍ لِمُذَكَّرٍ، أَوْ لَا؛ فَإِنْ كَانَ جَمْعَ سَلَامَةٍ لِمُذَكَّرٍ لَمْ يَجْزُ اقْتِرَانُ الْفِعْلِ بِالنَّاءِ؛ فَتَقُولُ: " قَامَ الرَّيْدُونَ "، وَلَا يَجُوزُ: " قَامَتِ الرَّيْدُونَ "، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَمْعَ سَلَامَةٍ لِمُذَكَّرٍ - بَأَنَّ كَانَ جَمْعَ تَكْسِيرٍ لِمُذَكَّرٍ كَالرِّجَالِ، أَوْ لِمَوْنَّثٍ كَالهُنُودِ، أَوْ جَمْعَ سَلَامَةٍ لِمَوْنَّثٍ كَالْهِنْدَاتِ - جَازَ إِثْبَاتُ النَّاءِ وَحَذْفُهَا؛ فَتَقُولُ: " قَامَ الرِّجَالُ، وَقَامَتِ الرِّجَالُ، وَقَامَ الْهُنُودُ، وَقَامَتِ الْهُنُودُ، وَقَامَ الْهِنْدَاتُ، وَقَامَتِ الْهِنْدَاتُ "، فَإِثْبَاتُ النَّاءِ لِتَأْوُلِهِ بِالْجَمَاعَةِ، وَحَذْفُهَا لِتَأْوُلِهِ بِالْجَمْعِ. وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ: " كَالنَّاءِ مَعَ إِحْدَى اللَّبَنِ " إِلَى أَنَّ النَّاءَ مَعَ جَمْعِ التَّكْسِيرِ، وَجَمْعِ السَّلَامَةِ لِمَوْنَّثٍ، كَالنَّاءِ مَعَ الظَّاهِرِ الْمَجَازِيِّ التَّأْنِيثِ كَلْبَنَةٍ؛ فَكَمَا تَقُولُ: " كُسِرَتِ اللَّبَنَةُ، وَكُسِرَ اللَّبَنَةُ " تَقُولُ: " قَامَ الرِّجَالُ، وَقَامَتِ الرِّجَالُ " وَكَذَلِكَ بَاقِي مَا تَقَدَّمَ. "

وقد بيّن الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد في كتابه " منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل " الأشياء التي تدلُّ على الجمع، وذكر أنَّ للعلماء في الفعل المُسندِ إلى

(١) هذا تعليلٌ للنفى، يعني انتفى أن تقولَ هذا الكلامَ لأنَّ الحقيقيَّ إلخ. نقلنا عن المحقق.

ص ١٧٥.

(٢) شرح ابن عقيل: ٢ - ٩٣ - ٩٥.

(٣) السابق: ٩٤، ٩٥.

هذه الأشياء ثلاثة مذاهب، حيث قال ^(١): " الأشياء التي تدل على الجمع ستة أشياء:

الأول: اسم الجمع، نحو: قوم ورهط ونسوة.

والثاني: اسم الجنس الجمعي، نحو: روم وزنج وكلم.

والثالث: جمع التَّكْسِيرِ لِمُدَّكَّرٍ، نحو: رجال وزبود.

والرابع: جمع التَّكْسِيرِ لِمُؤَنَّثٍ، نحو: هنود وضوارب.

والخامس: جمع المُدَّكَّرِ السَّالِمِ، نحو: الرِّبْدِينِ والمُؤْمِنِينَ والبَنِينَ.

والسادس: جمع المُؤَنَّثِ السَّالِمِ، نحو: الهنديات والمؤمنات والبنات.

وللغلماء في الفعل المُسند إلى هذه الأشياء ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: مذهب جمهور الكوفيين:

وهو أنه يجوز في كلِّ فعلٍ أُسِنِدَ إلى شيءٍ من هذه الأشياء الستة أن يؤتى به مؤنثاً وأن يؤتى به مُدَّكَّرًا، المِثْرُ في هذا أن كلَّ واحدٍ من هذه الأشياء الستة يجوز أن يؤول بالجمع فيكون مُدَّكَّرَ المعنى، فيؤتى بفعله خالياً من علامة التأنيث، وأن يؤول بالجماعة فيكون مؤنث المعنى، فيؤتى بفعله مقترناً بعلامة التأنيث؛ فتقول على هذا: جاء القوم، وجاءت القوم، وفي الكتاب العزيز [وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ] {يوسف: ٣٠}، وتقول: زَحَفَ الرُّومُ، وَزَحَفَتِ الرُّومُ، وفي الكتاب الكريم [غَلَبَتِ الرُّومُ] {الرُّوم: ٢}، وتقول: جاء الرِّجالُ، وجاءتِ الرِّجالُ، وتقول: جاء الهُنودُ، وجاءتِ الهُنودُ، وتقول: جاء الرِّينابُ، وجاءتِ الرِّينابُ، وفي التَّنْزِيلِ [إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ] {الممتحنة: ١٢}، وقال عبدة بن الطَّيِّبِ من قصيدة له:

فَبِكِي بَنَاتِي شَجَوْهِنَّ وَرَوُ جَتِي * وَالظَّاعِنُونَ إِلَيَّ، ثُمَّ تَصَدَّعُوا

(١) منحة الجليل: ٢ - ٩٤، ٩٥.

وتقول: جاءَ الزَّيْدونَ، وجاءَتِ الزَّيْدونَ، وفي التَّنْزِيلِ [أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي أَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ] [يونس: ٩٠]، وَقَالَ قُرَيْطٌ بَنُ أُنَيْفٍ أَحَدُ شُعْرَاءِ الْحِمَاسَةِ: لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِلَيَّ * * بَنُو اللَّقِيظَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ
والمذهب الثاني: مذهب أبي علي الفارسي:

وخلصته أنه يجوز الوجهان في جميع هذه الأنواع، إلا نوعاً واحداً، وهو جمع المُذَكَّرِ السَّالِمِ؛ فإنه لا يجوز في الفعل الذي يُسندُ إليه إلا التذكير، وأنت لو تأملت في كلام الناظم بحسب ظاهره مُطابِقاً لهذا المذهب لأنه لم يُستثنَ إلا السَّالِمَ من جمع المُذَكَّرِ.

والمذهب الثالث: مذهب جمهور البصريين:

وخلصته أنه يجوز الوجهان في أربعة أنواع، وهي اسم الجمع، واسم الجنس الجمعي، وجمع التَّكْسِيرِ لِمُذَكَّرٍ، وجمع التَّكْسِيرِ لِمُؤنَّثٍ؛ وأما جمع المُذَكَّرِ السَّالِمِ فلا يجوز في فعله إلا التذكير، وأما جمع المؤنَّثِ السَّالِمِ فلا يجوز في فعله إلا التانيث، وقد حاول جماعة من الشراح كالأشموني أن يحملوا كلام الناظم عليه؛ فزعموا أن الكلام على نيّة حذف الواو والمعطوف بها، وأن أصل الكلام "سوى السَّالِمِ من جمع مذكّر ومن جمع مؤنث" ولكن شارحنا رحمه الله لم يتكلّف هذا التكلّف؛ لأنه رأى أن لظاهر الكلام محملاً حسناً، وهو أن يوافق مذهب أبي علي الفارسي. وقال الشيخ محيي الدين في ختام قوله: "فاحفظ هذا التَّحْقِيقَ واحرص عليه؛ فإنه نفيس دقيق فلما تعثر عليه مشروحاً مستدلاً له في يسرٍ وسهولة" (١)

(٦) إذا كان الفاعل اسم جمع. واسم الجمع هو "ما دلّ على الجمع وليس له مفرد من لفظه"، مثل: قوم - شعب - جيش - دؤد. فمفرد قوم من غير لفظه، وهو

(١) السابق: ٢ - ٩٥.

رجل أو امرأة، ومفرد شعب كذلك، ومفرد جيش: جُندي. والدَّوْدُ هي الإبلُ، ومُفْرَدُهَا: جمل أو ناقة، وهذه المفردات من غير لفظِ الأسماءِ الدَّالَّةِ على الجمعِ قبلها. ومنه قوله تعالى [وَكذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ] {الأنعام: ٦٦}، (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) (الشُّعراء: ٣٢)، فقومٌ فاعلٌ للفعلِ كَذَّبَ، وقد جاءَ مرَّةً بالتَّاءِ وأخرى بدونها.

(٧) إذا كانَ الفاعلُ " اسمَ الجنسِ الجمعي " وهو اللفظُ الدَّالُّ على الجمعِ، ولَهُ مفردٌ من لفظهِ، ويُفَرِّقُ بينهُ وبينَ مفردِهِ بوجودِ التَّاءِ في المفردِ، مثل: تمر وتمرّة، وشجر وشجرة، وبقر وبقرة وغنم وغنمة، وورق وورقة. وقد يُفَرِّقُ بينهُ وبينَ مفردِهِ بياءٍ مُشَدَّدَةٍ تُسَمَّى بياءِ النَّسَبِ، مثل: روم وروميّ، وزنج وزنجيّ، وعجم وعجميّ. تقول: أورق الشَّجَرُ، وأورقتِ الشَّجَرُ، وشربَ البقرُ، وشربتِ البقرُ.

* اسم الجنس وأنواعه:

قال صاحبُ (المقتضب)^(١): " واعلم أنَّ كُلَّ جمعٍ ليسَ بينهُ وبينَ واحدِهِ إلاَّ الهاءُ فإنَّهُ جارٌّ على سنَّةِ الواحدِ، وإن عُنيتَ بِهِ جمعَ الشَّيْءِ؛ لأنَّهُ جنسٌ. مَنْ أنثَهُ فليسَ إلى الاسمِ يُقصدُ، ولكنَّهُ يؤنِّثُها على معناه؛ كما قالَ عزَّ وجلَّ [تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ] {القمر: ٢٠}، لأنَّ النَّخْلَ جنسٌ. وقالَ [فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ] {الحاقة: ٧}، لأنَّهُ جمعُ قَلَّةٍ، فهو على المعنى جماعةٌ.

وقالَ المُبرِّدُ في (المذكَّر والمؤنَّث) فأماً ما يكونُ للأجناسِ فإنَّما يقعُ واحدُه من جنسٍ؛ نحو قولك: تمرّة، وبسرة، وشعيرة، وبقرة. فحقُّ هذا إذا أخرجتَ منه الهاءُ أن يجوزَ فيه التَّأنيبُ والتَّدكيرُ، فنقول: هو النَّمْرُ، وهو البُرُّ، وهو العنْبُ، وكذلك كلُّ ما كانَ في منهاجِهِ... ومَنْ جعلها محمولَةً على معنى الجماعةِ أنثتُ، فقال: هي التَّمْرُ، وهي الشَّعيرُ، وكذلك ما كانَ مثلها. "

(١) المُقتضب: ٣ - ٣٤٦.

وعرّفه أبو بكر بن الأنباري بقوله^(١): " اعلم أنّ كلّ جمع بينه وبين واحد الهاء فعامته يُدكّر ويؤنث؛ كقولهم: النّخل، والبقرة، والشّعير، والتمر. يُقال: هذا نخلٌ، وهذه نخلٌ، وهذا بقرةٌ، وهذه بقرةٌ، وهذا تمرٌ، وهذه تمرٌ، وهذا شعيرٌ، وهذه شعيرٌ. قال الله عزّ وجلّ [كأنّهم أعجاز نخلٍ خاويةٍ] {الحاقة:٧} فأنثت، وقال في موضعٍ آخرٍ [كأنّهم أعجاز نخلٍ منقعرٍ] {القمر: ٢٠} فدكّر. وقال امرؤ القيس:

وحدّث بأن زالت لبيلٍ حمولهم * * كَنخِلٍ مِنَ الأعراضِ غيرِ مُنبَقٍ^(٢)

الأعراض: بلد، وقوله " غيرِ مُنبَقٍ " معناه غيرٌ ممدودٍ على سطرٍ واحدٍ، أي هي متفرقة.

وقال العبدِيُّ: النّخلُ باطنُهُ خَيْلٌ وظاهرُهُ * * خَيْلٌ تكَدّسَ بالفرسانِ كالنّعَمِ

وقال أبو هفّان: أنشدني مُصعبُ الرُّبيريُّ لأيوبيّن عبّابةَ الأسلميّ في تأنيثِ النّخلِ:

وما أعتدّ النَّاسُ مِنَ عُقْدَةٍ * * سوى النّخلِ يُعرَسُ فيها الفَسِيلُ

وقال الله عزّ وجلّ: [إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا] {البقرة: ٧٠}، فهذه قراءةُ العوامِ بتذكيرِ (تَشَابَهَ)، وقرأ أبي^(٣) [إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَتْ عَلَيْنَا] فأنثت فعلَ البقرِ، وقال الشّاعرُ في التّأنيثِ:

إني وقتلي سُلَيْكاً ثمَّ أَعْقَلُهُ * * كالثَّورِ يَصْرِبُ لَمّا عافتِ البقرُ^(٤)

(١) المُدكّر والمؤنث: ٢ - ١٢٤ - ١٢٦.

(٢) البيت في ديوان امرئ القيس ص ٨٨ من قصيدة ص ٨٨ - ٩٢. وفي اللسان " ونخل مُنبَقٍ " بالفتح، ومنبَقٍ، مصطف على سطر مستو، وكذلك كل شيء مستو مُهدَّب.

(٣) في البحر المحيط: ١ - ٢٥٤. وقرأ أبيّ تشابهت .

(٤) في الحيوان للجاحظ ١ - ١٨: " وكانوا إذا أوردوا القر فلم تشرب، إمّا لكدر الماء، أو لقلّة العطش، ضربوا الثور ليقتم الماء؛ لأنّ البقر تتبعه؛ كما تتبع الشول الفحل، وكما يتبع أتنّ الوحش الحمار... وقال في ذلك أنس بن مدرك في قتله سُلَيْك بن السُّلْكة:

وقال زهيرُ في تأنيثِ النَّخْلِ:

وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيَّ إِلَّا وَشِجَهَهُ * * وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ (١) "

وعرّفهُ الشَّيْخُ محيي الدِّينِ اسمَ الجنسِ وبيّنَ أنواعه، بقوله (٢): " اسمُ الجنسِ على نوعين:

أحدهما: يُقالُ له اسمُ جنسٍ جمعي، والثَّاني: يُقالُ له اسمُ جنسٍ إفرادي؛ فأما اسمُ الجنسِ الجمعي فهو " ما يدلُّ على أكثر من اثنين، ويُفَرِّقُ بينهُ وبينَ واحدِهِ بالتَّاءِ "، والتَّاءُ غالباً تكونُ في المُفردِ كبقرةٍ وبقرةٍ وشجرةٍ وشجر، ومنهُ كَلِمٌ وكَلِمَةٌ، ورُبَّما كانتُ زيادةُ التَّاءِ في الدَّالِّ على الجمعِ مثل: كَمءٍ للواحدِ وكَمأةٌ للكثيرِ، وهو نادرٌ. وقد يكونُ الفرقُ بينَ الواحدِ والكثيرِ بالياءِ، كزنجٍ وزنجي ورومٍ ورومي.

فأما اسمُ الجنسِ الإفرادي فهو " ما يصدقُ على الكثيرِ والقليلِ واللفظُ واحدٌ " كما في ذهبٍ وخبزٍ وزيتٍ. فإن قلت: فإنِّي أجدُ كثيراً من جموعِ التَّكْسِيرِ يُفَرِّقُ بينها وبينَ مُفردِها بالتَّاءِ كما يُفَرِّقُ بينَ اسمِ الجنسِ الجمعي وواحدِهِ، نحو قُرَى وواحدةٍ قريةٍ، ومدى وواحدةٍ مديّةٍ، فبماذا أُفَرِّقُ بينَ اسمِ الجنسِ الجمعي وما كانَ على هذا الوجه من الجموعِ؟

إني وقتلي سُلَيْكاً ثُمَّ أَعْقَلَهُ * * كَالنَّوْرِ يَصْرِبُ لَمَّا عَافَتِ الْبَقْرُ

انظر المخصص ٩ - ١٤٥، وانظر العين ٤ - ٣٩٩. وضبط الفعل في الأصلِ بالرَّفْعِ.
(١) الْخَطِيُّ: الرِّمَاحُ نسبها إلى الخطِّ، وهي جزيرةٌ بالبحرين تُرفأُ إليها سُفُنُ الرِّمَاحِ. القنا المُلتف في منبته، واحدها وشيجة. يقول: لا ينبت القناتة إلا القناتة، يعني أنهم كرام من البيت في ديوان زهير ص ١١٥ من قصيدة مدح ص ٩٦ - ١١٥، وانظر العيني ٢ - ٤٨٢ - ٤٨٥.

(٢) منحة الجليل: ١ - ١٥.

فالجواب على ذلك أن تعلم أن بين النوعين اختلافاً من وجهين؛ الوجه الأول: أن الجمع لابد أن يكون على زنة معينة من زنات الجموع المحفوظة المعروفة، فأما اسم الجنس الجمعي فلا يلزم فيه ذلك، أفلا ترى أن بقراً وشجراً وثمرأ لا يوافق زنة من زنات الجمع !

والوجه الثاني: أن الاستعمال العربي جرى على أن الضمير وما أشبهه يرجع إلى اسم الجنس الجمعي مُذكراً كقوله تعالى: [إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا] {البقرة: ٧٠} وقوله جلَّ شأنه [إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ] {فاطر: ١٠}، فأما الجمع فإنَّ الاستعمال العربي جرى على أن يعود الضمير إليه مؤنثاً، كما تجد في قوله تعالى: [لَهُمْ عُزْفٌ مِنْ قَوْقِحَا عُرْفٍ مَبْنِيَّةٍ] {الزمر: ٢٠}، وقوله سبحانه: [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ عُزْفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ] {العنكبوت: ٥٨}، وكقول الشاعر:

فِي عُزْفِ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا أَنِّي وَجِبْتُ * لَهُمْ هُنَاكَ بِسَعِي، كَانَ، مَشْكُورِ.

الفصل الثالث

الفعل بين التذكير والتأنيث في القرآن الكريم

يستعرض هذا الفصل مجموعة من النماذج المختارة من آيات القرآن الكريم ورد فيها الفعل مرةً بالتذكير ومرةً بالتأنيث، ويعرض لآراء النحاة والمفسرين ومعربي القرآن وغيرهم في هذا الشأن، ويبيِّن ما بين العلماء من أوجه إتفاقٍ، وأوجه اختلافٍ، ويعرض هذه النماذج مرتبةً حسب ترتيب السور القرآنية في المصحف الشريف.

(١) سورة البقرة: الآية (٤٨):

قَالَ تَعَالَى [وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُعْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ] {البقرة: ٤٨}

دارت أقوال العلماء حول قوله تعالى (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ) ولماذا جاء الفعل معها مُذَكَّرًا مع أَنَّ كلمة (شفاعة) مؤنثة؟ بالرغم أَنَّ الكلمة نفسها جاءت الفعل مؤنثاً في آيتين، هُما قوله تعالى [وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ] {البقرة: ١٢٣}، وقوله [فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ] {المذثر: ٤٨}. فجاءت إجاباتهم على النحو الآتي:

أولاً: بيّن الأَخْفَشُ الأوسطُ سعيدُ بن مسعدة علّة تذكير الفعل في هذه الآية، وأنَّ السَّببَ في تذكير الفعل هو الفصل بين الفعل (يُقبَلُ) وفاعله (شفاعة) بالجارِ والمجرورِ (منها) واستحسنَ تذكيرَ الفعلِ في هذا الموضع، حيث قال: "وأما قوله [وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ] فإنما ذكّرَ الاسمَ المؤنثَ لأنَّ كُلَّ مؤنثٍ فرقتَ بينه وبين فعله حَسُنَ أن تذكّرَ فعله، إلا أنَّ ذلك يقبُحُ في الإنسِ وما أشبههم مما يعقل. لأنَّ الذي يعقلُ أشدُّ استحقاقاً للفعل. وذلك أنَّ هذا إنّما يؤنثُ ويذكّرُ ليفصلَ بين معنيين. والمواتُ كـ "الأرض" و "الجدار" ليسَ بينهما معنى كنعو ما بينَ الرَّجُلِ والمرأة. فكلُّ ما لا يعقلُ يُشَبَّهُ بالمواتِ، وما يعقلُ يُشَبَّهُ بالمرأةِ والرَّجُلِ نحو قوله [رَأَيْتُمْ لِي سَاجِدِينَ] لَمَّا أطاعوا صاروا كَمَن يعقلُ، قال [وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ] فذكّرَ الفعلَ حينَ فرّقَ بينه وبين الاسم، وقال [وَلَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ] ونُقِرُّ

[تُؤْخَذُ]. وقد يُقالُ أيضاً ذاكَ في الإنسِ، رَعِمُوا أَنَّهُمْ يقولون "حَضَرَ القَاضِي امرأَةٌ". فأما فعلُ الجمیعِ فقد يُذَكَّرُ ويؤنثُ لأنَّ تأنيتَ الجمیعِ ليسَ بتأنيتِ الفصلِ ألا ترى أَنَّكَ تَوْنِثُ جماعةَ المُذَكَّرِ فتقول: "هِيَ الرَّجَالُ" و "هِيَ القَوْمُ" وتُسَمِّي رجلاً بِـ "بِعال" فتصرفه لأنَّ هذا تأنيتٌ مثلُ التَّذْكِيرِ، وليسَ بفصلٍ، ولو سَمِيتَهُ بِـ "عُناق" لم تصرفه، لأنَّ هذا تأنيتٌ لا يكونُ للذَّكْرِ، وهو فصلٌ ما بينَ المُذَكَّرِ والمؤنثِ تقول: "ذَهَبَ الرَّجُلُ" و "ذَهَبَتِ المرأَةُ" فتفصلُ بينهما. وتقول: "ذَهَبَ النِّسَاءُ" و "ذَهَبَتِ النِّسَاءُ" و "ذَهَبَتِ الرَّجَالُ" و "ذَهَبَتِ الرَّجَالُ". وفي كتابِ اللهِ: [كَذَبَتِ قَوْمُ نوحٍ

المُرْسَلِينَ] (الشُّعراء: ١٠٥) و [كَدَّبَ بِهِ فُومَكَ] (الأنعام: ٢١). قال الشَّاعِرُ: -
من الطَّوِيل وهو الشَّاهد السَّبْعون :-

فَمَا تَرَكْتُ قَوْمِي لِقَوْمِكَ حَيَّةً * * تَقَلَّبُ فِي بَحْرِ وَلَا بَلَدٍ قَفْرٍ

وقال [جَاءَهُمُ الْبَيْنَاتُ] (آل عمران: ٦٣، ١٠٥) و [وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ]
(يوسف: ٣٠). وقال الشَّاعِرُ أَشَدَّ مِنْ ذَا وَقَدْ أَحْرَرَ الْفَعْلَ - قَالَ مِنَ الْمُتَقَارِبِ :-

فَأِمَّا تَرَى لِمَتِّي بُدِّلْتُ * * فَإِنَّ الْحَوَادِثَ أودى بِهَا

أراد " أودت بها " مثل فعلِ المرأةِ الواحدةِ يَجُورُ أَنْ يُذَكَّرَ فذَكَرَ هذا. وهذا التَّذْكِيرُ
في المواتِ أَقْبَحُ وهو في الإنسِ أَحْسَنُ. وذلك أَنَّ كُلَّ جَمَاعَةٍ مِنْ غَيْرِ الْإِنْسِ فَهِيَ
مُؤَنَّثَةٌ تَقُولُ: " هِيَ الْحَمِيرُ " وَلَا تَقُولُ: " هُمْ ". إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا: " أَوْلَيْكَ الْحَمِيرُ "،
وذلك أَنَّ " أَوْلَيْكَ " قد تَكُونُ لِلْمُؤَنَّثِ وَالْمُذَكَّرِ تَقُولُ: " رَأَيْتُ أَوْلَيْكَ النِّسَاءَ " قَالَ
الشَّاعِرُ - من الكَامِلِ :-

ذُمِّي الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنزَلَةِ اللَّوِيِّ * * * وَالْعَيْشَ بَعْدَ أَوْلَيْكَ الْأَيَّامِ (١).

وفي إعرابه لقوله تعالى [وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ] قال أبو جعفر النَّحَّاسُ: (٢) " ويجوزُ "
تُقْبَلُ " بالثَّاءِ؛ لِأَنَّ الشَّفَاعَةَ مُؤَنَّثَةٌ، وَإِنَّمَا حَسُنَ تَذْكِيرُهَا لِأَنَّهَا بِمَعْنَى التَّشْفِعِ (٣) كَمَا
قَالَ:

إِنَّ السَّمَّاحَةَ وَالْمَرْوَةَ ضَمِنَا * * قَبْرًا بِمَرْوَةَ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ (١)

(١) هو جرير بن عطية الخطفي، ديوانه ٥٥١ (الصَّاوِي). والخزانة: ٢ - ٤٦٧.

(٢) إعراب القرآن: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النَّحَّاسِ المتوفى سنة ٣٣٨ هـ، ١ -
٢٢٢، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة
الثالثة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

(٣) ذكر د. زهير غازي زاهد في الهامش رقم (٣) الشَّفِيعِ فِي ب.

وقال الأخفش: حَسَنَ التَّنْكِيرُ لِأَنَّكَ قَدْ فَرَقْتَ. قَالَ سيبويه^(٢): وَكُلَّمَا طَالَ الْكَلَامُ فَهُوَ أَحْسَنُ وَهُوَ فِي الْمَوَاتِ أَكْثَرُ فَرَّقُوا بَيْنَ الْحَيَوَانِ وَالْمَوَاتِ كَمَا فَرَّقُوا بَيْنَ الْأَدْمِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ.

(شفاعة) اسم ما لم يُسَمَّ فاعله وكذا (عدل) (وهم لا يُنصرون) مبتدأ وخبر ".
وذكر كلُّ من ابن عطية الأندلسي، وابن الجوزي، والعكبري، والسَّمِينُ الحلبي،
قراءتين أحدهما بالتاء والثانية بالياء، وقد وجَّهوا القراءتين كُلَّ حسب وجهة نظره^(٣).
حيث قال ابن عطية: " وقوله تعالى: [وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ] قرأ ابن كثير وأبو
عمرو بالتاء، وقرأ الباقر بالياء من تحت على المعنى إذ تأنيث الشفاعة ليس
بحقيقي، والشفاعة مأخوذة من الشفع وهما الاثنان لأنَّ الشافع والمشفوع له شفَع

(١) الشاهد لزياد الأعجم كما جاء في ذيل أمالي القالي ص ٩ من قصيدة يرثي بها المغيرة ابن
المهلب بن أبي صفرة، والخزانة ٤ ك ١٢٩ " إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّمَاةَ... " المقاصد النَّحْوِيَّة
(على هامش الخزانة) ٢ - ٥٠٢. ونسبه الطُّبري للسلطان العبدى: تفسير الطُّبري: ١٤ -
١٣٢. وغير منسوب في شذور الذهب رقم ٧٧. نقلاً عن محقق إعراب النَّحَّاس. ١ -
٢٢٢. قال الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ مُحْيِي الدِّينِ عبد الحميد: " الشَّاهِدُ فِيهِ: قَوْلُهُ " ضَمَّنَا " فَإِنَّ " ضَمَّنَ
" فَعَلَ مَا ضَمَّنَ إِلَى ضَمِيرِ الْمُؤَنَّثِ، وَهُوَ الْأَلْفُ الْعَائِدَةُ إِلَى السَّمَاةِ وَالْمَرْوَةِ. وَكَانَ مِنْ
حَقِّهِ أَنْ يُؤَنَّثَ الْفِعْلُ فَيَقُولُ " ضَمَّنْتَا " لِأَنَّ كُلَّ فَعَلٍ أَسْنَدَ إِلَى ضَمِيرٍ مُؤَنَّثٍ يَجِبُ تَأْنِيثُهُ،
سِوَاءَ أَكَانَ هَذَا الْمُؤَنَّثُ الَّذِي يَعُودُ إِلَيْهِ الضَّمِيرُ مُؤَنَّثًا حَقِيقِيًّا التَّأْنِيثِ أَمْ كَانَ مُجَازِيًّا
التَّأْنِيثِ؛ فَتَرَكُ الشَّاعِرُ فِي هَذَا الْبَيْتِ تَأْنِيثَ الْفِعْلِ جَارٍ عَلَى خِلَافِ الْوَاجِبِ، وَذَلِكَ شَادُّ لَا
يُقَاسُ عَلَيْهِ فِي السَّعَةِ. وَمِنْ أَحْكَامِ مَا يَشَدُّ عَنِ الْمُطَرِّدِ الْجَارِي عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ أَنَّهُ لَيْسَ
لَنَا أَنْ نَسْتَعْمَلَ مِثْلَهُ لَا فِي نَثَرِنَا وَهُوَ بَدِيهِيٌّ وَلَا فِي شَعْرِنَا؛ لِأَنَّ مَا كَانَ يَجُوزُ لِلْعَرَبِ مِنْ
الصَّرَائِرِ فِي أَشْعَارِهِمْ لَا يَجُوزُ لَنَا فِي أَشْعَارِنَا، فَافْهَمْ هَذَا. مُنْتَهَى الْأَرْبِ بِتَحْقِيقِ شَرْحِ شُذُورِ
الذَّهَبِ ١٦٩.

(٢) انظر الكتاب: ١ - ٢٣٥.

(٣) انظر على الترتيب: المحرر الوجيز: ١ - ١٢١، زاد المسير: ١ - ٧٧، والتبيين: ٣٥، والدر

المصون: ١ - ٢٥٢.

وكذلك الشَّفيعُ فيما لم يقسم. " (١). وذكر ابنُ الجوزيِّ تعليلاً لأبي علي الفارسي في توجيه القراءتين، حينما قال: " قال أبو علي: مَنْ قرأ بالتَّاءِ فلانَّ الاسمَ الَّذي أُسندَ إليه هذا الفعلُ مؤنَّثٌ فيلزمُ أن يلحقَ المُسندَ أيضاً علامةُ التَّأنيثِ، ومَنْ قرأ بالياءِ فلانَّ التَّأنيثَ في الاسمِ الَّذي أُسندَ إليه الفعلُ ليسَ بحقيقيٍّ فحملَ على المعنى كما أنَّ الوعظَ والموعظةَ بمعنى واحدٍ... " (٢). ورأى العُكبريُّ أنَّ القراءةَ بالتَّاءِ لتأنيثِ الشَّفاعةِ، وبالياءِ لأنَّ تأنيثَ الشَّفاعةِ غيرُ حقيقيٍّ، وهو ما نصَّ عليه السَّمينُ الحلبيُّ حينما قال: " قوله تعالى: [وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ] هذه الجُملةُ عطفٌ على ما قبلها فهي صفةٌ أيضاً لـ " يوماً "، والعائدُ منها عليه محذوفٌ كما تقدَّم، أي: ولا يُقبلُ منها فيه شفاعَةٌ. و " شفاعَةٌ " مفعولٌ لم يُسمِّ فاعله، فلذلك رُفِعَتْ، وقُرئ: " يُقبلُ " بالتَّذكيرِ والتَّأنيثِ، فالتَّأنيثُ للفظِ، والتَّذكيرُ لأنَّهُ مؤنَّثٌ مجازيٌّ، وحسنُهُ الفصلُ. وقُرئ: " ولا يُقبلُ " مبنياً للفاعلِ وهو اللهُ تعالى... " (٣).

ووجَّه ابنُ خالويه القراءتين اللتين وردتا في الآية بقوله: " قوله تعالى (ولا تقبل منهما شفاعة) تقرأ بالياءِ والتَّاءِ فالْحُجَّةُ لمن قرأ بالتَّاءِ أنَّه دلَّ بها على تأنيثِ الشَّفاعةِ ولمن قرأ بالياءِ ثلاثُ حججٍ أولاهنَّ أنَّه لمَّا فصل بين الفعلِ والاسمِ بفواصل جعله عوضاً من تأنيثِ الفعلِ، والثانية أنَّ تأنيثَ الشَّفاعةِ لا حقيقةً له ولا معنى تحته فتأنيثه وتذكيره سيان، والثالثة قولُ ابن مسعود إذا اختلفتم في التَّاءِ والياءِ فاجعلوه بالياءِ. " (٤)

(١) المحرر الوجيز: ١ - ١٢١.

(٢) زاد المسير: ١ - ٧٧.

(٣) الدر المصون: ١ - ٢٥٢.

(٤) الحُجَّةُ في القراءاتِ السَّبْعِ: للحُسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله. ص ١ - ٧٦. تحقيق

د. عبد العال سالم مكرم. دار الشروق، بيروت، لبنان، الطَّبعة الرَّابعة ١٤٠١هـ.

٢ - سورة البقرة الآية (٧٠)

[قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنِ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ] {البقرة: ٧٠} دارت أقوال العلماء حول قوله تعالى (إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا) والقراءات الواردة في كلمتي (الْبَقَرَ) و (تَشَابَهَ) ووجهها هذه القراءات نحوياً ودلالياً، فجاءت أقوالهم على النحو الآتي:

حيثُ قال الأخفش^(١): " وأما قوله [إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا] فجعل " الْبَقَرَ " مُذَكَّرًا مثل " النَّمْر " و " الْبُيْر " كما تقول: " إِنَّ زَيْدًا تَكَلَّمَ يَا فَتَى " وَإِنَّ شَيْئًا قُلْتَ (يَشَابَهُ) وهي قراءة مجاهد^(٢). ذَكَرَ " الْبَقَرَ " يُرِيدُ (يَتَشَابَهُ) ثُمَّ أَدغَمَ التَّاءَ فِي الشَّيْنِ. وَمَنْ أَنْتَ " الْبَقَرَ " قَالَ (تَشَابَهُ) فَأَدغَمَ. وَإِنْ شَاءَ حَذَفَ التَّاءَ الْآخِرَةَ وَرَفَعَ كَمَا نَقُولُ " إِنَّ هَذِهِ تَكَلَّمَ يَا فَتَى " لِأَنَّهَا فِي (تَتَشَابَهُ) إِحْدَاهُمَا تَاءٌ " تَفْعَلُ " وَالْآخَرَى الَّتِي فِي " تَشَابَهَتْ " فَهُوَ فِي التَّأْنِيثِ مَعْنَاهُ " تَفْعَلُ ". وَفِي التَّنْكِيرِ مَعْنَاهُ " فَعَلَ " وَ " فَعَلَّ " أَبْدَأُ مَفْتُوحٌ كَمَا ذَكَرْتَ لَكَ وَالتَّاءُ مَحذُوفَةٌ إِذَا أَرَدْتَ التَّأْنِيثَ لِأَنَّكَ تُرِيدُ " تَشَابَهَتْ " ف " هِيَ " تَشَابَهُ " وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا كَانَ مِنْ نَحْوِ " الْبَقَرَ " لَيْسَ بَيْنَ الْوَاحِدِ وَالْجَمَاعَةِ فِيهِ إِلَّا الْهَاءُ، فَمَنْ الْعَرَبِ مَنْ يُذَكِّرُهُ وَمَنْهُمْ مَنْ يُؤنِّثُهُ، وَمَنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: " هِيَ الْبُرُّ وَالشَّعِيرُ " وَقَالَ [وَالنَّحْلُ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ] {ق: ١٠}، فَأَنْتَ عَلَى تِلْكَ اللَّغَةِ وَقَالَ " بَاسِقَاتٍ " فَجَمَعَ لِأَنَّ الْمَعْنَى جَمَاعَةٌ. وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ] {النور: ٤٣} فَذَكَرَ فِي لُغَةٍ مِنْ يُذَكِّرُ وَقَالَ [وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ] {الرعد: ١٢} فَجَمَعَ عَلَى الْمَعْنَى لِأَنَّ الْمَعْنَى سَحَابَاتٍ. وَقَالَ [وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ] {يونس: ٤٣}

(١) معاني القرآن: ١ - ٢٨٠، ٢٨١.

(٢) هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي علم من التابعين وأئمة التفسير، قرأ على ابن عباس وعبد الله بن السائب، وله اختيار في القراءة وتوفي سنة ١٠٣ هـ. طبقات ابن الخياط، ٢٨٠، وطبقات الفراء ٢ - ٤٤، والمعارف ٤٤٤، وميزان الاعتدال ٣ - ٤٣٩.

وقال [وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ] [يونس: ٤٢] على المعنى واللفظ. وقد قال بعضهم: (إِنَّ الْبَاقِرَ) مثل " الجامل " يعني " البقر " و " الجمال " قال الشاعرُ: (من الكامل):

مَا لِي رَأَيْتُكَ بَعْدَ أَهْلِكَ مُوحِشًا * * خَلِقًا كَحَوْضِ الْبَاقِرِ الْمُتَهَدِّمِ

وقال: (من الطويل):

فَإِنْ تَكْ ذَا شَاءٍ كَثِيرٍ فَإِنَّهُمْ * * ذُوو جَامِلٍ لَا يَهْدُ اللَّيْلَ سَامِرُهُ (١) "

وما ذكره الأخفش ذكره الطبري مفصلاً^(٢) وذكره الزمخشري، والفخر الرازي مختصراً^(٣). وعلل أبو جعفر النَّحَّاسُ تذكيرَ الفعلِ بقوله: " [إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا] ذَكَرَ الْبَقْرَ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى الْجَمْعِ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْبَاقِرُ جَمْعُ بَاقِرَةٍ وَقَالَ: رُجِعَ بَقْرٌ عَلَى بَاقِرَةٍ، وَقَرَأَ الْحَسَنُ (إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا) جَعَلَهُ فِعْلاً مُسْتَقْبِلاً وَأَنْثَهُ وَالْأَصْلُ تَشَابَهُ ثُمَّ أَدغَمَ التَّاءَ فِي الشَّيْنِ، وَقَرَأَ يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ (إِنَّ الْبَاقِرَ يَشَابَهُ عَلَيْنَا) جَعَلَهُ فِعْلاً مُسْتَقْبِلاً وَذَكَرَ الْبَاقِرَ وَأَدغَمَ، وَيَجُوزُ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا بِتَخْفِيفِ الشَّيْنِ وَضَمِّ الْهَاءِ وَلَا يَجُوزُ يَشَابَهُ عَلَيْنَا بِتَخْفِيفِ الشَّيْنِ وَالْيَاءِ، وَإِنَّمَا جَازَ فِي التَّاءِ لِأَنَّ الْأَصْلَ تَشَابَهُ فَحَذَفَتْ لِاجْتِمَاعِ التَّاءِ يَنْ. " (٤).

وقال ابن عطية: " و " البقر " جمع بقرة وتجمع أيضا على باقر وبه قرأ ابن يعمر وعكرمة وتجمع على بقر وببقور ولم يقرأ بهما فيما علمت وقرأ السبعة تشابه فعل ماض وقرأ الحسن تشابه بشد الشين وضم الهاء أصله تشابه وهي قراءة يحيى بن يعمر فأدغم وقرأ أيضا تشابه بتخفيف الشين على حذف التاء الثانية وقرأ ابن مسعود

(١) هو الخطيئة. ديوانه ١٨٤، واللسان " جمل " والخزانة ٣ - ٣٨٩.

(٢) جامع البيان: ٢ - ٢٠٩، ٢١٠.

(٣) انظر الكشاف ١ - ١٧٩، ومفاتيح الغيب: " ١ - ٤٦٧.

(٤) إعراب القرآن: ١ - ٢٣٥، ٢٣٦.

يشابه بالياء وإدغام التاء وحكى المهدي عن المعيطي يشبه بتشديد الشين والباء دون ألف وحكى أبو عمرو الداني قراءة متشبه اسم فاعل من تشبه وحكى أيضا يتشابه. وفي استثنائهم في هذا السؤال الأخير إنابة ما وانقياد ودليل ندم وحرص على موافقة الأمر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لولا ما استثنوا ما اهتدوا إليها أبدا... " (١)

ووجه أبو حيان القراءات الواردة في الآية بالتفصيل حيث قال: " وقرأ عكرمة ويحيى بن يعمر: إن الباقر، وقد تقدم أنه اسم جمع، قال الشاعر:

ما لي رأيتك بعد عهدك موحشا * * خلقاً كحوض الباقر المتهدم

وقرأ الجمهور: تشابه، جعلوه فعلاً ماضياً على وزن تفاعل، مسند الضمير البقر، على أن البقر مذكر. وقرأ الحسن: تشابه، بضم الهاء، جعله مضارعاً محذوف التاء، وماضيه تشابه، وفيه ضمير يعود على البقر، على أن البقر مؤنث. وقرأ الأعرج: كذلك، إلا أنه شدد الشين، جعله مضارعاً وماضيه تشابه، أصله: تشابه، فأدغم، وفيه ضمير يعود على البقر. وروي أيضاً عن الحسن، وقرأ محمد المعيطي، المعروف بذي الشامة: تشبه علينا. وقرأ مجاهد: تشبه، جعله ماضياً على تفعل. وقرأ ابن مسعود: يشابه، بالياء وتشديد الشين، جعله مضارعاً من تفاعل، ولكنه أدغم التاء في الشين. وقرئ: متشبه، اسم فاعل من تشبه. وقرأ بعضهم: يتشابه، مضارع تشابه، وفيه ضمير يعود على البقر. وقرأ أبي: تشابهت. وقرأ الأعمش: متشابه ومتشابهة. وقرأ ابن أبي إسحاق: تشابهت، بتشديد الشين مع كونه فعلاً ماضياً، وبتاء التأنيث آخره. فهذه اثنا عشر قراءة. وتوجيه هذه القراءات ظاهر، إلا قراءة ابن أبي إسحاق تشابهت، فقال بعض الناس: لا وجه لها. وتبين ما قاله: إن تشديد الشين إنما يكون

(١) المحرر الوجيز: ١ - ١٤٣.

بإدغام التاء فيه، والماضي لا يكون فيه ناءات، فتبقى إحداها وتدغم الأخرى. ويمكن أن توجه هذه القراءة على أن أصله: اشابهت، والتاء هي تاء البقرة، وأصله أن البقرة اشابهت علينا، ويقوي ذلك لحاق تاء التأنيث في آخر الفعل، أو اشابهت أصله: تشابهت، فأدغمت التاء في الشين واجتلبت همزة الوصل. فحين أدرج ابن أبي إسحاق القراءة، صار اللفظ: أن البقرة اشابهت، فظن السامع أن تاء البقرة هي تاء في الفعل، إذ النطق واحد، فتوهم أنه قرأ: تشابهت، وهذا لا يظن بابن أبي إسحاق، فإنه رأس في علم النحو، وممن أخذ النحو عن أصحاب أبي الأسود الدؤلي مستتب علم النحو. وقد كان ابن أبي إسحاق يزري على العرب وعلى من يستشهد بكلامهم، كالفردق، إذا جاء في شعرهم ما ليس بالمشهور في كلام العرب، فكيف يقرأ قراءة لا وجه لها، وإن البقر تعليل للسؤال، كما تقول: أكرم زيداً إنه عالم، فالحامل لهم على السؤال هو حصول تشابه البقر عليهم. (١)

ويرى أبو البقاء العكبري أن قراءة (إنَّ الباقِرَ) قراءة شاذة (٢). ووجه السمين الحلبى القراءات الواردة في هذه الآية بقوله: " قوله: {إنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا} "البقر" اسم إنَّ وهو اسم جنس كما تقدّم. وقرئ "الباقر" وهو بمعناه كما تقدم. و "تَشَابَهَ" جملة فعلية في محل رفع خبراً لإنَّ، وقرئ: "تَشَابَهَ" مشدداً ومخففاً وهو مضارع، فالأصل: تَشَابَهُ بتاءين، فأدغم وحذف منه أخرى، وكلا الوجهين مقيس. وقرئ أيضاً: يَشَابَهُ بتاءين، فأدغم وحذف منه أخرى، وكلا الوجهين مقيس. وقرئ أيضاً: يَشَابَهُ بالياء من تحت وأصله يتشابه فأدغم أيضاً، وتذكير الفعل وتأنيثه جائزان لأن فاعله اسم جنس وفيه لغتان: التذكير والتأنيث، قال تعالى: {أَعْجَازُ نَحْلِ خَاوِيَةٍ} فَأَنْتَ، و {أَعْجَازُ نَحْلِ

(١) البحر المحيط: ١ - ٤١٩.

(٢) التبيان: ٤٣.

مُنْفَعِرٍ { فذَكَرَ، ولهذا موضعٌ نستقصي منه، يأتي إن شاء الله تعالى. وَتَشَابَهُ بَتَاءِينِ عَلَى الْأَصْلِ، وَتَشَبُّهُ بِتَشْدِيدِ الشَّيْنِ وَالبَاءِ مِنْ غَيْرِ أَلْفٍ، وَالْأَصْلُ: تَشَبَّهُ. وَتَشَابَهَتْ، وَمُتَشَابِهَةٌ، وَمُتَشَابِهٌ، وَمُتَشَبِّهٌ عَلَى اسْمِ الْفَاعِلِ مِنْ تَشَابَهٍ وَتَشَبُّهٍ، وَقُرئ: تَشَبَّهَ مَاضِيًا. وَفِي مَصْحَفِ أَبِي: "تَشَابَهَتْ" بِتَشْدِيدِ الشَّيْنِ. قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: "هُوَ غَلَطٌ لِأَنَّ التَّاءَ فِي هَذَا الْبَابِ لَا تُدْعَمُ إِلَّا فِي الْمَضَارِعِ"، وَهُوَ مَعذُورٌ فِي ذَلِكَ. وَقُرئ: تَشَابَهَ كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ بَطَرَ تَاءَ التَّانِيثِ، وَوَجَّهَهَا عَلَى إِشْكَالِهَا أَنْ يَكُونَ الْأَصْلُ: إِنَّ الْبَقْرَةَ تَشَابَهَتْ فَالتَّاءُ الْأُولَى مِنَ الْبَقْرَةِ وَالتَّاءُ الثَّانِيَةُ مِنَ الْفِعْلِ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ مَقَارِبَانِ أُدْعِمَ نَحْوُ: الشَّجْرَةُ... إِلَّا أَنَّهُ يُشْكَلُ أَيْضًا فِي تَشَابَهٍ مِنْ غَيْرِ تَاءٍ، لِأَنَّهُ كَانَ يَجِبُ ثَبُوتُ/ عِلْمَةُ التَّانِيثِ، وَجَوَابُهُ أَنَّهُ مِثْلُ:..... * وَلَا أَرْضَ أَبْقَلٍ إِبْقَالَهَا

مع أن ابن كيسان لا يلتزم ذلك في السعة. " (١)

٣ - سورة البقرة: الآية (٢١٢):

[زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ] {البقرة: ٢١٢}

دارت أقوال العلماء حول قوله تعالى (زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) ولماذا جاء الفعل (زَيْنَ) مُذَكَّرًا، ونائب فاعله (الحياة) مؤنثًا؟ فجاءت أقوالهم على النحو التالي: حيثُ بيَّن الفراءُ علَّةَ تذكيرِ الفعلِ (زَيْنَ) وبيَّن مذهبَ العربِ في الأسماءِ الموضوعَةِ تذكيرًا وتأنينًا بقوله: " ولم يقل " زُيِنْتَ " وذلك جائزٌ، وإنما ذُكِرَ الفعلُ والاسمُ مؤنثًا؛ لأنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنْ فِعْلِ فِي مَذْهَبِ مَصْدَرٍ. فَمَنْ أَنْتَ أَخْرَجَ الْكَلَامَ عَلَى اللَّفْظِ، وَمَنْ ذَكَرَ ذَهَبَ إِلَى تذكيرِ المَصْدَرِ. ومثلهُ " فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى " و " قد " قَدْ

(١) الدر المصون: ١ - ٣٢١.

جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ "، " وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا عَلَى مَا فَسَّرْتُ
لَكَ.

فأما في الأسماء الموضوعية فلا تكاد العرب تُذَكِّرُ فعلَ مؤنثٍ إلا في الشِّعرِ
لضرورته. وقد يكون الاسم غيرَ مخلوقٍ من فعلٍ، ويكون فيه معنى تأنيثٍ وهو مُذَكَّرٌ
فيجوزُ فيه تأنيثُ الفعلِ وتذكيره على اللفظِ مرَّةً وعلى المعنى مرَّةً؛ من ذلك قوله عزَّ
وجلَّ " وكذَّبَ به قومكَ وَهُوَ الْحَقُّ " ولم يقل " كَذَّبَتْ " ولو قيلتَ لكانَ صواباً؛ كما
قال " كَذَّبَتْ قَوْمُ نوحٍ " ذَهَبَ إلى تأنيثِ الأُمَّةِ، ومثله من الكلامِ في الشِّعرِ كثيرٌ؛ منه
قولُ الشَّاعرِ: فَإِنَّ كِلَاباً هَذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ * * وَأَنْتَ بَرِيٌّ مِنْ قِبَائِلِهَا الْعَشْرِ (١)

وكانَ ينبغي أن يقول: عشرة أبطنٍ؛ لأنَّ البطنَ نكر، ولكنَّهُ في هذا الموضع في
معنى قبيلة، فأنتَ لتأنيثِ القبيلة. وكذلك قول الآخر: وقائع في مُضِرِّ تسعة * * وفي
وائلِ كانتِ العاشرة

فقال: تسعة، وكانَ ينبغي له أن يقول: تسع؛ لأنَّ الوقعة أنثى، ولكنَّهُ ذَهَبَ إلى
الأيام؛ لأنَّ العرب تقولُ في معنى الوقائع: الأيام؛ فيقالُ هو عالمٌ بأيامِ العربِ، يُريدُ
وقائعها.

فأما قولُ الله تبارك وتعالى [وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ] فَإِنَّهُ أريدَ به - والله أعلم - : جُمِعَ
الصَّيَاءانِ. وليس قولهم: إِنَّمَا ذَكَرَ فِعْلَ الشَّمْسِ لِأَنَّ الْوَقُوفَ لَا يَحْسُنُ فِي الشَّمْسِ
حَتَّى يَكُونَ مَعَهَا الْقَمَرُ بِشَيْءٍ، ولو كانَ هذا على ما قيل لقالوا: الشَّمْسُ جمع
والقمرُ. ومثلُ هذا عيرُ جائزٍ، وإن شئتَ ذَكَرْتَهُ؛ لأنَّ الشَّمْسَ اسمٌ مؤنثٌ ليس فيها
هاءٌ تدلُّ على التَّأنيثِ، والعربُ رُبَّمَا ذَكَرَتْ فِعْلَ الْمُؤنَّثِ إِذَا أَسْقَطَتْ مِنْهُ عِلَامَاتِ

(١) في العيني: " قائله رجل من بني كلاب يسمى النَّوَّاح " وورد في اللسانِ (بطن) من غير عزو.
نقلا عن المحقق.

التَّائِيثِ قَالَ الْفَرَاءُ: أَنشَدَنِي بَعْضُهُمْ: فَلَا مُزْنَةَ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا * * وَلَا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا
(١)

قال: وأنشدني يونس - يعني النحوي البصري - عن العرب قول الأعشى:

إلى رجلٍ منهم أسيْفٍ كأنما * * يضمُّ إلى كَشْحِيهِ كَفًّا مخضباً (٢)

وأما قوله: [السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعُدُّهُ مَفْعُولًا] فَإِنْ شئتَ جعلتَ السَّمَاءَ مؤنَّثَةً بمنزلة العين فلما لم يكن فيها هاءٌ مما يدلُّ على التَّائِيثِ ذَكَرَ فعلها كما فعلَ بالعين والأرضِ في البيتين. ومن العربِ مَنْ يُذَكِّرُ السَّمَاءَ؛ لأنَّه جَمَعَ كأن واحدته سماوة أو سماءة. قال: وأنشدني بعضهم:

فلو رفعَ السَّمَاءُ إليه قوماً * * لحقنا بالسَّمَاءِ مع السَّحابِ (٣)

فإن قال قائل: رأيتَ الفعلَ إذا جاءَ بعدِ المصادرِ المؤنَّثة أيجوزُ تذكيره بعدَ الأسماءِ كما جازَ قبلها؟ قلت: ذلك قبيحٌ وهو جائزٌ. وإنما قبح لأنَّ الفعلَ إذا أتى بعد الاسم كان فيه مكنيٌّ من الاسمِ فاستقبحوا أن يضمروا مُذَكِّراً قبله مؤنَّث، والَّذين استجازوا ذلك قالوا: يُذهَبُ به إلى المعنى، وهو في التَّقْدِيمِ والتَّأخِيرِ سواء؛ قال الشَّاعرُ: فإن تعهدي لامرئٍ لَمَّةً * * فإنَّ الحوادثَ أزرى بها (٤)

(١) هذا في سيبويه ١: ٢٤٠، وقد نسب لعامر بن جوين الطائي. وقال الأعلَمُ: "وصف أرضاً مخصبة لكثرة ما نزل بها من الغيث. والودق: المطر. والمزنة: السحاب" وانظر الخزانة ١: ٢١.

(٢) البيت في ديوان الأعشى طبع أوربا: أرى رجلاً منكم أسيفاً... *، والأسيفُ من الأسفِ وهو الحزن. وقوله: "كأنما يضم..." أي كأنه قطعته يده فحضبت كفه بالدم، فهو لذلك أسيف حزين.

(٣) ورد في اللسان (سما) من غير عزو.

(٤) في سيبويه ١: ٢٣٩، وفيه بدل الشطر الأول: * فإمَّا ترى لمتى بدلت *، وهو من قصيدة للأعشى في الصبح المنير ١٢٠ يمدح فيها رهط قيس بن معد يكرب ويزيد بن عبد المدان.

ولم يقل: أزرين بها ولا أزرْت بها. والحوادثُ جَمَعٌ ولكنَّهُ ذهبَ بها إلى معنى الحدثانِ.

وكذلك قال الآخرُ:

هنيئاً لسعدٍ ما اقتضى بعد وقتي * * بناقةٍ سعدٍ والعشيَّةُ باردُ

كأنَّ العشيَّةَ في معنى العشيِّ؛ ألا ترى قولَ الله [أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا]، وقال الآخرُ:

إنَّ السَّماحةَ والشَّجاعةَ ضُمَّنا * * قبرا يَمروُ على الطَّريقِ الواضحِ (١)

ولم يقل ضُمَّنتا، والسَّماحةُ والشَّجاعةُ مؤنَّثتان للهائِ التي فيهما.

قال: فهل يجوزُ أن تذهبَ بالحدثانِ إلى الحوادثِ فتؤنِّث فعله قبله فتقولُ أهلكتنا الحدثانُ؟ قلت نعم؛ أنشدني الكسائي: ألا هلك الشَّهابُ المستنير * * ومدرُّهُنَّ الكميُّ إذا نغير (٢)

وحَمَّالُ المئينِ إذا أَلَمَّت * * بنا الحدثانُ والأَنيفُ النَّصُورُ

فهذا كلُّه كافٍ مما يحتاجُ إليه من هذا النَّوع. " (٣)

ويرى ابنُ جرير الطَّبْرِيُّ أنَّ نائبَ الفاعلِ في الآيةِ محذوفٌ وهو كلمة (حبُّ)، حيثُ فسَّر هذه الآيةَ بقوله: " يعني جلَّ ثناءؤه بذلك: زُيِّنَ للذينَ كفروا حُبَّ الحياةِ الدُّنيا العاجلةِ اللذاتِ، فهم يبتغون فيها المكائِرةَ والمفاخرةَ، ويطلبون فيها الرِّياساتِ

واللِّمة: الشَّعر يلم بالمنكب. وإزراء الحوادثُ بها: تغييرها من السَّوادِ إلى البياض. وقوله: "

فإن تعهدي " أي إن كنت تعهدين ذلك فيما مضى من الزَّمن. نقلا عن المحقق.

(١) لزياد بن الأعجم في رثاء المغيرة بن المهلب. وبعده: فإذا مررت بقبره فاعقر به * * كوم

الهجان وكل طرف سابع. وانظر الأغانِي: ١٤ : ١٠٢، وذيل الأمالي: ٨. وشرح شذور

الذَّهب: ١٦٩.

(٢) ورد البيتان في اللسان (حدث) من غير عزوٍ. وفيه " وهاب " بدل " حمال " في البيت الثاني.

(٣) معاني القرآن: ١ : ١٢٥ - ١٢٨. لأبي زكرياء يحيي بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ،

الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.

والمباهات، ويستكبرون عن اتِّباعك يا مُحَمَّدٌ، والإقرار بما جئتَ به من عندي، تعظما منهم على مَنْ صدَّقك واتَّبَعك، ويسخرون بَمَنْ تبعك من أهلِ الإيمانِ والتَّصديقِ بك.... (١)

ويرى الرَّجَّاجُ أنَّ سببَ تذكيرِ الفعلِ في الآيةِ يرجعُ إلى أنَّ تَأْنِيثَ الحياةِ ليسَ بحقيقيٍّ إذ معنى الحياةِ ومعنى العيشِ واحدٌ (٢). واتفَّقَ معه الفخرُ الرَّازِيُّ حينما قال: " في الآيةِ مسائلٌ:

المسألة الأولى: إنما لم يُقال: زُنَيْتَ لوجوهٍ:

أحدها: وهو قولُ الفرَّاءِ: أنَّ الحياةَ والإحياءَ واحدٌ، فإنَّ أنتَ فعلَى اللفظِ، وإنَّ ذَكَرَ فعلَى المعنى كقوله: [فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ] {البقرة: ٢٧٥}، [وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ] {هود: ٦٧}.

وثانيها: وهو قولُ الرَّجَّاجِ أنَّ تَأْنِيثَ الحياةِ ليسَ بحقيقيٍّ؛ لأنَّه ليسَ حيوانا بإزائه ذكر، مثل امرأةٍ ورجل، وناقاةٍ وجمل، بل معنى الحياةِ والعيشِ والبقاءِ واحدٌ فكأنَّه قال: زُنِينَ للذينَ كفروا الحياةَ الدُّنيا والبقاءَ.

وثالثها: وهو قولُ ابنِ الأنباري: إنَّما لم يقل: زُنَيْتَ؛ لأنَّه فصلٌ بينَ زُنِينَ وبينَ الحياةِ الدُّنيا، بقوله: (لِلَّذِينَ كَفَرُوا) وإذا فُصِّلَ بينَ فعلِ المؤنَّثِ وبينَ الاسمِ بفاصلٍ حَسُنَ تذكيرُ الفعلِ؛ لأنَّ الفاصِلَ يُعني عن تاءِ التَّأْنِيثِ. (١).

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٢٧٣: ٤، لمحمد جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة للنشر، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)، المكتبة الشاملة: موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(٢) زاد المسير في علم التفسير: ١ - ٢٢٨. لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) المكتب الإسلامي للنشر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ. المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.

ورأى أبو حيان الأندلسي أن نائب الفاعل مجازي التأنيث ولذلك جاء الفعل مُذَكَّرًا، و أن قراءة الفعل بالتذكير هي قراءة الجمهور، وذكر قراءة أخرى لابن أبي عبله بتأنيث الفعل ووجهها بقوله: " وقراءة الجمهور: زَيْن، على بناء الفعل للمفعول، ولا يحتاج إلى إثبات علامة تأنيث الفعل، ولكون المؤنث غير حقيقي التأنيث، وقرأ ابن أبي عبله: زَيْنَتْ بالناء وتوجيهها ظاهر؛ لأنَّ المُسند إليه الفعل مؤنث، وحذف الفاعل لفهم المعنى، وهو: الله تعالى، يؤيد ذلك قراءة مجاهد، وحמיד بن قيس، وأبي حيو: زَيْن، على البناء للفاعل، وفاعله ضمير يعود على الله تعالى، إذ قبله: (فإنَّ الله شديد العقاب) " (٢).

ورأى ابن الأنباري أن السبب في تذكير الفعل هو أن نائب الفاعل مجازي التأنيث والذي حسن ذلك هو الفصل بين الفعل ونائب الفاعل واتفق معه كُليل من العُكبري والسَّمين الحلبِّي (٣). حيث قال ابن الأنباري: " أنما قال: زَيْن، ولم يقل: زَيْنَتْ وإن كانت الحياة مؤنثة لوجود الفاصل الواقع بينهما على أنه يجوز ترك علامة التأنيث مع عدم الفصل؛ لأنَّ تأنيث الحياة ليس بحقيقي، والفعل يجوز فيه ترك علامة

(١) تفسير الفخر الرّازي (مفاتيح الغيب): ١ : ٨٦١، لمحَمَّد بن عمر بن الحسن الرّازي الشّافعي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء الكتب العربيّة، طبعة بولاق، المكتبة الشّاملة.

(٢) البحر المحيط: ٢ : ١٣٨، لمحَمَّد بن يوسف الشّهير بأبي حيان الأندلسي (٧٥٤هـ)، دار الكتب العلميّة، لبنان، بيروت، الطّبعة الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) تحقيق الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشّيخ علي محمّد معوّض، د. زكريا عبد المجيد النّوقي، المكتبة الشّاملة.

(٣) انظر على التّرتيب: البيان في غريب إعراب القرآن: ١ - ١٤٩، لأبي سعيد كمال الدّين أبي البركات ابن الأنباري

(٥١٣ - ٥٧٧ هـ) تحقيق طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السّقا، طبعة الهيئة المصريّة العامّة ٢٠٠٦ م. التّبيان: ٩٠، الدّر المصون: ١ - ٧٦٨.

التَّائِيثُ إِذَا كَانَ التَّائِيثُ غَيْرَ حَقِيقِيٍّ نَحْو: حَسُنَ الدَّارُ، واضطرمَّ النَّارُ، إِلَّا أَنَّ وجودَ الفصلِ يزيِدُ العلامةَ حُسْنًا، نَحْو، حَسُنَ اليَوْمَ الدَّارُ، واضطرمَّ اللَّيْلَةَ النَّارُ... " (١).

من العرض السابق يتضح لي أنَّ علَّةَ تذكيرِ الفعلِ (زُيِّنَ) في هذه الآية يرجعُ إلى عدَّة أسبابٍ هي:

- أ - الفصل بين الفعلِ ونائبِ الفاعلِ. وهو يزيِدُ العلامةَ حُسْنًا.
- ب - أن نائبِ الفاعلِ مجازيٌّ التَّائِيثُ.
- ج - أن معنى الحياة و معنى العيش واحدٌ.
- د - أن مذهبَ العربِ هو تذكيرُ فعلِ المؤنَّثِ إذا أسقطت منه علامة التَّائِيثِ وهو ما جاء به التَّعبيرُ القرآنيُّ وهو ما نصَّ عليه الفراءُ وغيره.
- ٣ - سورة البقرة الآية: (٢٧٥)

قال تعالى [الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] {البقرة: ٢٧٥}

دارت أقولُ العلماءِ حولِ قوله تعالى (فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ) ولماذا ورد الفعلُ (جاء) مُدَكَّرًا وفاعله (موعظة) مؤنَّثًا؟ على الرَّغم أن نفس الفعل (جاء) وردَ مؤنَّثًا وفاعله كلمة (موعظة) أيضاً في قوله تعالى [يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ...]. [يونس: ٥٧]. فجاءت إجاباتهم على النَّحو الآتي: حيثُ ذكرَ الطَّبْرِيُّ أنَّ السَّببَ في تذكيرِ الفعلِ هُنَا هو الحملُ على المعنى إذ المقصودُ بـ

(١) البيان في غريب إعراب القرآن: ١: ١٤٩.

(الموعظة) هنا (التذكير، والتخويف الذي ذكرهم به في آي القرآن، واستدل على قوله برأيٍ لسدي الذي قال: أمّا " الموعظة " فالقرآن^(١).

وذكر مكّي بن أبي طالب ثلاثة أسباب لتذكير الفعل (جاء) الأول: الحمل على المعنى فموعظة بمعنى وعظ. والثاني: لأنّ تأنيث الموعظة غير حقيقي. والثالث: الفصل بين الفعل والفاعل بـ (الهاء)^(٢). واتّفق معه أبو البركات ابن الأنباري^(٣).

وذكر كلٌّ من الزّمخشرّي، وابن عطية، والزجاج، والفخر الرّازي، والغكبري، وأبو حيّان، والسّمين الحلبيّ الأسباب السّابقة لتذكير الفعل ومنهم من ينقص سبباً منها^(٤). كما ذكروا قراءة الحسن وأبي (فمن جاءته موعظة) بتأنيث الفعل.

٥- سورة آل عمران الآية (١٠):

قال تعالى [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ] [آل عمران: ١٠]

دارت أقوال العلماء حول قوله تعالى (لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ) والقراءات التي وردت في (تغني) فقرأه الجمهور بالتاء. وهي القراءة الثابتة في القرآن في قوله تعالى [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ] [آل عمران: ١١٦]، وقوله [لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ

(١) جامع البيان: ٦ - ١٤.

(٢) مُشکل إعراب القرآن: ١ - ١٤٣. لأبي محمّد مكّي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥ - ٤٣٧ هـ) تحقيق د. حاتم صالح الضّامن، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة (١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م).

(٣) البيان: ١ - ١٨٠.

(٤) انظر على الترتيب: الكشاف: ١ - ٣٤٨. والمحرّر الوجيز: ١ - ٣٧٠، زاد المسير: ١ - ٣٧٠، مفاتيح الغيب: ١ - ١٠٤٠، والتبّيان: ١١٦، والبحر المحيط: ٢ - ٣٤٩، والدُر المصون: ١ - ١٠١٩.

أَمْوَالُهُمْ] {المجادلة: ١٧}. وهذه القراءة استحسناها أبو حاتم السجستاني حينما قال: " بالتاء أجودٌ مثل " شَعَلْتْنَا أَمْوَالْنَا " (الفتح: ١١) ^(١).

وهناك قراءة أخرى بالياء، وهو ما ذكره أيضاً، النَّحَّاسُ، العُكْبَرِيُّ، وأبو حَيَّان، والسَّمِينُ الحَلْبِيُّ، وذكروا أَنَّ مجيء الفعل مؤنثاً لأسبابٍ ثلاثة هي: الأول: الفصل بين الفعل وفاعله بالجارِّ والمجرورِ (عنهم). الثاني: أَنَّ التَّأْنِيثَ غيرُ حَقِيقِيٍّ. والثالث: أَنَّ (الأموال) جمعُ تكسيرٍ.

وهذه أقوالهم في هذا الشَّانِ:

قال النَّحَّاسُ: " وقرأ أبو عبد الرَّحْمَنِ (لَنْ يُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ) لَأَنَّهُ قد فَرَّقَ وهو تَأْنِيثٌ غيرُ حَقِيقِيٍّ. قال أبو حاتم: بالتاء أجودٌ مثل " شَعَلْتْنَا أَمْوَالْنَا " (الفتح: ١١). وذكر العُكْبَرِيُّ قراءة الجمهور بالتاء حيثُ قال ^(٢): " قوله تعالى (لَنْ تُغْنِيَ) الجمهورُ على التَّاءِ لتَأْنِيثِ الفاعلِ، ويُقرأ بالياءِ لأنَّ تَأْنِيثَ الفاعلِ غيرُ حَقِيقِيٍّ، وقد فُصِّلَ بينهما أيضاً "

وعند تعرضه لهذه الآية ذكرَ أبو حَيَّان القراءات الواردة فيها، حيثُ قال: " وقرأ أبو عبد الرَّحْمَنِ: لَنْ يُغْنِي، بالياءِ على تذكيرِ العلامة. وقرأ عليٌّ: لَنْ يُغْنِي، بسكون الياء. وقرأ الحسنُ: لَنْ يُغْنِي بالياءِ أولاً وبالياءِ من السَّكَنَةِ آخراً، وذلك لاستتقالِ الحركةِ في حرفِ اللين، وإجراءِ المنصوبِ مجرى المرفوعِ. وبعضُ النُّحَوِيِّينَ يَخْصُّ هذا بالصُّرُورَةِ، وينبغي ألاَّ يُخْصَّ بها، إذ كثر ذلك في كلامهم ^(٣).

(١) انظر إعراب القرآن للنَّحَّاس: ١ - ٣٥٨.

(٢) التبيان في إعراب القرآن: ١٢٥.

(٣) البحر المحيط: ٢ - ٤٠٥.

وهذا ما ذكره السَّمِينُ الحَلْبِيُّ أيضاً، حيثُ قال: " قوله تعالى: (لَنْ تُغْنِيَ) العامَّةُ على " تُغْنِي " بالتَّاءِ من فوقِ مراعاةً لتأنيثِ الجمعِ.... " (١).

٦- سورة آل عمران الآية (١٢):

قال تعالى [قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ] {آل عمران: ١٢}

هذه الآية من الآيات التي كثرت فيها أقوالُ العلماءِ حولِ القراءتين اللتين وردتا في قوله تعالى (سَتُغْلَبُونَ) حيثُ هناك قراءة بالتَّاءِ، وأخرى بالياءِ. وقد وجَّه القراءتين كلُّ من: الفراء، والأخفش الأوسط، والطَّبْرِيُّ، والرَّمْخَشَرِيُّ، وابنُ عطية، وابنُ الجوزي، والفخرُ الرَّازِيُّ، وأبو حيان الأندلسي، والسَّمِينُ الحَلْبِيُّ، وابنُ خالويه (٢)، كُلٌّ حسب وجهة نظره، وهذه بعضُ أقوالهم في هذا الشَّانِ:

حيثُ ذكرَ الفراءُ قراءتين في هذه الآية أحدهما بالتَّاءِ والثَّانيةُ بالياءِ، ووجَّهما بقوله: " وقوله [قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ...] تُقرأُ بالتَّاءِ والياءِ. فَمَنْ جعلها بالياءِ فَمَنْ جعلها بالياءِ فَإِنَّهُ ذهبَ إلى مخاطبةِ اليهود، وإلى أَنَّ الغلبةَ على المُشركينَ يعد يومَ أحد. وذلك أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا هَزَمَ المُشركينَ يومَ بدرٍ وهم ثلاثمائةٍ ونيِّفٍ والمُشركون ألفٌ إلا شيئاً قالتِ اليهودُ: هذا الَّذي لا تُردُّ له رايةٌ، فصدَّقوا. فقال بعضهم: لا تعجلوا بتصديقه حتَّى تكونَ وقعةٌ أخرى. فلَمَّا نُكِبَ المسلمونَ يومَ أُحد

(١) الدر المصون: ١ - ١١٠٧.

(٢) انظر على الترتيب: معاني القرآن للفراء: ١ - ١٩١، ١٩٢، معاني القرآن للأخفش: ١ -

٣٩٥، ٣٩٦، وجامع البيان: ٦ - ٢٢، والكشاف: ١ - ٣٦٨، والمحرر الوجيز: ١ -

٤٠٨، وزاد المسير: ١ - ٣٥٥، ومفاتيح الغيب: ١ - ١٠٩٩، والتبيان: ١٢٦، والبحر

المحيط: ٢ - ٤١٠، والدر المصون: ١ - ١١١٤، والحجة لابن خالويه: ١ - ١٠٦.

كذَّبُوا وَرَجَعُوا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: قُلْ لِلْيَهُودِ سِغْلَبٌ مُشْرِكُونَ وَيُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ. فَلَيْسَ يَجُوزُ فِي هَذَا الْمَعْنَى إِلَّا الْبَاءُ.

وَمَنْ قَرَأَ بِالتَّاءِ جَعَلَ الْيَهُودَ وَالْمُشْرِكِينَ دَاخِلِينَ فِي الْخَطَابِ. فَيَجُوزُ فِي هَذَا الْمَعْنَى سَيُغْلَبُونَ وَسَتُغْلَبُونَ؛ كَمَا تَقُولُ فِي الْكَلَامِ: قُلْ لِعَبْدِ اللَّهِ إِنَّهُ قَائِمٌ، وَإِنَّكَ قَائِمٌ. وَفِي حَرْفِ عَبْدِ اللَّهِ [قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ تَنْتَهُوا يُعْفَرُ لَكُمْ مَا قَدْ سَلَفَ] وَفِي قِرَاءَتِنَا " إِنْ يَنْتَهُوا يُعْفَرُ لَكُمْ مَا قَدْ سَلَفَ] ... " (١)

وَقَالَ الْأَخْفَشُ: " وَقَالَ: [قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ] أَي: إِنَّكُمْ سَتُغْلَبُونَ. كَمَا تَقُولُ: " قُلْ لِيَزِيدَ " : " سَوْفَ تَذْهَبُ " . وَقَالَ بَعْضُهُمْ [سَيُغْلَبُونَ] أَي: قُلْ لَهُمُ الَّذِي أَقُولُ. وَالَّذِي أَقُولُ لَهُمْ [سَيُغْلَبُونَ]. وَقَالَ [قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ تَنْتَهُوا يُعْفَرُ لَكُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا] (الأنفال: ٣٨) فَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْبَاءِ فِي الْقُرْآنِ لِأَنَّهُ قَالَ [يُعْفَرُ لَهُمْ] وَلَوْ كَانَ بِالتَّاءِ قَالَ [يُعْفَرُ لَكُمْ] وَهُوَ فِي الْكَلَامِ جَائِزٌ بِالتَّاءِ. وَتَجْعَلُهَا " لَكُمْ " كَمَا فَسَّرْتُ لَكَ " (٢)

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ (٣): " الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: { قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيُنْسِ الْمَهَادُ (١٢) } قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: اخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي ذَلِكَ. فَقَرَأَهُ بَعْضُهُمْ: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ) بِالتَّاءِ، عَلَىٰ وَجْهِ الْخَطَابِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ سَيُغْلَبُونَ. وَاحْتَجُّوا لِاخْتِيَارِهِمْ قِرَاءَةَ ذَلِكَ بِالتَّاءِ بِقَوْلِهِ: (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْنِ). قَالُوا: فِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ قَوْلَهُ: "سَتُغْلَبُونَ"، كَذَلِكَ، خَطَابٌ لَهُمْ. وَذَلِكَ هُوَ قِرَاءَةُ عَامَّةُ قِرَاءَةِ الْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ وَبَعْضِ الْكُوفِيِّينَ. وَقَدْ يَجُوزُ لِمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ فِي هَذِهِ

(١) معاني القرآن: ١ - ١٩١ - ١٩٢.

(٢) معاني القرآن: ١ - ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٣) جامع البيان: ٦ - ٢٢.

الآية: أَنَّ الموعودين بَأَن يُغْلَبُوا، هم الذين أَمَرَ النبي صلى الله عليه وسلم بَأَن يقول ذلك لهم = أَن يقرأه بالياء والتاء. لأن الخطاب بالوحي حين نزل، لغيرهم. فيكون نظير قول القائل في الكلام: "قلت للقوم: إنكم مغلوبون"، و"قلت لهم: إنهم مغلوبون". وقد ذكر أن في قراءة عبد الله: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ تَنَتَّهَوْا يُغْفَرْ لَكُمْ) [سورة الأنفال: ٣٨]، وهي في قراءة: (إِنْ يَنَتَّهَوْا يُغْفَرْ لَهُمْ).

وقرأت ذلك جماعة من قرأه أهل الكوفة: (سَيُغْلَبُونَ وَيُحْشَرُونَ)، على معنى: قل لليهود: سيغلب مشركو العرب ويحشرون إلى جهنم. ومن قرأ ذلك كذلك على هذا التأويل، لم يجز في قراءته غير الياء.

قال أبو جعفر: والذي نختار من القراءة في ذلك، قراءة من قرأه بالتاء، بمعنى: قل يا محمد للذين كفروا من يهود بني إسرائيل الذين يتبعون ما تشابه من آي الكتاب الذي أنزلته إليك ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله: "ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد". وإنما اخترنا قراءة ذلك كذلك، على قراءته بالياء، لدلالة قوله: (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ)، على أنهم بقوله: "ستغلبون"، مخاطبون خطابهم بقوله: "قد كان لكم"، فكان إلحاق الخطاب بمثله من الخطاب، أولى من الخطاب بخلافه من الخبر عن غائب. حدثنا... عن سعيد بن جبيرة أو عكرمة، عن ابن عباس قال، لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً يوم بدر فقدم المدينة، جمع يهود في سوق بني قينقاع. فقال: يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً! فقالوا: يا محمد، لا تغرنك نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش كانوا أعمارًا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس، وأنت لم تأت مثلنا فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم: "قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد" إلى قوله: "الأولي الأبصار"... قال أبو جعفر: فكل هذه الأخبار تنبئ عن أن المخاطبين

بقوله: "ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد"، هم اليهود المقول لهم: "قد كان لكم آية في فنتين"، الآية - وتدل على أن قراءة ذلك بالتاء، أولى من قراءته بالياء. " ووجه ابن خالويه القراءتين بقوله: " قوله تعالى (ستغلبون وتحشرون... يقرآن بالتاء والياء، فالْحُجَّةُ لِمَنْ قرأهنَّ بالتاءِ أَنَّهُ أرادَ قُلْ لهم يا مُحَمَّدٌ مواجهاً الخطابِ ستغلبون وهذا من أدلِّ دليلٍ على نبوته صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؛ لأنَّهُ أخبرهم عن الغيب بما لم يكن أَنَّهُ سيكون فكانَ كما قال. والْحُجَّةُ لِمَنْ قرأ بالياءِ أَنَّهُ خاطبَ نبيَّه بذلك وهم غيب فكانت الياءُ أولى لمكانِ الغيبة... " (١).

٧ - سورة آل عمران: الآية (١٣)

قال تعالى [قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ النَّعْتَا فِئَةٌ تَقَاتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ] [آل عمران: ١٣].

دارت أقوال العلماء في هذه الآية حول قوله تعالى (كَانَ لَكُمْ آيَةٌ) ولماذا جاء الفعل هنا مُذَكَّرًا مع أَنَّ اسمه (آية) مؤنث؟ على الرَّعْدِ غمَّ أَنَّ كلمة (آية) وردت في مواطن كثيرة مؤنثة مثل قوله تعالى [أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ] [البقرة: ١١٨]، وقوله [لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ] [الأنعام: ١٠٩]، و [وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ] [الأنعام: ١٢٤]، وورد فعلها في مواطن كثيرة مُذَكَّرًا مثل قوله تعالى [لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ] [الأنعام: ٣٧]، و [لَوْلا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ آيَةً] [يونس: ٢٠]، و [لَوْلا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ آيَةً] [الرعد: ٧]، و [لَوْلا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ آيَةً] [الرعد: ٢٧]، وورد الفعل مُذَكَّرًا واسمه مؤنثاً كما في [أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ] [الشعراء: ١٩٧]، وقوله [لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ] [سبأ: ١٥]، فجاءت أقوالهم

(١) الحجة لابن خالويه: ١ - ١٠٦.

على النحو الآتي: حيث ذكر الطبري أنّ المقصود بـ (آية) علامة، ودلالة على صدق ما أقول لكم: إنكم ستغلبون، وعبرة... وعن قتادة (آية) عبرة وتفكر^(١).
 وبين ابن الجوزي علة تنكير الفعل بقوله: "... فإن قيل لم قال قد كان لكم ولم يقل كانت لكم فالجواب من وجهين: أحدهما: أن ما ليس بمؤنث حقيقي يجوز تنكيهه.
 والثاني: أنه ردّ المعنى إلى البيان، فمعناه قد كان لكم بيان فذهب إلى المعنى وترك اللفظ...".^(٢)

وقال الرّازي: " اعلم أنّ في الآية مسائل:"

المسألة الأولى: لم يقل: قد كانت لكم آية، بل قال: (قد كان لكم آية) وفيه وجهان:
 الأوّل: أنه محمول على المعنى، والمراد: قد كان لكم إتيان هذا آية.

والثاني: قال الفراء: إنّما نكّر للفصل الواقع بينهما، وهو قوله (لكم).^(٣)
 وقال العكبري: " قوله تعالى (قد كان لكم آية) آية اسم كان، ولم يؤنث لأنّ التانيث غير حقيقي، ولأنه فصل، ولأنّ الآية والدليل بمعنى، وفي الخبر وجهان: أحدهما:
 لكم و (في فئتين) نعت لآية.

والثاني: أنّ الخبر في فئتين، ولكم متعلق بكان، ويجوز أن يكون لكم في موضع نصب على الحال على أن يكون صفة لآية: أي آية كائنة لكم فيتعلق بمحذوف..."
 (٤)

(١) جامع البيان: ٦ - ٢٢٩.

(٢) زاد المسير: ١: ٣٥٦.

(٣) مفاتيح الغيب: ١: ١١٠٠.

(٤) التّبيان في إعراب القرآن: ١٢٦.

وقال أبو حيَّان: " ولم يلحق التاء . كان، وإن كان قد أسندَ إلى مؤنَّث، وهو الآية، لأجلِ أنَّه تأنيثٌ مجازيٌّ. وازداد حُسناً بالفصلِ، وإذا كانَ الفصلُ حسناً في المؤنَّث الحقيقي، فهو أولى في المؤنَّث المجازي، ومن كلامهم: حضرَ القاضي امرأة، وقال:

إِنَّ امراً غَرَّهَ مُنْكَنَّ وَاحِدَةً * * بعدي وبعديك في الدنيا لمغرور^(١)

وقيل: ذَكَرَ لَأَنَّ معنى الآية البيانُ... " (٢)

وقال السَّمِينُ الحلبيُّ: " قوله تعالى: (قَدْ كَانَ): جوابُ قسمٍ محذوفٍ، و " آيةٌ " اسمٌ كان، ولم يؤنَّثِ الفعلُ لأنَّ تأنيثَ الآيةِ مجازيٌّ؛ ولأنَّها بمعنى الدليل والبرهان، لوجودِ الفصلِ بـ " لكم "، فإنَّ الفصلَ مُسَوِّغٌ لذلك مع كونِ التَّأنيثِ حقيقياً كقوله:

إِنَّ امراً غَرَّهَ مُنْكَنَّ وَاحِدَةً * * بعدي وبعديك في الدنيا لمغرورُ " (٣).

من العرضِ السَّابِقِ يَنْضَحُ لي أَنَّ العِلَّةَ في مجيءِ الفعلِ (كان) مُذَكِّراً عدَّةً أمور:

أ - الفصلُ بين الفعلِ (كان) واسمه (آية) بالجارِّ والمجرورِ (لكم).

ب - أنَّ كلمة (آية) مؤنَّثٌ ليس حقيقيً.

ج - الحملُ على المعنى حيثُ (آية) بمعنى دليل وبيان وبرهان وتفكُّر.

٨ - سورة آل عمران: الآية (٣٩)

قال تعالى [فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى

مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ] {آل عمران: ٣٩}

(١) الشَّاهِدُ في البيِّتِ قوله " إِنَّ امراً غَرَّهَ مُنْكَنَّ وَاحِدَةً " حيثُ أسندَ الفعلُ إلى اسمٍ ظاهرٍ حقيقي التَّأنيثِ، ولم يؤنَّثِ هذا الفعلُ، لوجودِ الفاصلِ بينَ الفعلِ وفاعله بقوله " مُنْكَنَّ " وذكر علامة التَّأنيثِ في مثلِ هذه الحالِ أرجحُ من حذفها. نقلًا عن الشَّيخِ محيي الدين في منتهى الأرب ص ١٧٤، ١٧٥.

(٢) البحر المحيط: ٢: ٤١٠، ٤١١.

(٣) الدُّرُّ السَّمِين: ١: ١١١٦.

دارت أقوالُ العلماءِ حول قوله تعالى (فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ)، وذكروا القراءات الواردة فيها ووجَّهوها، وبيَّنوا مذهب العربِ في تأنيثِ الأفعالِ إذا تقدَّمت على جماعةِ الذُّكورِ، وبيَّنوا المقصود بالملائكة، وهل هم جماعة الملائكة أم يُقصدُ بهم جبريل عليه السَّلام ؟ فجاءت أقوالُهم على النحو الآتي:

حيثُ ذَكَرَ الفَرَاءُ قراءتين في هذه الآية أحدهما بالياءِ والثَّانية بالنَّاءِ، حيثُ قال^(١): " وقوله: فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ... يُقرأ بالتذكيرِ والتَّأنيثِ. وكذلك فِعْلُ الملائكةِ وما أشبههم من الجمعِ: يُوْتِثُّ وَيُذَكَّرُ. وقَرَأَتِ القُرَاءُ (يعرج الملائكة، وتعرج) و(تتوفاهم - و - يتوفاهم) وكلُّ ذلك صوابٌ. فَمَنْ ذَكَرَ ذَهَبَ إلى معنى التَّذكيرِ، وَمَنْ أَنْتَ فَلِتَأنيثِ الاسمِ، وَأَنَّ الجماعةِ من الرِّجالِ والنِّساءِ وغيرهم يَقعُ عليه التَّأنيثُ. والملائكةُ في هذا الموضعِ جبريلُ صَلَّى اللهُ عليه وحدهُ. وذلك جائزٌ في العربيَّةِ: أن يُخبرَ عن الواحدِ بمذهبِ الجمعِ؛ كما تقول في الكلام: خَرَجَ فلانٌ في السُّفُنِ، وإنَّما خَرَجَ في سفينةٍ واحدةٍ، وخَرَجَ على البِغالِ، وإنَّما رَكَبَ بغلاً واحداً. وتقول: مِمَّنْ سمعت هذا الخبرَ ؟ فيقول: مِنَ النَّاسِ، وإنَّما سمعُهُ من رجلٍ واحدٍ. وقد قال اللهُ تبارك وتعالى: (وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ) (الرُّوم: ٣٣)، (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ) ومعناهما واللهُ أعلمُ واحدٌ: وذلك جائزٌ فيما يُقصدُ فيه قصدٌ واحدٌ بعينه "

وقد ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ أيضاً القراءات الواردة في هذه الآية، وكذا ذَكَرَ مذهب العربِ في تأنيثِ الأفعالِ إذا تقدَّمت على جماعةِ الذُّكورِ، حيثُ قال^(٢): " اختلفت القراءة في قراءة ذلك.

(١) معاني القرآن: ١ - ٢١٠.

(٢) جامع البيان: ٦ - ٣٦٣ - ٣٦٦.

فقرأته عامة قراءة أهل المدينة وبعض أهل الكوفة والبصرة: "فنادته الملائكة" على التأنيث بالتاء، يراد بها: جمع "الملائكة". وكذلك تفعل العرب في جماعة الذكور إذا تقدّمت أفعالها، أنثت أفعالها، ولا سيما الأسماء التي في ألفاظها التأنيث، كقولهم: جاءت الطلحات".

وقد قرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بالياء ^(١) بمعنى فناداه جبريل، فذكروه للتأويل، كما قد ذكرنا آنفاً أنهم يؤنثون فعل الذكر لفظ، فكذلك يذكرون فعل المؤنث أيضاً للفظ. واعتبروا ذلك فيما أرى بقراءة يذكر أنها قراءة عبد الله بن مسعود، وهو ما: - حدثني به المثني قال، حدثنا إسحاق بن الحجاج قال، حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد، أن قراءة ابن مسعود: (فَنَادَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ).

... قال أبو جعفر: فإن قال قائل: وكيف جاز أن يقال على هذا التأويل: "فنادته الملائكة"، و"الملائكة" جمع لا واحد؟ قيل: ذلك جائز في كلام العرب، بأن تخبر عن الواحد بمذهب الجمع، كما يقال في الكلام: "خرج فلان على بغال البُرد"، وإنما ركب بغلا واحداً = "وركب السفن"، وإنما ركب سفينة واحدة. وكما يقال: "ممن سمعت هذا الخبر؟" فيقال: "من الناس"، وإنما سمعه من رجل واحد. وقد قيل إن منه قوله [الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ] [سورة آل عمران: ١٧٣]، والقائل كان = فيما كان ذكر - واحداً = وقوله: [وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ] [سورة الروم: ٣٣]، والناس بمعنى واحد. وذلك جائز عندهم فيما لم يقصد فيه قصد واحد.

قال أبو جعفر: وإنما الصواب من القول عندي في قراءة ذلك، أنهما قراءتان معروفتان = أعني "التاء" و"الياء" فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. وذلك أنه لا اختلاف

(١) يعني قراءة من قرأ "فناداه" مماله، ورسمها في المصحف عندئذٍ "فناديه" بالياء، وهي قراءة حمزة والكسائي.

في معنى ذلك باختلاف القراءتين، وهما جميعاً فصيحتان عند العرب، وذلك أنّ "الملائكة" إن كان مراداً بها جبريل، كما روى عن عبد الله، فإن التأنيث في فعلها فصيحٌ في كلام العرب للفظها، إن تقدمها الفعل. وجائز فيه التنكير لمعناها. وإن كان مراداً بها جمع "الملائكة"، فجائز في فعلها التأنيث، وهو من قبلها، لفظها. وذلك أن العرب إذا قدّمت على الكثير من الجماعة فعلها، أنثته، فقالت: "قالت النساء". وجائز التنكير في فعلها، بناءً على الواحد، إذا تقدم فعله، فيقال: "قال الرجال".

وأما الصواب من القول في تأويله، فأُنْ يُقال: إن الله جل ثناؤه أخبر أنّ الملائكة نادته. والظاهرُ من ذلك، أنها جماعة من الملائكة دون الواحد، وجبريلٌ واحد. ولا يجوز أن يحمل تأويل القرآن إلا على الأظهر الأكثر من الكلام المستعمل في لسان العرب، دون الأقل = ما وُجِدَ إلى ذلك سبيل. ولم تَضْطَرْنَا حاجةً إلى صرف ذلك إلى أنه بمعنى واحد، فيحتاج له إلى طلب المخرج بالخفي من الكلام والمعاني. وبما قلنا في ذلك من التأويل قال جماعة من أهل العلم، منهم: قتادة، والربيع بن أنس، وعكرمة، ومجاهد، وجماعة غيرهم... ". وعند إعرابه لهذه الآية قال أبو جعفر النَّحَّاسُ ^(١): " وقرأ عبدُ اللهِ بنُ مسعود وابنُ عباس (فناداه الملائكة) ^(٢)، وهو اختيارُ أبي عبيدٍ وزويٍّ عن جريرٍ عن مغيرة عن إبراهيم كانَ عبدُ اللهِ يُذَكِّرُ الملائكةَ في كُلِّ القرآنِ قال أبو عبيدٍ: أنا أختارُ ذلكَ خلافاً على المُشركين لأنَّهُم قالوا الملائكةُ بناتُ اللهِ. قال أبو جعفرٍ: هذا احتجاجٌ لا يحصلُ منه شيءٌ لأنَّ العربَ تقولُ: قالتِ الرِّجالُ، وقالِ الرِّجالُ، وكذا النِّساءُ، وكيف يُحتجُّ عليهم بالقرآنِ ولو جازَ أن يُحتجَّ

(١) إعراب القرآن: ١ - ٣٧٣.

(٢) قرأها حمزة والكسائي بألفٍ ممالئةٍ. انظر تيسير الدّاني: ٨٧.

عليهم بهذا لجاز أن يحتجوا بقوله [وإذ قالت الملائكة] (آية: ٤٢)، ولكن الحجة عليهم في قوله جلّ وعزّ [أشهدوا خلقهم] (الزخرف: ١٩)، أي فلم يشاهدوا خلقهم فكيف يقولون: إنهم إناثٌ فقد علم أنّ هذا ظنٌّ وهوى، وأمّا فناداهُ فهو جائزٌ على تكديرِ الجميعِ وناذته على تأنيثِ الجماعة... "

وما ذكره الفرّاءُ والطّبريّ والنّحاسُ ذكره كلٌّ من ابنِ عطية^(١)، وابنِ الجوزيّ^(٢)، والفخرُ الرّازيّ^(٣)، وأبو حيّان في البحر المحيط^(٤).

وقال ابنُ الأنباري^(٥): " وقرئ، فناداه الملائكة. فمن قرأ، فنادته بالتأنيث أراد جماعة الملائكة. ومن قرأ: فناداه بالتذكير أراد جمع الملائكة، وكذلك لك في فعل جماعة التذكير والتأنيث سواء كانت الجماعة للمذكر أو للمؤنث، نحو: قال الرجال، وقالت الرجال، وقال النساء، وقالت النساء، فالتذكير بالحمل على معنى الجمع، والتأنيث بالحمل على معنى الجماعة. "

وهو ما ذكره أبو حيّان بقوله: " والملائكة جمعٌ تكسيرٍ، فيجوزُ أن يلحق العلامة، وأن لا يلحق. تقول: قام الرجال، وقامت الرجال. وإلحاق العلامة قيل: أحسن، ألا ترى إذ قالت الملائكة؟ ولما جاءت رسلنا؟ ومحسن الحذف هنا الفصل بالمفعول... " وقد استحسن العكبريّ القراءة بغير تاء، حيثُ قال^(٦): " قوله (فنادته) الجمهورُ على إثباتِ تاءِ التأنيث؛ لأنّ الملائكة جماعةٌ، وذكر قومُ التاءَ لأنها للتأنيث. وقد زعمت

(١) المحرر الوجيز: ١ - ٤٣٦.

(٢) زاد المسير: ١ - ٣٨١.

(٣) مفاتيح الغيب: ١ - ١١٣٨.

(٤) البحر المحيط: ٢ - ٤٦٤.

(٥) البيان في غريب إعراب القرآن: ١ - ٢٠٢.

(٦) التبيان: ١٣٣.

الجاهليَّة أَنَّ الملائكةَ إناثٌ فلذلك قرأ مَنْ قرأ فناداه بغيرِ تاءٍ والقراءةُ بهِ جيدةٌ؛ لأنَّ الملائكةَ جمعٌ وما اعتلوا بهِ ليس بشيءٍ؛ لأنَّ الإجماعَ على إثباتِ التَّاءِ في قوله (وإذ قالتِ الملائكةُ يا مريمُ) "

٩ - آل عمران: الآية (٨٦)

[كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] [آل عمران: ٨٦] دارت أقوالُ النُّحاةِ والمفسِّرينِ ومعربي القرآنِ حولِ قوله تعالى (وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) ولماذا جاءَ الفعلُ مُذَكَّرًا وفاعلُهُ (البيِّنات) مؤنَّثٌ؟ وقد وردت كلمة (البيِّنات) فاعلاً وفعلها مُذَكَّرًا في هذا الموضع، وفي قوله [جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ] [آل عمران: ١٠٥]، و [جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ] [طه: ٧٢]، و [إِنَّمَا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ] [غافر: ٦٦]. وقد وردت نفسُ الكلمةِ (البيِّنات) وفعلها ورد مؤنَّثاً في عدَّة مواطن من القرآنِ هي قوله تعالى [جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ] [البقرة: ٢٠٩]، و [جَاءَتْهُمْ] [البقرة: ٢١٣]، و [جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ] [البقرة: ٢٥٣]، و [جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ] [النساء: ١٥٣]، فجاءت أقوالهم على النحو التَّالي:

حيثُ فسَّر الطبريُّ قوله تعالى (وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) بأنَّها الحجُّجُ من عند الله والدلائلُ^(١). ورأى الرَّمخسريُّ أنَّها الشَّواهدُ من القرآنِ وسائر المعجزاتِ الَّتِي تثبت بمثلها النُّبوءُ^(٢). وبينَ ابنُ عطيةَ علَّةً تذكيرِ الفعلِ بقوله: "وأَسَدُ الفعلِ دُونَ علامةٍ إلى البيِّنات " من حيثُ نزلتْ منزلةَ البيانِ ومن حيثُ لا حقيقةً لتأنيثها"^(٣). وبينَ الفخرُ الرَّايزيُّ سببَ مجيء الفعلِ مُذَكَّرًا بقوله: " إِنَّمَا قَالَ (ما جاءهم البيِّنات) ولم يقل (جاءتهم)

(١) جامع البيان: ٦ - ٥٧٦.

(٢) الكشَّاف: ١ - ٤٠٨.

(٣) المحرَّر الوجيز: ١ - ٥١٠.

لجواز حذف علامة الفعل إذا كانَ فعلُ المؤنَّث مُتَقَدِّمًا^(١). واكتفي أبو حيان ببيان معنى البيئات حيث قال: " والبيئات: هي شواهدُ القرآنِ، والمُعْجَزَاتُ الَّتِي تَأْتِي بِمِثْلِهَا الْأَنْبِيَاءُ " ^(٢). وقال السَّمِينُ: " ولم يُؤنِّث الفعلَ للفصلِ ولكونه غيرَ حقيقي بمعنى الدلائل " ^(٣)

من العرض السابق يتضح لي أنَّ السَّبَبَ في مجيء الفعل مُذَكَّرًا في هذه الآية الكريمة يرجعُ إلى أسبابٍ ثلاثة هي: أ - الفصل بين الفعلِ وفاعله ب المفعولِ به، وذلك لأنَّ النُّحَاةَ قالوا إنَّ المفعولَ به لَمَّا فصلَ بينَ الفعلِ والفاعلِ بَعَدَ الفاعلُ فقلَّتِ العنايةُ به، أو لم يُدرَ في البداية مُذَكَّرٌ هو أم مؤنَّثٌ فجاءَ الفعلُ على الأصلِ وهو التَّذْكِيرُ، وتجرَّدَ من التَّاءِ، ويقولون إنَّ الفصلَ بالظَّرْفِ أو بالمفعولِ قامَ مقامَ التَّاءِ. ب - أن البيئات حُمِلت على معنى الشَّواهدِ والدلائلِ والبيان.

ج - أن تأنيث البيئات غير حقيقي.

١٠ - سورة آل عمران: الآية (١٠٥):

قَالَ تَعَالَى [وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ] {آل عمران: ١٠٥}

وهذه الآية مثل الآية السابقة حيث جاءَ الفعلُ مُذَكَّرًا وفاعله مؤنَّثاً في قوله تعالى: (جاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) ولماذا جاءَ الفعلُ مُذَكَّرًا فقال (جاءَ) ولم يقل (جاءت) ؟ فجاءت أقولُ العُلَمَاءِ على النَّحوِ الآتي: حيثُ بيَّن أبو جعفر النَّحَّاسُ علَّةَ تذكيرِ الفعلِ بقوله: " الَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى جَاءَهُمْ مُذَكَّرٌ

(١) مفاتيح الغيب: ١ - ١٢١٩.

(٢) البحر المحيط: ٢ - ٥٤١.

(٣) الدر المصون: ١ - ١٣٩٦.

على الجميع وجاءتهم على الجماعة. " (١). ورأى ابن عطية أن السبب في تكدير الفعل هو الحمل على المعنى فالبيئات بمعنى البيان، وتأنيت البيئات غير حقيقي (٢). وقال الفخر الرّازي: " إنما قال (من بعد ما جاءهم البيئات) ولم يقل (جاءتهم) لجواز حذف علامة الفعل إذا كان فعل المؤنث متقدماً " (٣). وعند العكبري تكدير الفعل يرجع إلى سببين: الأول: أن تأنيت البيئة غير حقيقي. والثاني: أن الآية بمعنى الدليل.

وقد اكتفى أبو حيان بتوضيح المقصود بالبيئات، حيث قال: " والبيئات على قول ابن عباس: آيات الله التي أنزلت على أهل كل ملة. وعلى قول الحسن: التوراة. وعلى قول قتادة وأبي أمامة: القرآن. "

وذكر السمين الحلبي ثلاثة أسباب لتكدير الفعل في الآية: الأول: الفصل بين الفعل وفاعله بالمفعول به. والثاني: أن التأنيت غير حقيقي. والثالث: الحمل على المعنى فالبيئات بمعنى الدلائل.

وأنا أتفق مع الجميع فيما ذهبوا إليه، وبصفة خاصة السمين الحلبي.

١١ - سورة آل عمران: الآية (١٠٦)

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ [آل عمران: ١٠٦]

(١) إعراب القرآن: ١ - ٣٩٩.

(٢) المحرر الوجيز: ١ - ٥١٠.

(٣) مفاتيح الغيب: ١ - ١٢١٩.

دارت أقوال النحاة والمفسرين ومُعربي القرآن حول قوله تعالى (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) وانصب اهتمام الرّمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، وأبي حيّان، والسّمين الحلبي، على القراءات الواردة في (تَبْيَضُّ، وَتَسْوَدُّ) (١).

حيث قال السّمين: " وقرأ يحيى بن وثاب وأبو نُهَيْك وأبو رزين العقيلي: "تَبْيَضُّ وَتَسْوَدُّ" بكسر التاء هي لغة تميم، وقرأ الحسن والزهري وابن محيصين وأبو الجوزاء: "تَبْيَاضٌ وَتَسَوَادٌ" بألف فيهما، وهي أبلغ فإنّ "ابياض" أدل على اتصاف الشيء بالبياض من أبيض، ويجوز كسر حرف المضارعة أيضاً مع/ الألف، إلا أنّي لا أنقله قراءة لأحد."

وعند تعرضه لهذه الآية قال الفرّاء (٢): " لم يُذكَرِ الفَعْلُ أَحَدٌ مِنَ الْقُرَّاءِ كَمَا قِيلَ [لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا] {الحج:٣٧} وقوله [لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ] {الأحزاب:٥٢} وَإِنَّمَا سَهَّلَ التَّنْكِيرُ فِي هَذَيْنِ لِأَنَّ مَعَهُمَا جَدًّا، وَالْمَعْنَى فِيهِ: لَا يَحِلُّ لَكَ أَحَدٌ مِنَ النِّسَاءِ، وَلَنْ يَنَالَ اللَّهُ شَيْءٌ مِنْ لِحُومِهَا، فَذَهَبَ بِالتَّنْكِيرِ إِلَى الْمَعْنَى، وَالْوَجْهُ لَيْسَ ذَلِكَ فِيهَا، وَلَوْ ذَكَرَ فَعَلَ الْوَجْهَ كَمَا نَقُولُ: قَامَ الْقَوْمُ لَجَازَ ذَلِكَ. " وقال النَّحَّاسُ (٣): " وَيَجُوزُ [يَوْمَ يَبْيَضُّ وُجُوهٌ] عَلَى تَنْكِيرِ الْجَمِيعِ ... "

وكلمة (وجه) من الألفاظ المُذَكَّرَة، حيث قال أبو بكر بن الأنباري في باب (ما يُذَكَّرُ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَلَا يُؤنَّثُ) (٤): " من ذلك " الوجّه " قَالَ طَرْفَهُ: وَوَجْهٌ كَأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ رِدَاهَا * * عَلَيْهِ نَقِيّ اللّوْنِ لَمْ يَتَّخَذِ (١)

(١) انظر على الترتيب: الكشاف: ١ - ٤٢٧، المحرر الوجيز: ١ - ٥١٠، وزادا لمعاد: ١ - ٤٣٥، البحر المحيط: ٣ - ٢٥، الدر المصون: ١ - ١٣٩٧.
 (٢) معاني القرآن: ١ - ٢٢٨.
 (٣) إعراب القرآن: ١ - ٣٩٩.
 (٤) المُذَكَّر والمؤنث: ص ٣٣٠.

ويُقال في جمعه: أوجه، ووجوه، وتُجعل الواو همزة لانضمامها، فيُقال: أوجه^(٢). "

وقد وردت كلمة (وجوه) وفعلها مؤنثاً في قوله تعالى [فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا] {الملك: ٢٧}، ووصفت بمؤنث في قوله تعالى [وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ] {القيامة: ٢٢} و قوله [وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ] {عبس: ٣٨}. وأنا أتفق مع الفراء وأبي جعفر النَّحَّاس فيما ذهبوا إليه.

١٢ - سورة آل عمران: الآية (١١٨)

قال تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ] {آل عمران: ١١٨} دارت أقوال النحاة والمفسرين ومُعربي القرآن حول قوله تعالى (بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) ولماذا جاء الفعل هنا مُدَكَّرًا؟ وكذا القراءة الواردة في الفعل بالتذكير (بدا)، فجاءت أقوالهم على النحو التالي:

حيث قال الفراء: " وفي قراءة عبد الله " وقد بدا البغضاء من أفواههم " ذَكَرَ لِأَنَّ الْبَغْضَاءَ مُصَدَّرٌ، وَالْمُصَدَّرُ إِذَا كَانَ مُؤنَّثًا جَازَ تَذْكِيرُ فِعْلِهِ إِذَا تَقَدَّمَ؛ مِثْلَ [وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ] {هود: ٦٧}، و[فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ] {الأنعام: ١٥٧}، وأشبه ذلك. "

(١) معنى (حَلَّتْ رِداها عليه): أَلْقَتْ حُسْنَهَا وَبَهَجَتَهَا، فَالرِّدَاءُ هُنَا الْحُسْنُ وَالْجَمَالُ، وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ (كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا عَلَيْهِ). وَالتَّخَدُّدُ: اضْطِرَابُ الْجِلْدِ وَاسْتِرْخَاءُ اللَّحْمِ. رَوَى وَوَجْهَ بِالرَّفْعِ وَالْجَرِّ وَقَدْ وَجَّهَ ذَلِكَ فِي بَسْطِ أَبُو بَكْرٍ فِي شَرْحِ الْقِصَائِدِ السَّبْعِ ص ١٤٦ - ١٤٨، وَانظُرْ شَرْحَ الْمَعْلَقَاتِ لِلتَّبْرِيذِيِّ ص ٦١، وَلِلرُّوزْنِيِّ ص ٤٨.

(٢) كَلٌّ وَوِ مِضْمُومَةٌ ضَمَّةٌ لَازِمَةٌ يَجُوزُ قَلْبُهَا هَمْزَةٌ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى [وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتَتْ] {المرسلات: ١١}.

وما ذكره الفرّاءُ ذكره الطَّبْرِيُّ أيضاً، حيثُ قال^(١): "البغضاء"، مصدر. وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله بن مسعود: ("قَدْ بَدَأَ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ")، على وجه التذكير. وإنما جاز ذلك بالتذكير ولفظه لفظ المؤنث، لأن المصادر تأنيثها ليس بالتأنيث اللازم، فيجوز تذكير ما خرج منها على لفظ المؤنث وتأنيثه، كما قال عز وجل: (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ) (سورة هود: ٦٧)، وكما قال: (فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ) (سورة الأنعام: ١٥٧)، وفي موضع آخر: (وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ) (سورة هود: ٩٤) (وجاءتكم بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ) (سورة الأعراف: ٧٣، ٨٥). "

ونفس الأمر صنعه الرّمخسريُّ ورأى أنَّ السَّبَبَ في تذكيرِ الفعلِ في قراءة التَّنْكِيرِ هو الحملُ على المعنى، فالْبَغْضَاءُ بمعنى الْبُغْضِ^(٢).

ورأى الفخرُ الرَّازِيُّ أنَّ: "البغضاء أشدُّ البغضِ، فالْبَغْضُ مع البغضاء كالضُّرِّ مع الضَّرَّاءِ"^(٣). وقد اتَّفَقَ أبو حَيَّانَ مع العلماء قبله، حيثُ قال: "وقرأ عبدُ اللهِ: قد بدا؛ لأنَّ الفاعلَ مؤنَّثٌ مجازاً أو على معنى البغض، أي لا يكتفون ببغضكم بقلوبكم حتَّى يصرِّحوا بذلك بأفواههم."^(٤) ونفس الكلام ذكره صاحب الدرِّ المصون^(٥).

وأنا اتَّفَقُ مع ما ذكره الفرّاءُ والطَّبْرِيُّ فيما ذهبوا إليه.

١٩ - سورة آل عمران (١٥٤):

{ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ... [آل عمران: ١٥٤]}

(١) جامع البيان: ٧ - ١٤٦.

(٢) الكشّاف: ١ - ٤٣٤، والمحرر الوجيز: ١ - ٥٢٢.

(٣) مفاتيح الغيب: ١ - ١٢٣٨.

(٤) البحر المحيط: ٣ - ٤٢.

(٥) الدرِّ المصون: للسَّمين الحلبي: ١ - ١٤٢١.

دارت أقوالُ النُّحَاةِ والمُفَسِّرِينَ ومُعَرَّبِي القرآنِ ^(١) حولِ قولِهِ تعالى (يَغْشَى طَائِفَةً) وذكرُوا قراءَتينِ في الفعلِ (يغشى، وتغشى) ووجهُهما وهذِهِ بعضُ أقوالهم في هذا الشَّانِ: حيثُ قال الفَرَاءُ: "تُقرأُ بالتَّاءِ فتكونُ للأمنَةِ؛ وبالياءِ فيكونُ للنُّعاسِ، مثل قولهِ [يغلي في البطونِ] وتغلي، إذا كانت (تغلي) فهي الشَّجْرَةُ، وإذا كانت (يغلي) فهو للمُهَلِّ " ^(٢)

وذكر الطَّبْرِيُّ قراءَتينِ لهذه الآية، أحدهما بالياءِ والثَّانِيَةُ بالتَّاءِ، وقد أجاز القراءَتينِ، حيثُ قال: " يعني بذلك جل ثناؤه: ثم أنزل الله، أيها المؤمنون من بعد الغم الذي أتاكم ربكم بعد غم تقدمه قبله = "أمنة"، وهي الأمان، على أهل الإخلاص منكم واليقين، دون أهل النفاق والشك. ثم بين جل ثناؤه، عن "الأمنة" التي أنزلها عليهم، ما هي؟ فقال = "نعاسًا"، بنصب "النعاس" على الإبدال من "الأمنة".

ثم اختلفت القراءة في قراءة قوله: "يغشى".

فقرأ ذلك عامة قرأة الحجاز والمدينة والبصرة وبعض الكوفيين بالتذكير بالياء: (يغشى).

وقرأ جماعة من قرأة الكوفيين بالتأنيث: (تغشى) بالتاء. وذهب الذين قرأوا ذلك بالتذكير، إلى أن النُّعاسَ هو الذي يغشى الطائفة من المؤمنين دون الأمنة، فدكره بتذكير "النعاس".

(١) انظر على الترتيب: معاني القرآن للفراء: ١ - ٢٤٠، جامع البيان: ٧ - ٣١٥، وإعراب القرآن للنحاس: ١ - ٤١٣، والكشاف: ١ - ٤٥٥، والبيان: ١ - ٢٢٦، وزاد المسير: ١ - ٤٨٠، ومفاتيح الغيب: ١ - ١٢٧٨، والتبيان: ١٥٤، والبحر المحيط: ٣ - ٩٣، والدُّر المصون: ١ - ١٤٩٠.

(٢) معاني القرآن: ١ - ٢٤٠.

وذهب الذين قرأوا ذلك بالتأنيث، إلى أن الأمانة هي التي تغشاهم فأنثوه لتأنيث "الأمانة".

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي، أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، غير مختلفتين في معنى ولا غيره. لأن "الأمانة" في هذا الموضع هي النعاس، والنعاس هو الأمانة. فسواء ذلك، (١) وبأبيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الحق في قراءته. وكذلك جميع ما في القرآن من نظائره من نحو قوله: [إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامٌ الْأَيْمِ كَالْمُهْلِ تَغْلِي فِي الْبُطُونِ] (سورة الدخان: ٤٣-٤٥) و [أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ ثَمْنَى] (سورة القيامة: ٣٧) [وَهَزِي إِلَيْكَ بِجُذَعِ النَّخْلَةِ تَسَاقِطُ]، (سورة مريم: ٢٥) " (١).

٢٠ - سورة النساء (٨١):

[وَيُفَوِّضُونَ طَاعَةً فَإِذَا بَرَّرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا] {النساء: ٨١}

دارت أقوال النحاة والمفسرين ومعربي القرآن حول قوله تعالى (بَيَّتَ طَائِفَةٌ) ولماذا جاء الفعل مُذَكَّرًا وفاعله مؤنثاً؟ وتحدّثوا عن معنى الطائفة، كما تحدّثوا عن القراءات الواردة في الفعل (بَيَّتَ) فجاءت أقوالهم على النحو التالي:

حيث قال الفراء: " وقوله (بَيَّتَ طَائِفَةٌ) القراءة أن تتصبّب التاء؛ لأنها على جهة فَعَلٍ. وفي قراءة

(١) جامع البيان: ٧ - ٣١٥.

قراءة عبد الله: " بَيَّتْ مُبَيَّتٌ مِنْهُمْ " غير الَّذِي تقول. ومعناه: غَيَّرُوا ما قالوا وخالفوا. وقد جزمها حمزةُ وقرأها بَيَّتْ طائفة. جزمها لكثرة الحركات، فلما سكنت التاء أدغمت في الطاء " (١).

وقد وضح الفراء معنى كلمة " الطائفة " عند تناوله لقوله تعالى: [إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً] {التوبة: ٦٦}، حيث قال: " والطائفةُ واحدٌ واثنان، وإنما نزل في ثلاثة نفرٍ استهزأ رجلان برسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والقرآن، وضحك إليهما آخر، فنزل [إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ] يعني الواحد الضاحك [نُعَذِّبْ طَائِفَةً] يعني المستهزئين. وقد جاء [وَلْيُشْهِدْ عَدَابَهُمَا طَائِفَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ]، يعني واحداً... " (٢).
وبيّن الأخفش سبب تذكير الفعل بقوله: " وقال (بَيَّتْ) فذكر فعل الطائفة؛ لأنهم في المعنى رجالٌ وقد أضافها إلى مذكّرين. وقال (وَإِنْ كَانَ طَائِفَةً مِنْكُمْ) (الأعراف: ٨٧). " (٣)

قال الطبري: "... يقولون لنبي الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذا أمرهم بأمر: أمرُك طاعةٌ، ولك منّا طاعةٌ فيما تأمرنا به وتنهانا عنه " وإذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ " يقول: فإذا خرجوا من عندك، يا مُحَمَّدٌ " بَيَّتْ طَائِفَةً مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ "، يعني بذلك جلاً ثناؤه: غير جماعة منهم ليلاً الذي تقول لهم. وكلُّ عملٍ عملٍ ليلاً فقد " بَيَّتْ " ومن ذل " بَيَّتْ " العدو، وهو الوقوع بهم ليلاً ومنه قول عبيدة بن همّام (٤):

(١) معاني القرآن: ١: ٢٧٩.

(٢) معاني القرآن: ١: ٤٤٥.

(٣) معاني القرآن: ١ - ٤٥١.

(٤) عبيدة بن همّام، أخو بني العدوية، من بني مالك بن حنظلة، من بني تميم، وظنّه ناشراً مجاز القرآن لأبي عبيدة " عبيدة بن همّام التغلبي "، وكلاً، فهذا إسلامي، وذاك جاهلي! ... نقلنا عن المحقق.

أَتُونِي فَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّتُوا * * وكانوا أتوني بشيءٍ نُكْرُ (١)

يعني بقوله: " فَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّتُوا " ليلاً أي: ما أبرموه ليلاً وعزموا عليه. ومنه قول النمر بن تولب العُكَلِي: هَبَّتْ لِنَعْدُنِي مِنَ اللَّيْلِ اسْمِعِ * * سَفَهًا تُبَيِّتُكَ الْمَلَامَةَ فَاهْجَعِي (٢)

يقول الله جل ثناؤه: ما [وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ] يعني بذلك جل ثناؤه: والله يكتب ما يُغَيِّرُونَ من قولك ليلاً في كُتِبَ أَعْمَالُهُمُ الَّتِي تَكْتَبُهَا حَفِظْتَهُ... وأمَّا قوله " بَيَّتَ طَائِفَةٌ

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١: ١٣٣، الحيوان: ٤: ٣٧٦، الكامل: ٢: ٣٥، ١٠٥، الأرملة والأمكنة للمرزوقي: ١: ٢٦٣، ديوان الأسود بن يعفر لنهشلي، أعشى بني نهشل، في ديوان الأعشيين: ٢٩٨، اللسان (نكر). وروي: فقد طرقتني بشيء، و " طرقتني " أتوني ليلاً. و " نُكْرُ " بضم فسكون: الأمر المنكر الذي تنكره، والبيت يتممه الذي بعده:

لَأُنْكِحَ أَيْمَهُمْ مُنْذِرًا * * وَهَلْ يُنْكِحُ الْعَبْدَ حُرًّا لِحُرٍّ ؟

الأيْمُ: من النِّسَاءِ، الَّتِي لَا زَوْجَ لَهَا، بَكَرًا كَانَتْ أَوْ ثِيَابًا. وَرَجُلٌ أَيْمٌ: لَا زَوْجَةَ لَهُ. وَ " مُنْذِرٌ " يعني المُنْذِرُ بن المُنْذِرِ، أَخَا الثُّعْمَانَ بن المُنْذِرِ، وَقَوْلُهُ: " وَهَلْ يُنْكِحُ الْعَبْدَ حُرًّا لِحُرٍّ ؟ " أَي: هَلْ يَنْكِحُ الْحُرُّ الَّذِي وَلَدَتْهُ الْأَحْرَارُ، عَبْدًا مِنَ الْعَبِيدِ، وَذَلِكَ تَعْرِيفٌ مِنْهُ بِالْمُنْذِرِ وَأَخِيهِ الثُّعْمَانَ، الَّذِي جَعَلَ امْرَأَتَهُ ظَنْرًا لِبَعْضِ وَلَدِ كَسْرَى، وَسَمَّاهُ كَسْرَى " عَبْدًا " وَقَوْلُهُ: " حُرٌّ لِحُرٍّ " أَي: حُرٌّ قَدْ وَلَدَتْهُ الْأَحْرَارُ. كَمَا تَقُولُ: هُوَ كَرِيمٌ لِكِرَامٍ، وَحُرٌّ لِأَحْرَارٍ، اللَّامُ فِيهِ لِلنَّسَبِ، كَأَنَّهُ قَالَ: كَرِيمٌ يَنْسَبُ إِلَى آبَاءِ أَحْرَارٍ... نَقْلًا عَنِ الْمُحَقِّقِ.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١: ١٣٣، والخزانة: ١: ١٥٣، والعيني (بهامش الخزانة) ٢: ٥٣٦، وشرح شواهد المعني: ١٦١ وغيرها.... وقوله: " اسمع " هذا قول امرأته أو أمه الَّتِي كَانَتْ تَلُومُهُ عَلَى الْكِرْمِ وَالسَّخَاءِ. وَيَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهَا كَانَتْ تُكْثِرُ مِنْ مَقَالَةٍ " اسْمِعْ، وَاسْمِعْ مِنْي ". وَقَوْلُهُ " سَفَهًا " أَي: بَاطِلًا وَخَفَةَ عَقْلٍ. وَقَوْلُهُ " تُبَيِّتُكَ الْمَلَامَةَ " لَيْسَ مِنْ مَعْنَى مَا أَرَادَ الطَّبْرِي، وَإِنْ كَانَ الشُّرَاحُ قَدْ فَسَّرُوهُ كَذَلِكَ. وَهُوَ عِنْدِي مِنْ قَوْلِهِمْ: " بَاتَ الرَّجُلُ " إِذَا سَهَرَ، وَمِنْهُ: " بَتُّ أَرْعَى التُّجُومِ "، أَي سَهَرْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا، فَقَوْلُهُ: تُبَيِّتُكَ الْمَلَامَةَ " أَي تَسْهَرُكَ مَلَامَتِي وَعِتَابِي، يَقُولُ: سَهَرْتُكَ الْمَضْنَى هَذَا مِنَ السَّفَرِ، فَنَامِي وَاهْجَعِي، فَهُوَ أَرْوَحُ مِنْكَ. فَاسْتَشْهَدَ أَبِي عَبِيدَةَ، وَالطَّبْرِي عَلَى أَثَرِهِ، بِهَذَا الْبَيْتِ، لَيْسَ فِي تَمَامِ مَوْضِعِهِ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ قَرِيبَ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ. نَقْلًا عَنِ الْمُحَقِّقِ.

"، فَإِنَّ النَّاءَ مِنْ " بَيَّتَ " تُحْرِكُهَا بِالْفَتْحِ عَامَّةً قِرَاءَةَ الْمَدِينَةِ وَالْعِرَاقِ وَسَائِرِ الْقِرَاءَةِ، لِأَنَّهَا لَامٌ " فَعَلٌ " وَكَانَ بَعْضُ قِرَاءَةِ الْعِرَاقِ يَسْكُنُهَا، ثُمَّ يَدْغَمُهَا فِي " الطَّاءِ " لِمُقَارِبَتِهَا فِي الْمَخْرَجِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَالصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ تَرْكُ الْإِدْغَامِ؛ لِأَنَّهَا، أَعْنِي " النَّاءَ " وَ " الطَّاءَ " مِنْ حَرْفَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، كَانَ تَرْكُ الْإِدْغَامِ أَفْصَحَ اللَّغْتَيْنِ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَاللُّغَةُ الْأُخْرَى جَائِزَةٌ أَعْنِي الْإِدْغَامَ فِي ذَلِكَ مُحْكِيَّةً " (١)

وما ذكره الأَخْفَشُ ذَكَرَهُ النَّحَّاسُ، حَيْثُ قَالَ: " [وَيَقُولُونَ طَاعَةً...] أَي أَمَرْنَا طَاعَةَ أَوْ مَنَّا طَاعَةَ. قَالَ الْأَخْفَشُ: وَيَجُوزُ طَاعَةَ بِالنَّصْبِ أَي نَطِيعَ طَاعَةَ (بَيَّتَ طَائِفَةً مِنْهُمْ) فَذَكَرَ الطَّائِفَةَ لِأَنَّهَا فِي الْمَعْنَى رِجَالٌ، وَأَدْغَمَ الْكُوفِيُّونَ النَّاءَ فِي الطَّاءِ لِأَنَّهُمَا مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ، وَاسْتَقْبَحَ ذَلِكَ الْكَسَائِيُّ فِي الْفِعْلِ، وَهُوَ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ غَيْرُ قَبِيحٍ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ أَبِي عَمْرٍو... " (٢).

وَقَالَ الرَّمَّحَشَرِيُّ: " وَتَذْكَيرِ الْفِعْلِ لِأَنَّ تَأْنِيثَ الطَّائِفَةِ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى الْفَرِيقِ وَالْفَوْجِ " (٣)

وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: ". وَذَكَرَ الْفِعْلَ لِتَقَدِّمِهِ وَأَنْ تَأْنِيثَ الْفَاعِلِ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ " (٤)
وَقَالَ الرَّازِيُّ: " فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ " أَي خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ (بَيَّتَ طَائِفَةً مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ) وَفِيهِ مَسَائِلُ:

المسألة الأولى: قَالَ الرَّجَاجُ كُلُّ أَمْرٍ تَفَكَّرُوا فِيهِ كَثِيرًا وَتَأَمَّلُوا فِي مَصَالِحِهِ وَمَفَاسِدِهِ كَثِيرًا قِيلَ هَذَا أَمْرٌ مَبِيَّتٌ قَالَ تَعَالَى: (إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ) {النساء: ١٠٨} وَفِي اشْتِقَاقِهِ وَجْهَانُ:

(١) جامع البيان: ٨: ٥٦٢ - ٥٦٦.

(٢) إعراب القرآن: ١ - ٤٧٤.

(٣) الكشاف: ١: ٣٤٨.

(٤) البيان في غريب القرآن: ١: ٢٦٢.

الأول: اشتقاقه من البيوتة؛ لأنَّ أصلَ الأوقاتِ للفكرِ أن يجلسَ الإنسانُ في بيته بالليل، فهناك تكونُ الخواطرُ والشواغلُ أقلَّ، فلمَّا كانَ الغالبُ أنَّ الإنسانَ وقتَ الليل يكونُ في البيتِ، والغالبُ له أنَّه إنَّما يستقصى في الأفكارِ في الليلِ، لاجرمِ سُمِّيَ الفكرُ المُستقصى مبيئاً.

الثاني: اشتقاقه من بيتِ الشعرِ. قالَ الأخفشُ: العربُ إذا أرادوا قرَضَ الشعرِ بالغوا في التَّفكُّرِ فيه فسمُّوا المُتفكِّرَ فيه المُستقصى مبيئاً، تشبيهاً له ببيتِ الشعرِ من حيث أنَّه يسوى ويدبر... المسألةُ الثالثة: قرأ أبو عمرو وحمزة (بيت طائفة) بإدغامِ التَّاءِ في الطَّاءِ، والباقون بالإظهارِ أمَّا مَنْ أدغمَ فلهُ فيه وجهان:

الأول: قال الفراءُ: جزموا لكثرة الحركات، فلمَّا سكنت التَّاءُ أدغمت في الطَّاءِ. والثَّاني: أنَّ الطَّاءَ والدَّالَ والتَّاءَ من حيزٍ واحدٍ، فالتَّقاربُ الَّذي بينهما يجريها مجرى الأمثالِ في الإدغامِ. ومما يحسن هذا الإدغامُ أنَّ الطَّاءَ تزيدُ على التَّاءِ بالإطباقِ، فحسُن إدغامُ الأنقص صوتاً في الأزيد صوتاً. أمَّا مَنْ لم يدغمَ فعَلَّته أنهما حرفان من مخرجين في كلمتين متفاصلتين، فوجبَ إبقاءُ كُلِّ واحدٍ منهما بحاله المسألةُ الرَّابعة: قالَ (بيت) بالتَّذكيرِ ولم يقل: بيتت بالتَّأنِيثِ؛ لأنَّ تَأْنِيثَ الطَّائِفَةِ غيرُ حقيقيٍّ، ولأنَّها في معنى الفريقِ والفوجِ. قالَ صاحبُ الكشَّافِ: (بيت طائفة) أي زورت وزينت خلاف ما قلت وما أمرت به، أو خلاف ما قلت وما ضمنت من الطَّاعة، لأنَّهم أبطنوا الرَّدَ لا القبولَ والعصيانَ لا الطَّاعة...^(١). وقالَ العُكْبَرِيُّ: " قوله تعالى (طاعة) خبر مبتدأ محذوفٍ: أي أمرنا طاعةً، ويجوزُ أن يكونَ مبتدأً: أي

(١) مفاتيح الغيب: ١: ١٥٠٤.

عندنا أو منّا طاعة (بيّت) الأصل أن تُفتح التاءُ لأنّه فعلٌ ماضٍ، ولم تلحقه تاءُ التّأنيثِ لأنّ الطّائفةَ بمعنى النّفَرِ... " (١)

وقال أبوحيان: " التّبْيِيتُ قال الأصمعيُّ وأبو عبّيدة وأبو العبّاس: كلُّ أمرٍ فُضي بليلاً، قيل: قد بيت. وقال الزّجاجُ: كلُّ أمرٍ مكر فيه أو خيص بليلاً فقد بيت. وقال الشّاعرُ:

أتوني فلم أرض ما بيّتوا * * وكانوا أتوني بشيءٍ نُكّر

وقال الأخفشُ: العربُ تقولُ للشّيءِ إذا قُدِرَ: بيت. وقال أبو رزين: بيت ألف. وقيل: هيئٌ وزور. وقيلَ قصد، ومنه قولُ الشّاعرِ:

لما تبيّتنا أبا تميمٍ * * أعطى عفاءَ اللّحزِ اللّئيمِ

أي: قصدنا. وقيل: التّبْيِيتُ التّبْدِيلُ بلغةٍ طيء، قال شاعرُهُم:

وتبييت قولي عند المليك * * قاتلك الله عبداً كفورا

... فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ (أي: إذا خرجوا من عندك رووا وسوا أي: طائفة منهم غير الذي تقوله لك يا مُحَمَّدٌ من إظهارِ الطّاعة، وهم في الباطنِ كاذبون عاصون، فعلى هذا الضّميرُ في تقولٍ عائدٌ على الطّائفة، وهو قولُ ابنِ عبّاس. وقيل: يعودُ على الرّسولِ صلّى اللهُ عليه وسلّم أي: غير الذي تقوله وترسم به يا مُحَمَّدٌ، وهو الخِلافُ والعصيانُ المُشتملُ عليه بواطنهم.

ويؤيّدُ هذا التّأويلَ قراءةُ عبدِ اللهِ بيّت مُبيّتٍ منهم يا مُحَمَّدٌ... ويُحتملُ أن يعودَ على الطّائفة؛ لأنّها في معنى القومِ أو الفريقِ، وخصّ طائفته بالتّبْيِينِ لأنّه لم يكونوا

(١) التّبيان في إعراب القرآن: ١٨٨.

ليجتمعوا كلهم في دارٍ واحدةٍ، أو لأنَّه إخبارٌ عن من علم الله أنُّ يبقى على كفره ونفاقه. وأدغم حمزة وأبو عمرو بيت طائفة، وأظهره الباقر " (١)

وقال السَّمِينُ الحلبيُّ: "... وأدغم أبو عمرو وحمزة تاءً " بيَّت " في طاءٍ " طائفة " لتقاربهما، ولم يلحق الفعلَ علامةً تأنيثٍ لكونه مجازياً. و " منهم " صفة لـ " طائفة "، والصَّمِيرُ في " تقول " يُحتملُ أن يكونَ ضميرَ خطابٍ للرَّسولِ - عليه السَّلامُ - أي: غيرَ الَّذي تقولُ وترسم به يا مُحَمَّد. ويؤيِّده قراءةُ عبد الله: " بيَّت مُبيِّتٌ منهم " وأن يكونَ ضميرَ غيبةٍ للطَّائفةِ أي: تقولُ هي. وقرأ يحيى بن يعمر: " يقول " بياءٍ الغيبة، فيُحتملُ أن يعودَ الصَّمِيرُ على الرَّسولِ بالمعنى المُتقدِّم، وأن يعودَ على الطَّائفة. ولم يُؤنِّثِ الصَّمِيرَ لأنَّ الطَّائفةَ في معنى الفريقِ والقوم... " (٢)

من العرض السابق يتضح لي أنَّ سبب تذكير الفعل في الآية يعودُ إلى عدَّة أسباب هي:

أ - أنَّ (الطَّائفة) مؤنَّث مجازي.

ب - الحملُ على المعنى حيثُ الطَّائفة بمعنى الرِّجال أو القوم أو الفريق أو الفوج أو الجماعة أو النَّفر.

ج - تقدُّم الفعل والفاعل غير حقيقي.

٢١ - سورة الأنعام: (١١)

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الأنعام: ١١]

دارت أقوالُ النُّحاةِ والمفسِّرين ومعرَّبِي القرآنِ حولِ قوله تعالى (كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ) ولماذا جاء الفعلُ مُذكَّراً وفاعله مؤنَّثاً؟ فجاءت أقوالهم على النَّحو التَّالي:

(١) البحر المحيط: ٣: ٣١٥ - ٣١٧.

(٢) الدُّرُّ المصون: ١: ١٧٨٠.

حيثُ قال مكِّي بن أبي طالب القيسي: " قوله: " كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ " (عاقبة) اسمُ كان وكيف خبر كان ولم يقل كانت لأنَّ عاقبتهم بمعنى مصيرهم ولأنَّ تَأْنِيثَ العاقبةِ غيرُ حقيقيِّ " (١)

وقال ابنُ عطية: " قُلْ سِيرُوا " الآية حَضُّ على الاعتبارِ بآثارِ مَنْ مضى مَمَّنْ فعلٌ فعلهم وقال " كَانَ " ولم يقل كانتُ لأنَّ تَأْنِيثَ العاقبةِ ليسَ بحقيقيِّ وهي بمعنى الآخرِ والمآلِ... " (٢).

وقال ابنُ الأنباري: " عاقبة، مرفوعٌ لأنَّه اسمُ كان. وكيف، في موضعِ نصبٍ لأنَّه خبرُ كان، وقال: كان، ولم يقل: كانت لوجهين:

أحدهما: لأنَّ (عاقبة المُكذِّبين) في معنى، مصيرهم، والحملُ على المعنى كثيرٌ في كلامهم.

والثاني: لأنَّ تَأْنِيثَ العاقبةِ غيرُ حقيقٍ فجازَ تذكيرُ فعلها كقولهم: حسن دارك، واضطرم نازك. " (٣)

وقال العكبري: " قوله تعالى: (كَيْفَ كَانَ) كيف خبر كان، و (عاقبة) اسمُها، ولم يُؤنِّثِ الفعلُ لأنَّ العاقبةَ بمعنى المعادِ فهو في معنى المُذَكَّرِ، ولأنَّ التَأْنِيثَ غيرُ حقيقيِّ. " (٤)

وقال السَّمِينُ الحلبيُّ: " قوله: (كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ) " كَيْفَ " خبرٌ مُقَدَّمٌ و "عَاقِبَةُ " اسمُها، ولم يُؤنِّثِ فعلُها لأنَّ التَأْنِيثَ غيرُ حقيقيِّ، ولأنَّها بتأويلِ المآلِ والمُنْتَهَى، فإنَّ العاقبةَ مصدرٌ على وزنِ فاعلةٍ، وهو محفوظٌ في ألفاظٍ تقدَّم ذكرُها وهي مُنْتَهَى الشَّيْءِ

(١) مشكل إعراب القرآن: ١: ٢٤٦.

(٢) المحرر الوجيز: ٢: ٣١٨.

(٣) البيان: ١: ٣١٤.

(٤) التَّيْبَان: ٢٣٦.

وما يصيرُ إليه. والعاقبةُ إذا أُطْلِقَتْ اختصَّتْ بالتَّوَابِ. قَالَ تَعَالَى: (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) وبالإضافة قد تُستعملُ في العقوبةِ كقوله تعالى: (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السَّوَاءَى) [فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ] فَصَحَّ أَنْ تَكُونَ استعارة من ضدهِ كقوله تعالى: (فبشرناهم بعدابِ أليمٍ) "وكيفَ" مُعلِّقَةٌ للنظرِ فيه في محلِ نصبٍ على إسقاطِ الخافضِ؛ لأنَّ معناه هنا التَّفَكُّرُ والتَّدَبُّرُ. (١)

مما سبق يتضح لي أنَّ سببَ تذكيرِ الفعلِ يعود إلى عدَّة أسباب هي:

أ - أن (العاقبة) مؤنث غير حقيقي.

ب - الحمل على المعنى حيثُ إنَّ العاقبة بمعنى المصير أو الآخر أو المال أو المعاد أو المنتهى.

٢٢ - سورة الأنعام (٥٥):

[وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَّا يَعْلَمُونَ] {الأنعام: ٥٥}

دارت أقوالُ النُّحاةِ والمُفسِّرينَ ومُعربي القرآن حول قولهِ تعالى [وَلِئَلَّاسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ] وأن كلمة (السَّبِيلِ) تُذَكَّرُ في بعضِ لغاتِ العربِ وتؤنثُ في بعضِ لغاتِ العربِ (٢)، فهي تُذَكَّرُ عند بني تميم وأهل نجد، وتؤنثُ عند أهلِ الحجاز، وكذلك تحدَّثوا عن القراءاتِ الواردة في الفعل (تستبين) تذكيراً وتأنيثاً، وهذه بعضُ أقوالهم في هذا الشأن:

(١) الدرُّ المصون: ١: ٢٣٠٢.

(٢) قال الشيخُ محمَّدُ عبد الخالقِ عُضَيْمَةَ: "في كتابِ الفراءِ" السَّبِيلُ يُوْنُثُ وَيُذَكَّرُ... وفي كتابِ أبي حاتم ص ٩ "السَّبِيلُ يُذَكَّرُ وَيُوْنُثُ" وفي المُذَكَّرِ للمُبَرِّدِ ص ١٤١ "وهو السَّبِيلُ، وهي السَّبِيلُ" وفي كتابِ ابنِ جَنِّي "السَّبِيلُ يُذَكَّرُ وَيُوْنُثُ" وانظر البُلغة ص ٦٧. وفي المُخصَّصِ ج ١٧ ص ١٧: "السَّبِيلُ، يُذَكَّرُ وَيُوْنُثُ،... انظر هامش المُذَكَّرِ والمؤنثِ لأبي بكر بن الأنباري ص ٤٢٣ هامش رق (٢).

قال الفرّاء: " وقوله: [وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ] ترفعُ السَّبِيلَ بقوله (وليتستبين) لأنَّ الفعلَ له. مَنْ أَنْتَ السَّبِيلَ قَالَ: (وليتستبين سبيلُ المجرمين). وقد يُجعلُ الفعلُ للنَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عليه وسلم - فتنصبُ السَّبِيلَ، يُرادُ به ولتستبين يا مُحَمَّدَ سبيلَ المجرمين. " (١)

وقال الأَخْفَشُ: " وَقَالَ [وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ] لِأَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ يَقُولُونَ: " هِيَ السَّبِيلُ " وَقَالَ بَعْضُهُمْ [وَلَيْسْتَبِينَ] (٢) يَعْنِي النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ - . وَقَالَ بَعْضُهُمْ [وَلَيْسْتَبِينَ سَبِيلُ] فِي لُغَةِ بَنِي تَمِيمٍ (٣) " (٤)

وقال الطَّبْرِيُّ: " واختلفتِ القراءةُ في قراءةِ قوله تعالى: [وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ] فقرأ ذلكَ عامةُ قُرَآةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ: [وَلِتَسْتَبِينَ] بِالنَّاءِ (سبيلَ المجرمين) بنصبِ " السَّبِيلِ " على أَنْ " تستبين " خطاباً للنَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَأَنَّ مَعْنَاهُ عِنْدَهُمْ: ولتستبين، أَنْتَ يَا مُحَمَّدَ، سبيلَ المجرمين.

وكانَ ابْنُ زَيْدٍ يَتَأَوَّلُ ذَلِكَ: ولتستبين، أَنْتَ يَا مُحَمَّدَ، سبيلَ المجرمين الَّذِينَ سَأَلُواكَ طَرِدَ النَّفَرِ الَّذِينَ سَأَلُوهُ طَرَدَهُمْ عَنْهُ مِنْ أَصْحَابِهِ. حَدَّثَنِي يُونُسُ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ " وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ " قَالَ: الَّذِينَ يَأْمُرُونَكَ بِطَرْدِ هَؤُلَاءِ وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ الْمَكِّيِّينَ وَبَعْضُ الْبَصْرِيِّينَ (وَلِتَسْتَبِينَ) بِالنَّاءِ (سبيلَ المجرمين) برفعٍ "

(١) معاني القرآن: ٢: ١٠.

(٢) وعلى هذه القراءة يجبُ فتحُ اللامِ، في " سبيل " وهي قراءةُ نافعٍ كما في التفسير ص ١٠٣ والسبعة ٢٥٨ والكشف ١: ٤٣٤.

(٣) أشارت كتب اللغة إلى لتأنيث و التذكير في لفظ " السَّبِيلِ " ولم تعزهما لغتين، المذكر والمؤنث ٨٧، والتذكير والتأنيث ١٦، والمذكر والمؤنث للمبرّد ١١٥، والبلغة ٦٧، ونسبها كالأخفش في " لهجة تميم " ٣١٧.

(٤) معاني القرآن، للأخفش: سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي ٢: ٤٩٠، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، لبنان الطبعة الأولى ١٤-٥٥ هـ ١٩٨٥.

السَّبِيل " على أَنَّ القصدَ للسَّبِيلِ، ولكنَّهُ يؤنِّثُها وكأنَّ معنى الكلامِ عندهم: وكذلك نفضِلُ الآياتِ، ولتتضح لك وللمؤمنين طريقُ المجرمين.

وقرأ ذلك عامَّةُ قراءة أهل الكوفة (وليستبين) بالياءِ (سبيلُ المجرمين) برفع " السَّبِيل " على أَنَّ الفعلَ للسَّبِيلِ، ولكنَّهُم يذكِّرونه ومعنى هؤلَاءِ في هذا الكلامِ، ومعنى مَنْ قرأ ذلك بالتَّاءِ في " ولتستبين " ورفع " السَّبِيل " واحدٌ، وإنَّما الاختلافُ بينهم في تذكير " السَّبِيل " وتأنِيثِها.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين بالصَّوابِ عندي في " السَّبِيل " الرَّفْعُ؛ لأنَّ الله تعالى ذكره فصلَّ آياته في كتابه وتنزله، ليتبين الحقُّ بها من الباطلِ جميعاً مَنْ حُوطبَ بها، لا بعض دون بعضٍ. ومَنْ قرأ " السَّبِيل " بالنَّصبِ، فإنَّما جعلَ تبيينَ ذلك مقصوراً على النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

وأما القراءةُ في قوله: " ولتستبين " فسواء قرئت بالتَّاءِ أو بالياءِ، لأنَّ من العربِ مَنْ يذكِّرُ السَّبِيلَ وهم تميمٌ وأهلُ نجدٍ ومنهم مَنْ يؤنِّثُ " السَّبِيل " وهم أهلُ الحجاز. وهما قراءتانِ مستفيضتانِ في قراءةِ الأمصارِ، ولغتانِ مشهورتانِ من لغاتِ العربِ، وليس في قراءةٍ ذلك بإحداهما خلاف بقراءته الأخرى، ولا وجهُ لاختيارِ إحداهما على الأخرى بعد أن يرفعَ السَّبِيلَ للعلَّةِ التي ذكرنا. ^(١)

وقال أبو جعفر النَّحَّاسُ: " والسَّبِيلُ يُدَكَّرُ وَيؤنِّثُ والتَّأْنِيثُ أكثر... " ^(٢) وذكر أبو بكر بن الأنباري أَنَّ السَّبِيلَ تُدَكَّرُ وتؤنِّثُ، حيثُ قال: " و " السَّبِيلُ " يُدَكَّرُ وَيؤنِّثُ. قال اللهُ جلَّ ذِكْرُهُ [قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي] [يوسف: ١٠٨]، فأنثتُ، وقال: [وَأِنْ يَرَوْا

(١) جامع البيان: ١١: ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٢) إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النَّحَّاسِ المتوفى ٣٣٨هـ، ٢: ٧٠، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، مكتبة النهضة العربيَّة، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨م.

سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا [الأعراف: ١٤٦]، وفي قراءة أبي: لا يتخذوها سبيلاً، (وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا)، وقال جل ثناؤه: [وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَيْسَتَيْنِ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ]، وكان ابن كثير، وأبو عمرو يرفعان السبيل ويقراءن: (ولتستبين) بالتاء فيؤنثان السبيل، وكان عاصم وحمة والكسائي يقرأون: (وليستين سبيل) بالياء مع الرفع، فيذكرون السبيل قال الشاعر:

فلا تَبْعُدْ فَكُلُّ فَتَى أَنَاسٍ * * سَيُصْبِحُ سَالِكًا تِلْكَ السَّبِيلَا (١)

وقال سابق:

يَا نَفْسِ إِنَّ سَبِيلَ الرُّشْدِ وَاضِحَةٌ * * مُنِيرَةٌ كَبَيَاضِ الْفَخْرِ عَرَاءٌ " (٢)

وذكر ابن التستري الكاتب أن السبيل يُذَكَّرُ ويؤنث، وكلاهما فصيح (٣) وقال مكي القيسي: " قوله: " وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ " مَنْ قرأ بالتاء ونصب السبيل جعل التاء علامة خطابٍ واستقبالٍ وأضمر اسمَ النَّبِيِّ في الفعلِ وَمَنْ قرأ بالتاء ورفع السبيل جعل التاء علامة تانيثٍ واستقبالٍ ولا ضمير في الفعل ورفع السبيل بفعله. حكى سيبويه: استبان الشيء واستبنته أنا. فأما مَنْ قرأ بالياء ورفع السبيل لأنه يُذَكَّرُ ويؤنثُ ورفع بفعله. وَمَنْ قرأ بالياء ونصب السبيل أضمر اسمَ النَّبِيِّ في الفعل وهو

(١) البيت في المُذَكَّرِ والمؤنثِ للمُبرِّدِ ص ١٤١ وصدرة: فلا تجزع... وهو في مجاز القرآن ج ١ ص ٣١٩.

(٢) المُذَكَّرِ والمؤنثِ ص ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥.

(٣) المُذَكَّرِ والمؤنثِ: ٨١، وانظر ص ٥١، ٥٥.

الفاعلُ ونصب السَّبِيلَ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ. وَاللَّمُ فِي " لِتَسْتَبِينَ " مَتَعَلِّقَةٌ بِفَعْلِ مَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمَجْرِمِينَ فَصَلَّنَاهَا " (١). وَنَفْسُ الرَّأْيِ رَأْيَ الرَّمَخَشِرِيِّ (٢).

وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: " وَعَرَبُ الْحِجَازِ تَوَنَّتْ السَّبِيلَ وَتَمِيمٌ وَأَهْلُ نَجْدٍ يَذْكُرُونَهَا، وَخَصَّ سَبِيلَ الْمَجْرِمِينَ لِأَنَّهُمُ الَّذِينَ أَثَارُوا مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَقْوَالِ وَهُمْ أَهْمٌ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِأَنَّهَا آيَاتٌ رَدِّ عَلَيْهِمْ وَأَيْضًا فَتَبِينَ سَبِيلَهُمْ يَتَضَمَّنُ بَيَانَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ... " (٣).

وَقَالَ أَبُو الْبَرَكَاتِ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: " وَقَرَأَ: وَلِتَسْتَبِينَ بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ. وَسَبِيلٌ: بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ، فَمَنْ قَرَأَ بِالتَّاءِ وَالرَّفْعِ جَعَلَ التَّاءَ لِتَأْنِيثِ السَّبِيلِ لِأَنَّهَا مُؤَنَّثَةٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: [قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي] [يُوسُف: ١٠٨]. وَرَفَعَ (سَبِيلًا) لِأَنَّهُ فَاعِلٌ (تَسْتَبِينَ)، وَلَا ضَمِيرَ فِيهِ، وَمَنْ قَرَأَ بِالْيَاءِ وَالرَّفْعِ جَعَلَ السَّبِيلَ مُذَكَّرًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: [وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا] وَرَفَعَ (سَبِيلًا) لِأَنَّهُ فَاعِلٌ (يَسْتَبِينَ) وَلَا ضَمِيرَ فِيهِ، وَمَنْ قَرَأَ بِالتَّاءِ وَنَصَبَ سَبِيلًا كَانَتِ التَّاءُ لِلْخَطَابِ، وَنَصَبَ السَّبِيلَ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ، وَفِي تَسْتَبِينَ ضَمِيرٌ هُوَ الْفَاعِلُ، وَتَقْدِيرُهُ، وَلِتَسْتَبِينَ أَنْتَ سَبِيلَ الْمَجْرِمِينَ. وَيُقَالُ: اسْتَبَانَ الشَّيْءُ وَاسْتَبَنَتْهُ، فَيَكُونُ مَتَعَدِّيًّا كَمَا يَكُونُ لِأَزْمًا. وَمَنْ قَرَأَ بِالْيَاءِ وَنَصَبَ سَبِيلًا، أَضْمَرَ اسْمَ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي (يَسْتَبِينَ) وَهُوَ الْفَاعِلُ، وَنَصَبَ السَّبِيلَ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ. " (٤)

(١) مُشْكَلُ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ، لِأَبِي مُحَمَّدٍ مَكِّي بْنِ أَبِي طَالِبِ الْقَيْسِيِّ (٣٥٥ - ٤٣٧هـ)، ١: ٢٥٤.

تَحْقِيقُ الدُّكْتُورِ حَاتِمِ صَالِحِ الضَّمَانِ، مَوْسُةُ الرِّسَالَةِ، بِيْرُوتَ، لُبْنَانَ، الطَّبْعَةُ الثَّلَاثَةُ ١٤٠٧ - ١٩٨٧م.

(٢) الْكَشَافُ: ٢: ٢٩.

(٣) الْمَحْرَرُ الْوَجِيزُ: ٢: ٣٥١.

(٤) الْبَيَانُ: ١: ٣٢٤.

وذكر ابنُ الجوزيُّ القراءات المختلفة في الآيةِ ثُمَّ قال: " وفي سبيلهم التي بُيِّتت له قولان:

أحدهما: أنها طريقهم في الشِّركِ ومصيرهم إلى الخزي قاله ابنُ عباسٍ. والثاني: أنها مقصودُهم في طردِ الفقراءِ عنه، وذلك هو الحسدُ لا إثثارِ مجالسته وإتباعه... " (١)

وقال الفخرُ الرَّازي: " وأهلُ الحجازِ يؤنثون السَّبيلَ، وبنو تميم يذكرونه. وقد نطق القرآنُ بهما فقال سبحانه [وَأِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا] [وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا]... " (٢)

وقال العُكبريُّ: " و (لتستبين) يقرأ بالياءِ، و (سبيل) فاعل: أي يتبين، وذكُر السَّبيلَ وهو لغة فيه، ومنه قوله تعالى: [وَأِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغي يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا] ويجوزُ أن تكون القراءةُ بالياءِ على أن تأنيتَ السَّبيلِ غيرُ حقيقيٍّ، ويُقرأ بالتاءِ والسَّبيلِ فاعل مؤنث وهو لغة فيه، ومنه [قل هذه سبيلي] ويُقرأ بنصب السَّبيلِ، والفاعلُ المخاطبُ، واللَّمُ تتعلَّقُ بمحذوفٍ: أي لتستبين فصلنا. " (٣)

٢٣ - الأنعام (١٠٤):

[قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ] {الأنعام: ١٠٤}

دارت أقوالُ النُّحاةِ والمفسِّرينِ ومعربي القرآنِ حول قوله تعالى [قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ] فتحدَّثوا عن معناها، وبيَّنوا لماذا جاءَ الفعلُ مُذَكَّرًا في هذه الآيةِ ؟ فجاءت إجاباتهم على النحو الآتي:

(١) زاد المسير: ٣: ٥٠.

(٢) مفاتيح الغيب: ١: ١٧٩١.

(٣) التَّبيان: ٢٤٤.

حيثُ رأى الطَّبْرِيُّ أَنَّ البصائرَ هي ما يُبصرون بهِ الهُدَى من الضَّلَالِ، والإيمان من الكُفْرِ، ورأى الزَّمخشرِيُّ أَنَّها نورُ القلبِ الَّذِي بهِ يُستبصرُ، ورأى ابنُ عطيةَ أَنَّها طرائقُ إبصارِ الحقِّ والمُعينةُ عليه، ورأى ابنُ الجوزيَّ أَنَّها الدَّلالةُ الَّتِي توجبُ البصرَ بالشَّيءِ والعلمَ بهِ، ورأى الزَّجَّاجُ أَنَّها القُرآنُ، ورأى الفخرُ الرَّازيُّ أَنَّها اسمٌ للإدراكِ التَّامِ الحاصلِ في القلبِ...^(١). وأرجعَ العُكبرِيُّ سببَ تذكيرِ الفعلِ في الآيةِ لسببينِ بقوله: " لم يلحقِ الفعلَ تاءُ التَّأنيثِ للفصلِ بينَ المفعولِ، ولأنَّ تَأنيثَ الفاعلِ غيرُ حقيقيٍّ " ^(٢).

وأرجع السَّمينُ الحلبيُّ تذكيرَ الفعلِ لسببينِ أيضاً: الفصلِ بالمفعولِ (الكاف) والبصائرُ مؤنثٌ مجازي. وهذه بعضُ أقوالِ العُلَماءِ في هذا الشَّانِ: حيثُ قال الطَّبْرِيُّ: "... قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: " قَدْ جَاءَكُمْ "، أَيُّها العادلون باللهِ، والمكذِّبون رسوله " بصائرٌ مِنْ رَبِّكُمْ "، أي: ما تبصرون بهِ الهُدَى من الضَّلَالِ، والإيمان من الكُفْرِ. وهي جمعُ " بصيرةٍ "، ومنه قولُ الشَّاعرِ: ^(٣) حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَكْتافِهِمْ * * وَبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتْدٌ وَأَيٌّ ^(٤)

(١) انظر على الترتيب جامع البيان: ١٢ - ٣٩٠، الكشاف: ٢ - ٥٢، المحرر الوجيز: ٢ -

٣٩٠، زاد المسير: ٣ - ٩٩

(٢) التبيان: ٢٥٦.

(٣) هو الأسعر الجعفي.

(٤) الأصمعيات: ٢٣ (وطبعة المعارف: ١٥٧)، والوحشيات رقم: ٥٨، والمخصص: ١: ١٦٠،

اللسان " بصر " " عتد " " وأي ". وغيرها كثير. وهي من قصيدة عيرَ فيها إخوته لأبيه، وذلك أنَّ أباه قُتِلَ وهو غلام، فأخذ إخوته لأبيه الذبَّهَ فأكلوها، فلمَّا شَبَّ = الأسعر أدرك بثأر أبيه، وقال قبله: وقد علمتُ على تجشمي الردى * * أنَّ الحصونَ الخيلُ لا مدرُّ القرى.

وفسر أصحابُ اللُّغةِ " البصيرة " هنا بأنَّها الدَّمُ ما لم يسيل، يعني دماءهم في أبدانهم، يعير إخوته. وقال غيرُهم: " البصائر " دم أبيهم، يقول تركوا دمَّ أبيهم خلفهم ولم يثأروا بهِ، وطلبه

يعني بالبصيرة الحجة البيّنة الظاهرة^(١)... قَالَ أَبُو زَيْدٍ: فِي قَوْلِهِ " قَالَ: " الْبَصَائِرُ
" الْهُدَى، بَصَائِرٌ فِي قُلُوبِهِمْ لِدِينِهِمْ، وَلَيْسَتْ بِبَصَائِرِ الرَّؤُوسِ. وَقَرَأَ: [فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى
الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ] {الحج: ٤٦}، وَقَالَ إِنَّمَا الدِّينُ بَصْرُهُ
وَسَمِعَهُ فِي الْقَلْبِ (٢) " (٣).

وَقَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: " وَالْبَصَائِرُ جَمْعُ الْبَصِيرَةِ، وَكَمَا أَنَّ الْبَصَرَ اسْمٌ لِلدِّرَاكِ التَّامِّ
الْكَامِلِ الْحَاصِلِ بِالْعَيْنِ فِي الرَّأْسِ، فَالْبَصِيرَةُ اسْمٌ لِلدِّرَاكِ التَّامِّ الْحَاصِلِ فِي الْقَلْبِ.
قَالَ تَعَالَى [يَلِ الْإِنْسَانَ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ] {القيامة: ١٤} أَي لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَعْرِفَةٌ
تَامَّةٌ، وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ (قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ) الْآيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَهِيَ فِي أَنْفُسِهَا
لَيْسَتْ بِبَصَائِرٍ إِلَّا أَنَّهَا لِقُوتِهَا وَجَلَالَتِهَا تَوْجِبُ الْبَصَائِرَ لِمَنْ عَرَفَهَا، وَوَقَفَتْ عَلَى
حَقَائِقِهَا، فَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ أَسْبَاباً لِحُصُولِ الْبَصَائِرِ. سُمِّيَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ أَنْفُسِهَا
بِالْبَصَائِرِ، وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانُ مَا يَتَعَلَّقُ بِالرَّسُولِ وَمَا لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ... " (٤)
وَقَالَ السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ: " قَوْلُهُ تَعَالَى: (قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ) إِنَّمَا ذَكَرَ الْفِعْلَ لِشَيْئَيْنِ:
أَحَدُهُمَا: الْفِعْلُ بِالْمَفْعُولِ، وَالثَّانِي: كَوْنُ التَّأْنِيثِ مُجَازِيًّا. وَالْبَصَائِرُ جَمْعُ الْبَصِيرَةِ،
وَهِى الدَّلَالَةُ الَّتِي تَوْجِبُ إِبْصَارَ النُّفُوسِ لِلشَّيْءِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلدَّمِ الدَّالِ عَلَى الْقَتِيلِ
بَصْرَةٌ. وَالْبَصِيرَةُ مُخْتَصَّةٌ بِالْقَلْبِ كَالْبَصْرِ لِلْعَيْنِ، هَذَا قَوْلٌ بَعْضُهُمْ.

أنا. و " عتد " (بفتح العين، وفتح الناء وكسرهما) الفرس الشديدي التام الخلق، السريع الوثبة،
المعد للجري، ليس فيه اضطراب ولا رخاوة. و " الوأي " الفرس السريع الطويل المقنن
الخلق.

(١) انظر: مجاز القرآن: لأبي عبيدة: ١: ٢٠٣.

(٢) (الدِّين) (بتشديد الياء وكسرهما): المتدين، صاحب الدين.

(٣) جامع البيان: ١٢: ٢٣.

(٤) مفاتيح الغيب: ١: ١٨٦٢.

وقال الرَّاعِبُ: " ويُقالُ لِقوَّةِ القلبِ المُدركةِ بصيرةً وبصر، قال تعالى [مَا زَاغَ الْبَصَرُ
وَمَا طَغَى] {النَّجْم: ١٧}.... " ^(١). وأنا أتفقُ مع العُكبريِّ والسَّمينِ الحلبيِّ فيما ذهبوا
إليه.

(١) الدُّرُّ المصون: ١ : ٢٥٢٩.

الخاتمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على أشرفِ المرسلين سيِّدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وأصحابه ومَنْ اتَّبَعَ سُنَّتَهُ إلى يومِ الدِّينِ، وبعدُ

فهذه النَّتائِجُ هي خلاصةٌ لما تفرَّق في ثنايا البحثِ من فصولٍ ومباحثٍ، وقد أكَّدتْ هذه النَّتائِجُ في موضعها من البحثِ، وأهمُّ هذه النَّتائِجُ:

(١) قَدِّمَتْ هذه الدِّراسةُ تعريفاً بالمُذَكَّرِ وتعريفاً بالمؤنَّثِ، وبيَّنتْ أقسامهما من حيثِ الحقيقةِ والمجازِ عند النُّحاةِ بِخاصَّةٍ واللُّغويينِ بعامةٍ. القُدَّامى والمُحدَّثينِ.

(٢) بيَّنتْ هذه الدِّراسةُ حالاتَ تذكيرِ الفعلِ وتأنيثه مع فاعله عند النُّحاةِ وجوباً وجوازاً.

(٣) بيَّنتْ هذه الدِّراسةُ دورَ القراءاتِ القرآنيَّةِ في توجيهِ الدِّلالةِ للفعلِ تذكيراً وتأنيثاً.

(٤) وضَّحتْ هذه الدِّراسةُ منهجَ العربِ وسننهم في المسائلِ الآتية:

- مسألة الحمل على المعنى والحمل على اللفظ عند تذكيرِ الفعلِ وتأنيثه.

- مسألة تغليبِ المُذَكَّرِ على المؤنَّثِ إذا اجتمعا.

- مسألة تذكيرِ الفعلِ وتأنيثه عندما يكون فاعله جمعاً.

(٥) بيَّنتْ الدِّراسةُ لغاتِ العربِ فيما يُذَكَّرُ ويؤنَّثُ من الأسماءِ، حيثُ أفادت من

القبائلِ العربيَّةِ المُختلفةِ وكيف تستعملُ المفردةَ تذكيراً وتأنيثاً. وقد ظهر هذا

جلياً في كلمة (السَّبيل) الَّتِي تُذَكَّرُ عند بعض القبائلِ وتُذَكَّرُ عند أخرى وغيرها

من الكلماتِ الأخرى.

(٦) بيَّنتْ هذه الدِّراسةُ إعجازَ القرآنِ الكريمِ في تأنيثه لبعضِ المفرداتِ وهو ما يتَّفَقُ

مع نظرياتِ العلمِ الحديثِ. على سبيلِ المثالِ كلمة (العنكبوت) الَّتِي أثبت العلمُ

الحديثُ أنَّ أنثى العنكبوتِ هي المسئولةُ عن بناءِ بيتها، وهو ما يتَّفَقُ مع القرآنِ

الكريم عندما أورد الفعل في الآية مؤنثاً في قوله تعالى [مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ] {العنكبوت: ٤١}.

(٧) رجعت هذه الدراسة في مادتها الأساسية إلى نماذج مُختارة من القرآن الكريم من سورة البقرة الآيات رقم (٤٨، ٧٠، ٢١٢، ٢٧٥) ومن سورة آل عمران الآيات رقم (١٠، ١٢، ١٣، ٣٩، ٨٦، ١٠٥، ١٠٦، ١١٨، ١٥٤) ومن النساء الآية (٨١) ومن الأنعام الآية (١١) وهناك أضعاف هذه الآيات وقد اكتفي بهذه النماذج لأنَّ المقام لا يسمح بأكثر من ذلك.

(٨) استقراء آراء النُّحاة والمفسِّرين ومعربي القرآن حول مسألة تذكير الفعل وتأنيثه في الآيات المُختارة.

(٩) رجعت هذه الدراسة في مصادرها إلى مجموعة من المصادر النُّحويَّة، والتَّفسيريَّة، وكتب معاني القرآن وإعرابه ومشكله، وكذا أفادت من كتب التَّذكير والتَّأنيث، وكتب القراءات القرآنية... إلخ

حيثُ أفادت من هذه المصادر التي تنتمي إلى مدارس النُّحو المُختلفة حتَّى تمثل المواقف المُختلفة للنُّحاة وتوجهاتهم وما بينهم من اتِّفاقٍ أو اختلافٍ. وكذا المصادر التَّفسيريَّة، والبلاغيَّة، وكتب إعراب القرآن، ومعانيه، ومشكله، وغريبه، وكتب القراءات، كما هو موضَّح في مادة البحث ومصادره. وهناك ثبتُ بهذه المصادر في نهاية البحث.

هذا وهدفي في نهاية الأمر أن أرفد المكتبة الإسلاميَّة بهذا البحث، عسى أن يكون به إسهامٌ بسيطٌ في نشر علوم الدِّين الإسلاميِّ الحنيف، وعملاً بقول الرِّسولِ صلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً "، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ... " وَعَدَّ مِنْهَا " عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ".

جزى الله خيراً من نظر في بحثي هذا فدلتني على ثغرة خفيت عليّ، أو رأيي فيما قلت غير الذي رأيتُ، فأهداه إليّ. اللهم اجعلنا من عبادك الذين يُبلغون رسالاتك ولا يخشون أحداً سواك. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

العبدُ الفقيرُ إلى عفو ربِّه

عزّت توفيق مصطفى الجريتلي

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- ١ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: لأبي محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة دار السعادة، مصر.
- ٢ - أسس النحو العربي قواعد وتدريبات: (١) القواعد، د. عبد الحميد السيوري، د. محمد خضير، تقديم د. محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ١٩٩٢م.
- ٣ - إعراب القرآن: لأبي جعفر محمد بن إسماعيل النَّحَّاس، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م.
- ٤ - البرهان في وجوه البيان: لأبي الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، تحقيق د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٦م.
- ٥ - البلغة في المُذَكَّر والمؤنَّث: لأبي البركات بن الأنباري، حَقَّقَه وقَدَّمَ له وعلَّق عليه د. رمضان عبد التَّوَّاب، مطبعة دار الكتب، الجمهورية العربية المتحدة، مركز تحقيق التراث.
- ٦ - البحر المحيط: لأبي حيَّان الأندلسي (٧٥٤هـ) دار الكتب العلميَّة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١م، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، د. زكريا عبد المجيد النوقي، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

- ٧ - البيان في غريب إعراب القرآن: لأبي الركات بن الأنباري (٥١٣ هـ - ٥٧٧ هـ)
تحقيق طه عبد المجيد طه، مراجعة مصطفى السَّقا، طبعة الهيئة المصريَّة
العامَّة للكتاب ٢٠٠٦ م.
- ٨ - التَّكْملة: لأبي علي الفارسي، تحقيق كاظم بحر المرجان، رسالة ماجستير،
آداب القاهرة ١٩٧٢ م.
- ٩ - التَّبَيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العُكبري (٥٣٨ هـ -
٦١٦ م) مكتبة جزيرة الورد، مكتبة الإيمان القاهرة.
- ١٠ - جامع البيان في تأويل أي القرآن: لمحمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن
غالب الأملي أبي جعفر الطُّبري (ت ٣١٠ هـ) تحقيق. أحمد محمَّد شاكر،
مؤسسة الرِّسالة للنَّشر، الطَّبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. المكتبة الشَّاملة.
موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف.
- ١١ - الحُجَّة في القراءات السَّبع: للحُسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله، تحقيق
د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، لبنان، الطَّبعة الرَّابعة
١٤٠١ هـ.
- ١٥ - الحُجَّة للقراء السَّبعة: أئمة الأمصار والعراق والشَّام الذين ذكرهم أبو بكر بن
مجاهد، لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفَّار الفارسي (٢٨٨ - ٣٧٧ هـ)
تحقيق كامل مصطفى الهنداوي، طبعة دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان،
الطَّبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- ١٦ - الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأحمد بن يوسف بن عبد الدَّائم
المعروف بالسَّمين الحلبي، المتوفى سنة (٧٥٦ هـ). المكتبة الشَّاملة الإصدار
الثَّاني.

- ١٧ - ديوان الأعشى الكبير: ميمون بن قيس، تحقيق د. محمد حسين.
- ١٨ - ديوان امرئ القيس: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الخامسة، دار المعارف، بالقاهرة.
- ١٩ - ديوان زهير بن أبي سلمى: اعتنى به وشرحه حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م.
- ٢٠ - ديوان جرير بن عطية الخطفي.
- ٢١ - ديوان الحطيئة: بشرح أبي الحسن السكري، اعتنى بتصحيحه الفقير إلى الله أحمد بن الأمين الشنقيطي، ملتزم طبعه، مطبعة التّقدّم بشارع محمد علي بمصر.
- ٢٢ - زاد المسير في علم التّفسير: لعبد الرّحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت ٥٩٧ هـ) المكتب الإسلامي للنشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ. المكتبة الشّاملة الإصدار الثّاني.
- ٢٣ - شرح المفصّل: لموفق الدّين يعيش بن علي بن يعيش، دار الطباعة المنبريّة بالقاهرة.
- ٢٤ - شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك: لقاضي القضاة بهاء الدّين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني (٦٨٩ - ٧٩٦ هـ) جزءان، نشر وتوزيع دار التراث بالقاهرة، دار مصر للطباعة سعيد جودة السّحار وشركاه.
- ٢٥ - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: لابن هشام الأنصاري، تحقيق الشّيخ محمد محيي الدّين عبد الحميد.

- ٢٦ - شرح المعلقات السبع: للقاضي أبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني (ت ٤٨٦ هـ)، تقديم عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م.
- ٢٧ - الكتاب: لسبيويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) خمسة أجزاء، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٦٦ - ١٩٧٧ م.
- ٢٨ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (ت ٥٢٧ هـ).
- ٢٩ - اللباب في علل البناء والإعراب: لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق غازي مختار طليمات، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث دبي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر دمشق سورية، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م.
- ٣٠ - لسان العرب: لابن منظور الإفريقي، بيروت، لبنان، ١٩٥٥ - ١٩٥٦ م.
- ٣١ - المذکر والمؤنث: للمبرّد محمد بن يزيد. حَقَّقَه وقَدَّم له. د. رمضان عبد التّواب، وصلاح هادي، مطبعة دار الكتب بالقاهرة ١٩٧٠ م.
- ٣٢ - المذکر والمؤنث: لأبي بكر بن الأنباري تحقيق محمّد عبد الخالق عزيمة، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث بجمهورية مصر العربيّة ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م.
- ٣٣ - المذکر والمؤنث: لابن التستري الكاتب: حَقَّقَه وقَدَّم له وعلّق عليه د. أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرّفاعي بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.

- ٣٤ - المعجم المفصل في المذكر والمؤنث: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م.
- ٣٥ - المقاصد النحوية في شرح الألفية: لمحمود بن أحمد العيني. مطبوع مع خزانة الأدب، دار صادر، لا طبعة ولا تاريخ.
- ٣٦ - مغني اللبيب عن كتب الأعراب: لابن هشام الأنصاري، مجلدان، تحقيق د. مازن المبارك، وعلي توفيق الحمد، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة ١٩٧٩ م.
- ٣٧ - منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل: للشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، على هامش شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، الطبعة العشرون ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م، نشر وتوزيع دار التراث بالقاهرة، دار مصر للطباعة سعيد جودة السحار وشركاه.
- ٣٨ - منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب: للشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد.
- ٣٩ - المقتضب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، أربعة أجزاء، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٣٨٦ هـ ١٣٩٩ هـ.
- ٤٠ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد محمد بن عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٣ هـ). تحقيق المجاس العلمي بمكناس، المغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.
- ٤١ - مفاتيح الغيب: للفخر الرّازي، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة بولاق. المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.

- ٤٢ - معاني القرآن: للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، دراسة وتحقيق د. عبد الأمير محمّد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.
- ٤٣ - معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت ٢٠٧ هـ)، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، الطّبعة الثّالثة، ١٩٨٠ م.
- ٤٤ - مُشكل إعراب القرآن: لأبي محمّد مكي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥ - ٤٣٧ هـ) تحقيق د. حاتم صالح الضّامن، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، الطّبعة الثّالثة، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.
- ٥٥ - المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإفصاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جنيّ، تحقيق على النّجدي وآخرين، القاهرة ١٣٨٦ هـ.